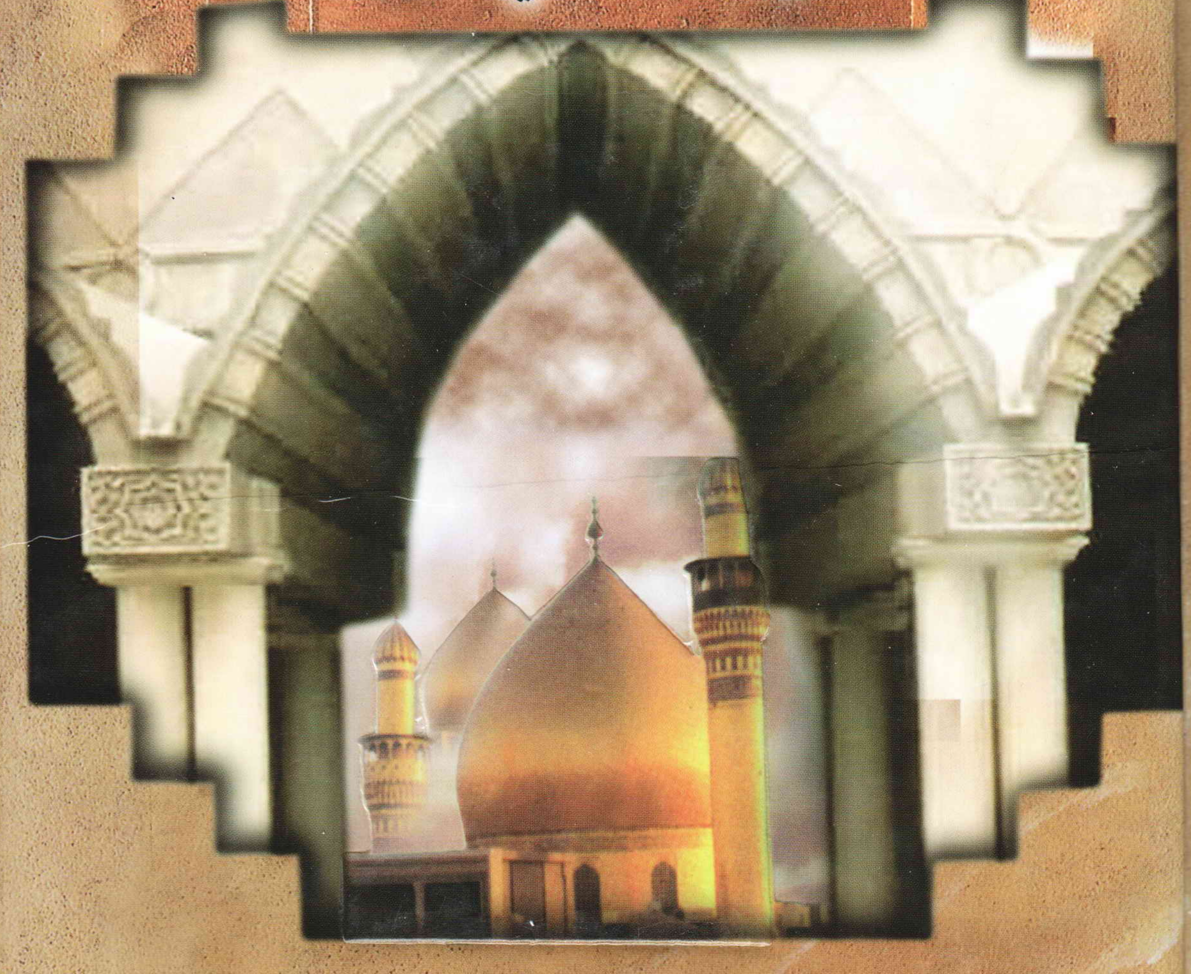
فارس فتيه

قصص الأئمة عليهم السلام

أسلوب قصصي هادف



دار المحجة البيضاء
دار الرسول الاكرم (ص)

قصص الأئمة [ع]

قصص الأئمة [ع]

فارس فقيه

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م



للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - حارة حريك - ص.ب : ١٤/٥٤٧٩
ت : ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس : ٠١/٥٥٢٨٤٧

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم،

الحمد له بارئ الخلائق وجامع الناس ليوم لا مردّ له، والصلاة والسلام على باب الله الذي منه يؤتى وحبل الله الممدود بين الأرض والسماء محمد وآله الأطهار الطيبين.

ورد في الحديث عن المعصومين(ص): «**أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد وكلنا محمد**».

ماذا يعني هذا الحديث؟

للوهلة الأولى قد يتبادر إلى الذهن أنّ أولنا النبي محمد(ص) وأوسطنا الإمام محمد الباقر أو محمد الجواد(ع) وآخرنا محمدبن الحسن المهدي(عج)، لكن كلمة كلنا محمد تنفي هذا التفسير وإن كان صحيحاً من جانب.

هذا الحديث له مصداق قرآني، وهو آية المباهلة:

﴿قل تعالوا ندعوا أبناءنا وأبناءكما ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾. أنفسنا على لسان النبي(ص) كانت تعني النبي(ص) وعلياً(ع)، فالقرآن عدّ علياً(ع) هو نفس النبي(ص).

وهذا المفهوم له مقدمات:

أولاً - فهم حقيقة النفس.

ثانياً - فهم مراتب الخلق.

١ - فهم حقيقة النفس:

كلمة نفس لها عدة تسميات، لكن كل واحدة من حيث ظهورها أكثر ومنها الفطرة، الروح، القلب، العقل...

وهذه النفس هي الإنسان ككائن حي.. يقول تعالى: ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**﴾، هذه الفطرة موجودة داخل كل إنسان بشكل ذاتي مع خلقه ولا تنفك عنه وهي غي مكتسبة ولا يحتاج إلى تحصيلها بالتمرس أو التعلم أو التنمية أو النمو، وإنما موجودة في داخله وهي جزء من ذاته.. كما أنها موجودة داخل جميع البشر على السواء، في الهندي والأفريقي والعربي والغربي وجميع أنواع البشر دون استثناء وهذه الفطرة ثابتة مع مر الزمن لا تنمو ولا تتغير زمانياً.

هذه الفطرة هي التكوين الأساسي للإنسان الذي يجذبه نحو الجمال والخير والعلم والحكمة والخبرة والقداسة والقدرة والحب والقوة وهذا الانجذاب نراه موجوداً في جميع البشر وعلى مر العصور، ولا يحتاج إلى تعلم.

وهذه الفطرة تفر وتنفر وتهرب من جميع أنواع القباحة والعجز والكسل والأمراض والمشقة والفقر والحرمان والنقص وترى النفس تشمئز من هذه الأمور، فكيف اكتسبت هذا الأمر؟ يقول تعالى: ﴿**ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها**﴾، هذه النفس مبرمجة في أساسها على حب الكمال والفرار من النقص والحرمان، لكن لماذا هذا الأمر؟

يقول المولى: ﴿**فإذا سوته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**﴾.

تشير هذه الآية أن الإنسان هو من روح الله والله جل وعلا هو الكمال المطلق الذي لا يشوبه نقص، لذلك نقول له الحمد أي الحمد هي جميع النعم والكمالات .. مطلق

الكمال لله وذلك تشير أن الله هو الكمال وكلمة الله أكبر تشير إلى أن الله كمال مطلق لأنه أكبر من أي كمال إلى ما لا نهاية، وكلمة سبحان الله تعني أن الله منزه عن النقص. وبما أنه كمال مطلق فهو منزه عن النقص بنحو مطلق.

هذه الفطرة هي النفخة الإلهية في الإنسان وبما أن الله كمال مطلق فالإنسان بفطرته يعشق الكمال المطلق ويفر من النقص المطلق لأنه روح الله.

يقول الله تعالى: **﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾**.

هذا الخليفة ماذا سيخلف؟ ورد في دعاء كميل: *«اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، وبقوتك التي قهرت بها كل شيء، وخضع لها كل شيء، وذلك لها كل شيء، وبجبروتك التي غلبت بها كل شيء، وبعزتك التي لا يقوم لها شيء، وبعظمتك التي ملأت كل شيء، وبسلطانك الذي علا كل شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء، وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء، وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء...»*

هذه الصفات هي التي تملأ الوجود وهي صفات الله وأسماؤه، يعني أن الإنسان يخلف الله تعالى في صفاته وأسمائه وإذا كان هو خليفة الله فيستطيع أن يخلف الله في صفاته المطلقة. لذلك ورد في الحديث: «لم تسعني أرضي ولا سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن». فقلب الإنسان له قابلية مطلقة من حيث الإطلاق لأنه بيت الله تعالى. وكما ذكرنا أن هذه النفس هي القلب وهي الروح.

وبما أن الله هو الكمال المطلق وهذه النفس مفطورة على الكمال المطلق الذي نفخ في روح الإنسان من روحه وإن هذا الإنسان يستطيع أن يخلف الكمال المطلق وقلب هذا الإنسان يستطيع أن يسع الكمال المطلق بنص الحديث.

بناءً على هذه المقدمات يمكن للإنسان أن يصل إلى الكمال المطلق. وهذه النتيجة هي الهدف من إرسال ١٢٥ ألف نبي ومئات الألوف من الأوصياء عبر مر الزمن، ويطرأ سؤال..

هل وصل أحد سابقاً إلى الكمال المطلق؟

الجواب: إن أول مصداق ونموذج للإنسان هو رسول الله محمد(ص) وأهل بيته. وذلك استناداً لآلاف الأحاديث الواردة في حق النبي(ص)، بأنه اسم الله الأعظم وبأنهم(ص) القرآن الناطق. وبأنهم أسماء الله وبأنهم نور الله وجنب الله ويد الله وغيرها من الصفات التي سيأتي ذكرها.

لكن ما معنى الوصول إلى الكمال المطلق؟

الوصول إلى الكمال المطلق هو أن لا يحجب الإنسان هذه الفطرة وهذا القلب عن تجلي الكمال المطلق فيه بأي نوع من أنواع الحجب والموانع كالوراثة والبيئة والذنوب والمعتقدات الخاطئة وغيرها من العوائق التي يمكن أن تعيق الإنسان من الوصول إلى الكمال المطلق، عندما نقول وصول ليس بمعنى رحلة وعبور مكاني، وإنما المقصود هو عملية إزالة الحجب عن الفطرة ورفع الحواجز والموانع من القلب حتى يسع المطلق.

وورد في الحديث: «**عبدي أطعني تكن مثلي**».

إذا كان الله هو الكمال المطلق يمكن للإنسان أيضاً أن يصبح مثله كمالاً مطلقاً ليس بنحو الذات والاستقلالية عن الله بل بالطاعة والعبودية لله يمكنه أن يصبح مثل الله، والآية ليس كمثله شيء لا تتعارض مع الحديث لأنه ليس كمثله شيء بنحو الاستقلال عن الله لأن في الوجود لا يمكن أن يوجد غير كمال مطلق واحد.

أما بنحو التبعية والفناء والعبودية لله فهذا الأمر متاح ومباح لجميع البشرية. يقول تعالى في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم أنا غني لا أفتقر أطعني فيما أمرتك أجعلك غنياً لا تفتقر، يا ابن آدم أنا حي لا أموت أطعني فيما أمرتك أجعلك حياً لا تموت، يا ابن آدم أنا أقول للشيء كن فيكون أطعني فيما أمرتك أجعلك تقل للشيء كن فيكون**»، أليست هذه الصفات هي صفات الكمال المطلق؟

الأنبياء هم مطيعون بالمطلق لله وهذا ما نؤمن به من حيث عصمتهم عن الذنوب والخطايا. وبما أنهم معصومون ومطيعون بالمطلق فهم مثل الله أي واصلين للكمال المطلق والنبي(ص) هو أفضل الأنبياء والبشر على الإطلاق «**لولاك ما خلقت الأفلاك**» والنبي(ص) هو العبد المطلق لله ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً**﴾ وهو المطيع المطلق لله.

فالنبي كمقدمات سابقة واصل إلى مقام الكمال المطلق (كإنسان).

وكل إنسان يمكنه أن يصل إلى مقام الكمال المطلق كما بينا وكل إنسان يمكنه أن يصل إلى مقام الرسول(ص) بالتبعية له وذلك قول النبي وقوله تعالى: ﴿**إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ الوصول إلى مقام المحبة الإلهية والكمال المطلق لا يصل إلا بطاعة النبي(ص) وأهل البيت صلوات الله عليهم هم أقرب الخلق إلى النبي(ص) وإلى الله تعالى، وهم المطيعون بالمطلق لله وهم معصومون عن الذنوب والمعاصي ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾.

ماذا يعني هذا الأمر؟ هذا يعني أن أهل البيت(ع) واصلون إلى مقام النبي(ص) بالتبعية له(ص). لذلك ورد عنهم(ص): «**أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد وكلنا محمد**»، أو كما ورد على لسان النبي(ص) في حق علي(ع): «**يا علي أنت**

مني وأنا منك». أو: «**حسن مني وأنا من حسن**»، و«**حسين مني وأنا من حسين**»، قد يفهم المرء بأن علي والحسن والحسين من النبي(ص) ولكن كيف يكون النبي(ص) منهم؟ الجواب هو أنهم حقيقة واحدة ونور واحد وكل من يصل إلى هذه الحقيقة يصبح منهم، لذلك ورد في سلمان الفارسي (المحمدي) سلمان منا أهل البيت.

وهذا لا ينفي التراتبية والأفضلية للنبي(ص) ثم لعلي(ع) فعلي(ع) يقول: «أنا عبد من عبيد محمد(ص). إنها المساواة بينهم من حيث الوصول إلى نفس الحقيقة بالتبعية للنبي(ص) وقربهم للنبي(ص).

ورد على لسان النبي(ص): «**خلق الله روحي وروح علي(ع) من شيء واحد ونوري ونوره واحد وإنه مني وأنا منه ونفسه نفسي**»[1].

﴿أنفسنا وأنفسكم﴾.

وورد على لسان المعصومين(ص): «**نحن حجة الله ونحن باب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ونحن ولاة أمره في عباده ونحن خزانة علم الله وعيبة وحي الله وأهل دين وعلينا نزل كتاب الله وبنا عبد الله ولولانا ما عرف الله ونحن ورثة نبي الله**»[2].

هذا الكلام يوافق ما جاء في الاحاديث بأنه يمكن التحقق فيه للإنسان العادي فكيف بالمعصومين. ورد في الحديث القدسي: «**ما زال يتقرب إلي عبدي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته صرت بصره الذي يبصر وسمعه الذي يسمع به ويده التي يبطش بها**».

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٨، الباب ٧٦.

(٢) الكافي، ج١، ص ١٤٥، ١٩٢.

كل هذه المقدمات نريد أن نوصل القارئ بها أن هذه القصص التي ستمر في هذا الكتاب هي الحقيقة المحمدية فما قام به الإمام الصادق(ع) هو عين ما سيقوم به النبي(ص) لو كان في مكانه وهو عين التصرف لأمير المؤمنين(ع) وعين التصرف للزهراء وعين التصرف لجميع الأئمة. كون النبي(ص) معصوماً والأئمة معصومين وكلهم من بعض وكلهم نور واحد وكلهم محمد(ص).

فكل هذه القصص هي قصص محمد(ص) وكل قصص النبي(ص) هي قصص أمير المؤمنين والحسن والحسين(ع) وباقي الأئمة ولا يمكن التفريق بينهم ولا يمكن التساؤل.

لو كان النبي(ص) مكان الإمام الحسين(ع) في كربلاء كيف كان سيتصرف؟ الجواب هو ليس في كربلاء وحدها بل منذ أول لحظة في حياة الإمام الحسين(ع) إلى آخر نفس هو عين تصرف رسول الله(ص) وكذلك الحال مع جميع الأئمة.

والله إننا لا نفرق بين أئمتنا والله أنهم مظلومون، مجهولون غرباء..

أسأل الله أن يوفقنا إلى معرفتهم وحبهم وولايتهم وأن يثبت قلوبنا على طاعتهم وولايتهم وأن يرضى قلب إمام زماننا عنا والحمد لله رب العالمين.

الفقيه الإسكندراني

المعصوم الأول

نبيّ الإسلام

محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

هويّة المعصوم الأول

نبيّ الإسلام(ص)

الاسم: محمّد، أحمد(ص).

اللقب المشهور: رسول الله، خاتم الأنبياء.

الكنية: أبو القاسم.

الأب والأم: عبد الله، آمنة.

تاريخ ومحلّ الولادة: ولد فجر يوم الجمعة «١٧» ربيع الأوّل سنة «٥٧٠» ميلاديّة قبل البعثة النّبويّة الشريفة في مكّة بأربعين عاماً.

مدة النبوّة: «٢٣» سنة، من سنة «٤٠» إلى «٦٣» من عمره الشّريف، منها «١٣» سنة في مكّة و «١٠» سنوات في المدينة، وكانت بعثته الشّريفة في «٢٧» من شهر رجب.

تاريخ ومحلّ الوفاة: توفّي يوم الاثنين «٢٨» من شهر صفر سنة «١١» هجريّة في المدينة عن عمر ناهز «٦٣» سنة.

مرقده الشّريف: في المدينة بجانب المسجد النّبوي.

أدوار حياته(ص) تنقسم إلى ثلاثة:

١ - قبل نبوّته (٤٠) سنة.

٢ - بعد نبوّته إلى هجرته من مكّة (١٣) سنة.

٣ - بعد هجرته من مكّة إلى المدينة، وتأسيسه الحكومة الإسلامية (١٠) سنوات تقريباً.

١ - قصّة العالم اليهودي العجيبة في مكة:

لما ولد النّبيّ الأكرم(ص) جاء رجل من اليهود إلى جماعة من أكابر قريش فقال متعَجّباً: أوُلِدَ فيكم مولودٌ اللّيلة؟

قالوا: لا.

فقال اليهودي: فوُلِدَ إذاً بفلسطين غلامٌ اسمه أحمد به شامة سوداء بين كتفيه، ويكون هلاك أهل الكتاب واليهود على يديه، قد أخطأكم والله يا معشر قريش.

فَتَفَرَّقُوا وَسَأَلُوا فَأُخْبِرُوا أنّه ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فطلبوا الرّجل فوجدوه فقالوا: إنّه قد ولد فينا والله غلام.

قال اليهودي: انطلقوا بنا إليه حتى ننظرَ إليه، فانطلقوا حتى أتوا أُمَّه - آمنة بنت وهب - فقالوا: أخرجي ابنك حتى ننظر إليه، فجاءت به إليهم، فلمّا رآه اليهوديُّ أُغميَ عليه، فلمّا أفاق سألوه عمّا حدث لهُ فقال: ذهبت نبوّةُ بني إسرائيل إلى يوم القيامة هذا والله من يُبيدهم.

ففرحت قريش بذلك، فلمّا رآهم قد فرحوا قال اليهودي: فرحتم أما والله لتنال

قريشٌ بوجوده الشّريف العظمة والعزّة يتحدث بها أهل المشرق والمغرب.

فقال أبو سفيان: سوف تنال ذلك بمضرّ (وكان أبو سفيان منها)[١].

٢ - حكاية لطيفة عن اختفاء النّبيّ الأكرم(ص):

لمّا كان النّبي الأكرم(ص) في بطن أُمه تُوفّيَ والدُهُ عبد الله، فتكفَّله جَدُّهُ عبد المطلب، وعندما بلغ من العمر (٦) سنوات توفّيت أُمُّه، وعندما بلغ الثّامنة من العمر توفّي جدُّه عبد المطلب.

ومما كان متعارفاً عليه يومذاك، قدوم المرضعات من أطراف مكة، لاستئجارهن في رضاعة المولودين حديثاً مقابل أجر يؤمّن معيشتهن.

وكانت هناك امرأة فاضلة تدعى «حليمة السّعدية» تسكن البادية مع عشيرتها، جاءت إلى مكة لهذا الغرض ولكنّها لم تجد طفلاً فرجعت يائسة، وعند عودتها إلى عشيرتها صادفت عبد المطلب في الطّريق فقال لها: عندي طفل فخذيه وأرضعيه.

فوافقت حليمة على طلب عبد المطلب لقاء مبلغ من المال وأخذت منه محمّداً(ص) وتوجّهت به إلى قومها في الصّحراء.

ومنذ ذلك الوقت تربّى محمّد(ص) في الصّحراء وبين البدو، وبقي سنوات تحت رعاية حليمة(رض) شاهدت خلالها حوادث عجيبة، فمنذ مجيء هذا الطفل إليهم ازدادت البركات والخيرات عليهم في مواشيهم وإبلهم ونعمهم الأخرى زيادة كبيرة لم يسبق لها مثيل.

وبعد انتهاء المدّة جاءت حليمة بمحمّدٍ(ص) إلى أُمّه، ولكنها أعادته معها من

---

(١) كحل البصر: ط، بيروت، ص ٢٧.

جديد. فلمّا كانت السّنة الخامسة من عمره الشّريف قالت حليمة في نفسها: إنّ لهذا الطّفل لشأن عظيم، فهو ليس كغيره من الأطفال وأخاف عليه من الأعداء، فصمّمت على إرجاعه إلى عبد المطلب في مكة[١].

حملت حليمةُ محمّداً(ص) وجاءت به إلى مكة، فأتت به أوّلاً إلى الكعبة لتذهب به بعد ذلك إلى بيت عبد المطلب، وفجأة سمعت صوتاً من السّماء، وكأنّ شخصاً يخاطب الحجر الأسود ويقول: «أيها الحجر المقدّس، اليوم تشرّفت بك آلاف الشّموس».

فتعجّبت حليمة من ذلك الصّوت وتملكها الشّوق والخوف فأخذت تنظر إلى كلّ ناحية لعلها ترى صاحب الصّوت ولكنّها لم تجد أحداً فالتفت ولم تر محمّداً إلى جنبها.

فأخذت تبحث عنه في كلّ مكان فلم تجده، فاحتارت في أمره وأصابتها حالة من الهيجان والقلق الشّديد فأخذت تركض في أزقة مكّة كالمجنونة مُوَلْوِلَةً باكية تسأل أهل مكة عن محمّد(ص) ولا من مجيب.

آه، يا لها من فاجعة مؤلمة جعلت من حليمة تنتحب بهذه الصّورة، وكأنّها سقطت من شاهق، وكأن الزّمان والمكان ينتحبان معها.

وفي هذه الأثناء اقترب شيخ كبير السّن متوكّئاً على عصاه من حليمة وسألها عن حالها فحكت له ما حدث بها.

فأخذها الشّيخ إلى آلهته «العزّى» أو «هبل» وقال لها: نحن عندما نفتقد شيئاً نأتي إلى هذه الأصنام فتدلّنا عليه.

ثُمّ أن الشّيخ سجد للصّنم الكبير وطلب منه العثورَ على طفل حليمة المفقود،

(١) كحل البصر: ص ٢٠ - السيرة الحلبية: ج ١، ص ٨١ و ١٠٦.

وبمجرّد أن ذكر اسم محمّد(ص) المبارك اهتزّ الصّنم وسائر الأصنام الأخرى وسقطت على وجهها.

فأمّا الشّيخ فقد أصابه الخوف والرّعب مما حدث وأخذ يرتعد من شدّة الخوف كعارٍ في برد قارص.

وأمّا حليمة فاستمرّت في حزنها وبكائها على محمّد(ص) وأخذت تناديه «أين أنت يا ولدي».

أخذ الشّيخ يسلّيها ويقول: إن هذه الحادثة لم يسبق لها مثيل، وإن عصراً جديداً يوشك على الظهور، فإنّ هذه الأصنام وبمجرد لفظ اسم محمّد(ص) انقلبت رأساً على عقب.

وعندما علم عبد المطلب بفقد محمّد(ص) جاء إلى الكعبة مهرولاً باكياً بصوت عالٍ وتوسّل إلى الله تعالى قائلاً: «إلهي أنا أقلّ شأناً منْ أنْ أتكلّمَ معكَ، وإنّ سجُودي لك وبكائي أتفه من أن أذكرك بلساني، ولكنّي أقسم عليك بعنايتك الخاصة بهذا الطّفل إلا ما أطْلَعْتَنا على محلّ وجُودِهِ...».

وفجأة سمع عبد المطلب صوتاً من داخل الكعبة يقول: «لا تحْزَنْ سوْفَ تراهُ قريباً».

قال عبد المطلب: أين هو الآن؟

وإذا بذلك الهاتف يدلّه على مكانٍ معيّن، فذهب عبد المطلب إلى ذلك المكان فوجد محمّداً(ص) تحت شجرةٍ فأخذه وضمّه إليه وذهب به إلى منزله[1].

---

(١) اقتُبس من ديوان المثنوي المولوي: الدفتر الرابع، ص ٣٤٧، وهذه الحكاية قد وردت بتفاوت بسيط في مجمع البيان، ج ٢١، ص ٥٠٦.

٣ - الوفاء بالوعد:

عمل النّبي الأكرم(ص) قبل أن يُبعث بالرّسالة راعياً، وكان عمّار بن ياسر (ره) يرعى هو الآخر الغنم بالأجرة، فتواعدا ذات يوم أن يذهبا بغنمهما إلى صحراء فخّ حيث الكلأ والعشب.

فساق محمد(ص) أغنامه في الصباح إلى صحراء فخّ وتأخّر عمّار (ره) عنه.

قال عمار (رحمه الله): فجئت الفخّ وقد سبقني محمّد(ص) وقو قائم يذود غنمه عن الرّوضة فقلت: لماذا تمنع الغنم من الرّوضة؟

قال(ص): «إني كنتُ وعدُتكَ أن نأتي معاً إلى فخ فكرهت أنْ أرعى قبلك»(١).

٤ - المؤامرة الفاشلة لقتل الرّسول الأعظم(ص):

قبل أن يبعث النّبيّ(ص) بالرّسالة كان موضع ثقة النّاس لصدقه وأمانته، وكان جميع سكّانُ مكّةَ وأطرافِها يحبّونَهُ، وما أن بلغ الأربعين من العمر وبعث بالرّسالة وأخذ يحارب الأصنام ويدعو النّاس إلى التّوحيد حتى انقلبوا له أعداءً وأخذوا يؤذونه بشتى الطّرق ومختلف الوسائل وصمّموا أخيراً على قتله، ومع أن أغلب بني هاشم لم يكونوا قد أسلموا بعد، إلا أنهم مع ذلك لم يكونوا ليرضوا بقتل محمّد(ص). ومن أبرز هؤلاء أبو لهب عمّ الرّسول(ص) الذي كان من أشد الناس عليه ولكنّه لم يكن مستعدّاً لأن يوافق على قتله.

لذلك فقد صمّم رؤساء قريش على قتله في غياب أبي لهب وبدون علمه، فاجتمعوا للبحث في كيفية قتله، وكانت معهم أُمّ جميل زوجة أبي لهب فقالت: «سوف أقوم بتلهية

(١) كحل البصر: ص ١٠٣.

أبي لهب في اليوم الموعود في البيت ولا أدع أيّ خبر يتسرّب إليه عن محمّد. وعليكم أنْ تؤدّوا مهمّتكم وأبو لهب غائب».

فلمّا حلّ ذلك اليوم أغلقت أُمّ جميل الباب: بإحكام، وجلست مع زوجها أبي لهب في الغرفة بعد أنْ أَحْضَرَتْ له الطعام والشراب. وأخذت تتحدّث معه عن كلّ شيء سوى ما يجري خارج البيت على ابن أخيه.

علم أبو طالب بالخبر، فدعا عليّاً(ع) (وكان له من العمر حينذاك ١١ - ١٢ سنة) وقال له: يا بُنيّ إذهب إلى عمّك أبي لهب فاطرق عليه الباب فإنْ فتح لك فادخُلْ، وإنْ لم يفتح لك فتحاملْ على الباب واكسُرْه وادّخل عليه وقل له: إنّ أبي يقول لك: «إنَّ أمرءاً عمُّه عَيْنُهُ في القوم (رئيس القوم) ليسَ بذليلٍ».

فأسرع عليّ(ع) إلى بيت أبي لهب فرأى الباب مغلقاً، طرق الباب فلم يفتح له، فدفع الباب بقوّة فكسرها ودخل الدّار وأوصل نفسه إلى أبي لهب، فقال له أبو لهب - مالك يا إبن أخي؟

فقال عليّ(ع): يقول لك أبي: «إنّ أمرءاً عَمّه عينه في القوم ليس بذليل.»

قال أبو لهب: صدق أبوك فما ذاك يا إبن أخي؟

قال عليّ(ع): يُقتل ابن أخيك وأنت تأكل وتشرب؟

فوثب وأخذ سيفه، فتعلّقت به زوجته أُمّ جميل فرفع يده ولطم وجهَها لطمةً ففقأ عينها، فماتت بعد ذلك وهي عوراء، وخرج أبو لهب ومعه السّيف، فلمّا رأته قريش عرفت الغضب في وجهه.

فقالت قريش: مالك يا أبا لهب؟

فقال أبو لهب: أُبايعكم على إبن أخي - أي أعاهدكم على إيذائه والوقوف بوجه

دعوته - ثُمّ تريدون قتله؟! واللّات والعزّى لقد هممت أنْ أُسْلِمَ. ثُمّ تنظرون ما أصنع.

فلمّا رأت قريش ذلك علموا بفشل مؤامرتهم (لأنّ أبا لهب لو أسْلَمَ فسوف تكون خسارتهم كبيرة) فاخذوا يعتذرون منه ورجعوا عن عزمهم[١].

وبهذه الطّريقة فشل كيد المشركين «نعم، أنّ العدو قد يكون سبباً للخير إذا أراد الله».

٥ - معجزة الرّسول(ص) في طريق الهجرة إلى المدينة:

مرّ النّبيّ الأكرم(ص) في هجرته إلى المدينة بخيمة «أُمّ معبد الخزاعيّة»، فأراد ابتياع لحم أو لبن منها، غير أن الجفاف كان قد أصاب البلاد، فلم يتيسّرْ له ذلك.

فنظر النّبيّ الأكرم(ص) إلى شاةٍ في البيت تُرِكَتْ لضعفها فاستأذنها النّبيّ(ص) في حلبها.

فقالت: أُمّ معبد لو كان بها لبن لأصبناه، فمسح النّبيّ الأكرم(ص) على ضرعها ودعا الله أن تدرّ اللبن فدرّت، فحلب وسقى القوم وأرواهُم ثُمّ حلب وملأ الإناء وغادرها وهي في غاية الذهول والتعجب.

فجاء زوجها أبو معبد ورأى اللّبن الكثير في الآنية، فتعجّب كثيراً وقال: أنّى لك هذا ولا شاة حلوب بالبيت.

فقالت أُمّ معبد: مرّ بنا رجل مبارك أوصافه كذا وكذا.

فقال أبو معبد: هذا صاحب قريش، ثم أقسم بكلّ الآلهة بأنّه لو أراه لآمن به واتبعه[٢].

---

(١) روضة الكافي: ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٢) كحل البصر: ص ٧٨ ط. بيروت.

٦ - إحترام القيم:

كان لحليمة السّعديّة عدّة أولاد وبنات، وبما أن النّبيّ الأكرم(ص) قد رضع منها، فإن جميع هؤلاء هم إخوة للنّبي من الرّضاعة.

في أحد الأيّام بعد البعثة أتته أخت له من الرّضاعة (ولعلّ ذلك كان في المدينة) فلمّا نظر إليها سُرّ بها وبسط لها ملحفته فأجلسها عليها، ثُمّ أقبل يحدّثها ويضحك في وجهها ويسأل عن أقربائها، واستمرّ يحدّثها بوجه باسم حتّى قامت وذهبت.

ثم جاء بعد ذلك أخوها - أخو النّبيّ(ص) من الرّضاعة - فحدّثه النّبيّ(ص) واحترمه ولكن لم يصنع به ما صنع بأخته من التّرحيب والبشاشة وإظهار المحبّة، فسأل رجل من النّبيّ الأكرم(ص) - يا رسول الله، صَنَعْتَ بأخته ما لم تَصنَعْ به؟!

فقال رسول الله(ص): «لأنّها كانتْ أبَرَّ بِوَالِدَيْها مِنْهُ».

أجل، فإنّ رسول الله(ص) كان يهتمُّ بأمثال هذه القيم (كاحترام الوالدين) ويحترمها[1].

٧ - العدّو المغرور يواجه ضربة محمّد(ص):

كان لأُبيٍّ بن خلف فرس أصيل يعلفها كلّ يوم ويهتمُّ في تربيتها وتقويتها ليتمكن يوماً من قتل النّبيّ(ص) عليها، فرأى النّبيَّ(ص) مرّة وقال له بوقاحة «لديّ فرسٌ قويةٌ أعلفها كل يوم وسأقتلك عليها».

فقال له رسول الله(ص): بل أنا سأقتلك إن شاء الله تعالى.

(١) أصول الكافي ج٢ ص ١٦١.

فلمّا كان يوم أُحدٍ - في السّنة الثّالثة للهجرة عند الجبال القريبة من المدينة - وكان أُبَيّ بن خلف من قادة جيش المشركين واشتعلت نيران الحرب صاح أُبَيٌّ: أين محمّد؟ فلمّا دنا منه قال: «يا محمد لا نَجَوْتُ إن نَجَوْتَ».

وهجم على الرسول(ص) يريد قتله، فما كان من النّبيّ(ص) إلاّ أن أسرع وتناول الحربة من أحد أصحابه وهو الحارث بن صمّة واستقبل بها أُبيَّ بن خلف وطعنه في عنقه، فخدشه خدشة طفيفة، إلاّ أنّ أُبَيَّ اضطرب وسقط عن فرسه وهو يخور خوار الثّور ويصرخ: قتلني محمّد.

فاحتمله أصحابه وأخرجوه بعيداً عن المعركة وقالوا له: ليس عليك بأس، فما هو إلاّ جرح طفيف فلا تجزع؟

فقال لهم أُبَي بن خلف: لو كانت هذه الطّعنة بربيعة ومضر لَقَتَلَتْهم، ألم يقل لي: أقتلك، فلو تفل عليّ بعد تلك المقالة لقتلني، (أجل إنّه لا يكذب).

فلم يلبث أُبيّ بن خلف إلا يوماً واحداً حتى مات[1].

٨ - ابتسامة النّبيّ الأكرم(ص):

نظر رسول الله(ص) ذات يوم إلى السّماء فتبسّم.

فقيل له: يا رسول الله رأيناك رفعت رأسك إلى السّماء فتبسّمت.

قال(ص): نعم، عجبتُ لملَكين هَبَطا من السّماء إلى الأرض يلتمسان عبداً مؤمناً صالحاً في مصلًى كان يصلّي فيه ليكتبا له عمله في يومه وليلتِه فلم يجداه في مصلاّه بل وجداه في فراش المرض، فعرجا إلى السّماء فقالا: ربّنا عبدُك فلان المؤمن التمسناه

(١) بحار الأنوار: ج ٢ - ص ٢٧.

في مصلاّه لنكتبَ له عَمَلَه ليومه وليلته فلم نصبه، فوجدناه في فراش المرض.

فقال الله عزّ وجلّ: اكتبا لعبدي مثل ما كان يعمله في صحّته من الخير في يومه وليلته مادام في حبالي - على فراش المرض - فإنّ عليّ أنْ أكتب له أجرَ ما كان يعمله إذا حبسته عنه[1].

٩ - إسلام ألف نفر من قبيلة بني سليم مرّة واحدة:

كان النّبيّ الأكرم(ص) مع أصحابه إذ جاءه أعرابيٌّ معه ضَبٌّ قد صاده وجعله في كمّه، فقال من هذا؟ وأشار إلى النبي(ص).

قالوا: هذا النّبيّ.

قال الأعرابي: واللاّت والعزّى ما أحد أبغض إليّ منك، ولو لا أنْ تسمّيني قومي عجولاً لعجّلت عليك فقتلتك.

فقال رسول الله(ص): ما حَمَلَك على ما قلت؟ آمِنْ بالله.

قال الأعرابي: لا آمنتُ أو يؤمن بك هذا الضّبُّ، وطَرَحَهُ.

فقال النّبيّ الأكرم(ص): يا ضبّ، فأجابه الضّبّ بلسان عربيّ يسمعه القوم: لبّيك وسعديك يا زين من وافى القيامة.

قال رسول الله(ص): ما تعبد؟

قال الضّبّ: الذي في السّماء عَرْشُه، وفي الأرض سلطانُه، وفي البحرِ سبيلُه، وفي الجنّة رحمتُه، وفي النّار عقابُه.

قال رسول الله(ص): فمن أنا يا ضبُّ؟

(١) فروع الكافي: ج١، ص ٣١ - بحار الأنوار: ج٢٢، ص ٨٣.

قال الضّبّ: رسولُ ربّ العالمين، وخاتمُ النّبيين، قد أفلح من صدَّقك، وخاب من كذَّبك.

قال الأعرابي: لا أتبع أثراً بعد عين، لقد جئتك وما على ظهر الأرض أحدٌ أبغضَ إليَّ منك، وإنّك الآن أحبُّ إليّ من نفسي ووالديّ، أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّك محمّد رسول الله، فرجع إلى قومه وكانوا بني سليم، فأخبرهم بالقصّة فآمن ألف إنسان منهم[1].

١٠ - تواضع النّبيّ الأكرم(ص):

مرّت ذات يوم امرأة بذيئة برسول الله(ص) وهو يأكل مع العبيد، فقالت: يا محمد والله إنك لتأكل أكلَ العبد، وتجلُسَ جلوسَه.

فقال لها رسول الله(ص): «ويْحَكِ أيُّ عبدٍ أعبَدُ منّي؟».

قالت: فناولني لقمة من طعامك. فناولها رسول الله(ص).

فقالت: لا، والله إلا التي في فمك ألتمس بذلك البركة - فأخرج رسول الله(ص) اللُّقمةَ من فمهِ فناولها فأكلتها، فما أصابها داءٌ طوال حياتِها حتى فارقت الدُّنيا[2].

من هو العلامة

قال أبو الحسن الكاظم(ع): دخل رسول الله(ص) المسجد، فإذا جماعة قد أطافوا برجل، فقال(ص): ما هذا؟

فقيل: علاّمة!. فقال(ص): وما العلامة؟

(١) الخرائج: للرّاوندي (ره) ص ١٨٤، بحار الأنوار: ج ١٧، ص ٤٠٧.
(٢) كحل البصر: ص ١٠١.

فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها، وأيام الجاهلية والأشعار العربية.

فقال(ص): ذاك علم لا يضرّ من جهله، ولا ينفع من علمه.

ثم قال(ص): إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل[1].

أقول: العلوم الرئيسية والضرورية التي يجب على المسلمين تعلمها، والتي تفيدهم في الدنيا وتنفعهم في الآخرة، هي العلوم الثلاثة المذكورة في الحديث:

١ - آية محكمة أي علم العقيدة التي يستخرج إثباتاتها من محكمات القرآن.

٢ - فريضة عادلة أي علم الأخلاق الذي يشمل جنود العقل وجنود الجهل، والواجب على الإنسان أن يتمسّك ويتعبّد لجنود العقل «المحاسن» ويتجنّب جنود الجهل «المساوئ».

٣ - سنّة قائمة أي أحكام الشريعة ومسائلها من الحلال والحرام.

فعلى هذا فالعلوم الأخرى غير هذه إما أن تكون مضرّة مثل السحر والشعبذة والطلاسم فهذه فضل وإما أن تكون مفيدة مثل الطب والزراعة... فهذه ترجع إلى تلك العلوم الرئيسية الثلاثة وهي داخلة في ضمنها.

ولعل كلمة فضل التي وردت في آخر الحديث تعني المستحبّ والمحبوب بخلاف تلك العلوم فإنها فريضة فريضة وواجبة، ومن لم يحظ بشيء من تلك العلوم لم يستثمر خيراً ولم تفده سائر العلوم الأخرى.

---

(١) ج١: ٣٢ (٧٩) ح١.

الدعاء سلاح المؤمن

لما كان بعض الأصحاب جلوساً عند النبي(ص).

قال النبي(ص): ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدرّ أرزاقكم؟

قالوا: بلى.

قال(ص): تدعون ربّكم بالليل والنهار، فإنّ سلاح المؤمن الدعاء[١].

معاوية يقرّ بأولوية الأئمة[ع]!!

قال عبد الله بن جعفر الطيار: كنّا عند معاوية أنا والحسن والحسين(ع) وعبد الله بن عباس وعمر بن أم سلمة وأسامة بن زيد، فجرى بيني وبين معاوية كلام، فقلت لمعاوية: سمعت رسول الله(ص) يقول:

أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم أخي علي بن أبي طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد علي(ع) فالحسن بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني الحسين من بعد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه عليه بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وستدركه يا عليّ[٢]، ثم ابنه محمد بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين[٣]، ثم تكمّله إثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين.

قال عبد الله بن جعفر: واستشهد الحسن والحسين(ع) وعبد الله بن عباس وعمر بن أم سلمة، وأسامة بن زيد. فشهدوا لي عند معاوية. إنا سمعنا ذلك من رسول الله(ص) بشأن علي والحسن والحسين والسجاد والباقر(ع)[٤].

---

(١) ج٢: ٤٦٨ (٤٣٩) ح٣.

(٢) كان عمر الإمام علي بن الحسين(ع) عندما استشهد جده أمير المؤمنين(ع) سنتين إذ ولد في سنة ٣٨ للهجرة واستشهد علي(ع) سنة ٤٠ للهجرة.

(٣) كان عمر الإمام الباقر(ع) لما استشهد جده ولحسين(ع) في سنة ٦٠ من الهجرة أربع سنوات.

(٤) ج١: ٥٢٩ (٦٠٧) ح٤.

عفو النبي[ص] عمن قصد قتله!!

إن امرأة يهودية كانت قد هيأت طعاماً ودست فيه السم وأعطته لرسول الله(ص) وقد لتقتله وكان ذلك بعد فتح خيبر في السنة الثامنة وعلى أثر السم المدسوس في الطعام كان النبي يتوجّع أحياناً حتى أن ألقته مريضاً ومن ثم انتقل إلى جوار ربه.

قال الباقر(ع): إن رسول الله(ص) أُتي باليهودية التي سمّت الشاة للنبي(ص).

فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ح

فقالت: قلت - ظننت - إن كان نبياً لم يضرّه وإن كان ملِكاً أرحت الناس منه.

قال الباقر(ع): فعفا رسول الله(ص) عنها[1].

حسن الخلق يُسْر!!

قال الصادق(ع) لأحد أصحابه يسمّى ببحر السقاء: يا بحر، حسن الخلق يُسْر. ثم قال: ألا أخبرك بحديث - قصة - ما هو في يدي أحد من أهل المدينة؟

قال بحر السّقاء: بلى.

قال(ع): بينا رسول الله(ص) ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم فأخذت بطرف ثوبه.

فقال لها النبي(ص) فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي(ص) شيئاً، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات.

فقام لها النبي(ص) في الرابعة وهي خلفه، فأخذت هدبة من ثوبه - أي طرف ثوبه - ثم رجعت.

(١) ج٢: ١٠٨ (١١٦) ح٩.

فقال لها الناس: فعل الله بك وفعل، حبست رسول الله(ص) - ثلاث مرات، لا تقولين شيئاً ولا هو يقول لك شيئاً ما كانت حاجتك إليه؟

قالت: إن لنا مريضاً فأرسلني أهلي لآخذ هدبة من ثوبه يستشفي بها، فلما أردت أخذها رآني فقام فاستحييت منه أن آخذها وهو يراني، وأكره أن استأمره - أي أستأذنه - في أخذها فأخذتها - في المرة الرابعة[1].

أحب أن أكون عبداً متواضعاً!

قال الصادق(ع): أفطر رسول الله(ص) عشية خميس في مسجد قبا، فقال(ص): هل من شراب؟

فأتاه أوس بن خوليّ الأنصاري بعس - قدح - مخيض بعسل، فلما وضعه على فيه نحّاه، ثم قال(ص): شرابان يكتفي بأحدهما من صاحبه، لا أشربه ولا أُحرّمه ولكن أتواضع لله، فإن من تواضع لله رفعه، ومن تكبّر خفضه الله، ومن اقتصد في معيشته رزقه، ومن بذّر حرمه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبّه الله[2].

وقال الباقر(ع): أتى رسول الله(ص) مَلَك فقال: إنّ الله عزّ وجلّ يخيّرك أن تكون عبداً رسولاً متواضعاً أو مَلَكاً رسولاً.

فنظر(ص) إلى جبرائيل، وأومأ جبرائيل بيده أن تواضع.

فقال: عبداً متواضعاً رسولاً.

قال الملك: مع أنه لا ينقصك مما عند ربك شيئاً[3].

---

(١) ج٢: ١٠٢ (١٠٩) ح١٥.

(٢) ج٢: ١٢٢ (١٣٠) ح ٣ و٥.

(٣) ج٢: ١٢٢ (١٣٠) ح ٣ و٥.

حديث البستان في بيت أبي طالب

قالت فاطمة بنت أسد: كان في بستان دارنا نخلات، وكان أوّل إدراك الرّطب، وكان أربعون صبيّاً من أتراب محمّد (ص) يدخلون علينا كلّ يومٍ في البستان ويلتقطون ما يسقط، فما رأيت قط محمّداً أخذ رطبة من يد صبيّ سبق إليها، والآخرون يختلس بعضهم من بعضٍ. وكنت كلّ يوم ألتقط لمحمّد، حفنة فما فوقها، وكذلك جاريتي.

فاتّفق يوماً أن نسيت أن ألتقط له شيئاً ونسيت جاريتي، وكان محمّد (صلى الله عليه وآله) نائماً ودخل الصّبيان وأخذوا كلّ ما سقط من الرّطب وانصرفوا، فنمت فوضعت الكمّ على وجهي حياءً من محمّد إذا انتبه.

قالت فاطمة: فانتبه محمد (صلى الله عليه وآله) ودخل البستان فلم ير رطبة على الأرض، فانصرف، فقالت له الجارية: انّا نسينا أن نلتقط شيئاً والصبيان دخلوا وأكلوا جميع ما كان قد سقط. قالت: فانصرف محمّد (صلى الله عليه وآله) إلى البستان وأشار إلى نخلة وقال: أيّتها الشجرة: أنا جائع.

قالت: فرأيت الشجرة قد وضعت أغصانها التي عليها الرطب حتى أكل منها محمّد صلى الله عليه وآله) ما أراد، ثم ارتفعت إلى موضعها.

قالت فاطمة: فتعجّبت وكان أبو طالب قد خرج من الدار وكلّ يوم إذا رجع وقرع الباب كنت أقول للجارية حتى تفتح الباب.

فقرع أبو طالب فعدوت حافية إليه وفتحت الباب وحكيت له ما رأيت، فقال: هو إنّما يكون نبيّاً وأنت تلدين وزيره بعد ثلاثين.

فولدت علياً (ع) كما قال[1].

(١) الخرائج والجرائح، ج١، ص١٣٩.

رحلة مع أبي طالب إلى الشام

روي الصّدوق بسنده عن ابن عبّاس، عن أبيه العباس بن عبد المطلّب، عن أبي طالب قال: خرجت إلى الشام تاجراً سنة ثمان من مولد النبي (صلى الله عليه وآله) وكان في أشدّ ما يكون من الحر، فلمّا أجمعت على السّير قال لي رجال من قومي: ما تريد أن تفعل بمحمّد، وعلى من تخلّفه؟ فقلت: لا أريد أن أخلّفه على أحد من الناس، أريد أن يكون معي، فقيل: غلام صغير في حرّ مثل هذا تخرجه معك؟

فقلت: والله لا يفارقني حيثما توجّهت أبداً فإنّي لاوطّىء له الرّحل، فذهبت فحشوت له حشية (كساء وكتّاناً) وكنّا ركباناً كثيراً، فكان والله البعير الذي عليه محمد (صلى الله عليه وآله) أمامي لا يفارقني وكان يسبق الركب كلّهم، فكان إذا اشتد الحرّ جاءت سحابة بيضاء مثل قطعة ثلج فتسلّم عليه فتقف على رأسه لا تفارقه، وكانت ربما أمطرت علينا السحابة بأنواع الفواكه وهي تسير معنا، وضاق الماء بنا في طريقنا حتى كنّا لا نصيب قربة إلا بدينارين، وكنّا حيث ما نزلنا تمتلىء الحياض ويكثر الماء وتخضرّ الأرض، فكنّا في كل خصب وطيب من الخير، وكان معنا قوم قد وقفت جمالهم فمشى إليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومسح يده عليها فسارت، فلمّا قربنا من بصرى الشّام[1] إذا نحن بصومعة قد أقبلت تمشي كما تمشي الدّابة السريعة حتّى إذا قربت منّا وقفت وإذا فيها راهب، وكانت السحابة لا تفارق رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساعة واحدة، وكان الرّاهب لا يكلّم النّاس ولا يدري ما الركب ولا ما فيه من التجارة، فلمّا نظر إلى النبي (صلى الله عليه وآله) عرفه فسمعته يقول: إن كان أحد فأنت أنت.

(١) مدين حوران فتحت صلحاً لخمس بقين من ربيع الأوّل سنة ثلاث عشرة، وهي أوّل مدينة فتحت بالشّام. راجع معجم البلدان، ج٢، ص٣١٧.

قال: فنزلنا تحت شجرة عظيمة قريبة من الراهب قليلة الأغصان ليس لها حمل، وكانت الركبان ينزلون تحتها، فلمّا نزلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) اهتزّت الشجرة وألقت أغصانها على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحملت من ثلاثة أنواع من الفاكهة، فاكهتان للصّيف وفاكهة للشّتاء، فتعجب جميع من معنا من ذلك.

فلمّا رأى بحيرى الرّاهب ذلك ذهب فاتخذ لرسول الله (صلى الله عليه وآله) طعاماً بقدر ما يكفيه، ثمّ جاء وقال: من يتولى أمر هذا الغلام؟

فقلت: أنا، فقال: أي شيء تكون منه؟

فقلت: أنا عمّه.

فقال: يا هذا إن له أعمامٌ فأيّ الأعمام أنت؟

فقلت: أنا أخو أبيه من أم واحدة.

فقال: أشهد أنه هو وإلا فلست بحيرى.

ثم قال لي: يا هذا تأذن لي أن أقرّب هذا الطعام منه ليأكله؟

فقلت له: قرّبه إليه، ورأيته كارهاً لذلك، والتفتّ إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقلت: يا بنيّ رجل أحبّ أن يكرمك فكل. فقال: هو لي دون أصحابي؟ فقال بحيرى: نعم هو لك خاصة.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): فإنّي لا آكل دون هؤلاء. فقال بحيرى: إنّه لم يكن عندي أكثر من هذا!

فقال: أفتأذن يا بحيرى أن يأكلوا معي؟

فقال: بلى. فقال: كلوا بسم الله، فأكل وأكلنا معه فوالله لقد كنّا مائة وسبعين رجلاً وأكل كل واحد منّا حتى شبع وتجشّأ، وبحيرى قائم على رأس رسول الله (صلى الله عليه وآله) يذبّ عنه ويتعجّب من كثرة الرجال وقلّة الطعام، وفي كلّ ساعة يقبّل رأسه ويافوخه ويقول: هو هو ورب المسيح، والنّاس لا يفقهون. فقال له رجل من الرّكب: إن لك لشأناً قد كنّا نمرّ بك قبل اليوم فلا تفعل بنا هذا البر؟!

فقال بحيرى: والله إن لي لشأناً وشأناً، وإنّي لأرى ما لا ترون وأعلم ما لا تعلمون، وإن تحت هذه الشجرة لغلاماً لو أنتم تعلمون منه ما أعلم لحملتموه على أعناقكم حتى تردّوه إلى وطنه، والله ما أكرمتكم إلاّ له، ولقد رأيت له - وقد أقبل - نوراً أضاء له ما بين السّماء والأرض، ولقد رأيت رجالاً في أيديهم مراوح الياقوت والزبرجد يروّحونه، وآخرون ينثرون عليه أنواع الفواكه، ثم هذه السحابة لا تفارقه، ثم صومعتي مشت إليه كما تمشي الدّابة على رجلها، ثم هذه الشجرة لم تزل يابسة قليلة الأغصان ولقد كثرت أغصانها واهتزّت وحملت ثلاثة أنواع من الفواكه، فاكهتان للصّيف وفاكهة للشّتاء، ثم هذه الحياض التي غارت وذهب ماؤها أيّام تمرّج بني إسرائيل بعد الحواريّين حين وردوا عليهم، فوجدنا في كتاب شمعون الصّفا أنّه دعا عليهم فغارت وذهب ماؤها ثمّ قال: متى ما رأيتم قد ظهر في هذه الحياض الماء فاعلموا أنّه لأجل نبيّ يخرج في أرض تهامة مهاجراً إلى المدينة، اسمه في قومه الأمين وفي السماء أحمد وهو من عترة إسماعيل بن إبراهيم لصلبه. فوالله إنّه لهو.

ثم قال بحيرى: يا غلام أسألك عن ثلاث خصال بحق اللات والعزّى إلا ما أخبرتنيها فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند ذكر اللات والعزّى وقال: لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً كبغضهما، وإنّما هما صنمان من حجارة لقومي.

فقال بحيرى: هذه واحدة، ثم قال: فبالله إلاّ ما أخبرتني.

فقال: سل عمّا بدا لك فإنّك قد سألتني بإلهي وإلهك الذي ليس كمثله شيء.

فقال: اسألك عن نومك ويقظتك، فأخبره عن نومه ويقظته وأموره وجميع شأنه، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته التي عنده، فانكبّ عليه بحيرى، فقبّل رجليه وقال: يا بنيّ ما أطيبك وأطيب ريحك، يا أكثر النبيّين أتباعاً يا من بهاء نور الدنيا من نوره، يا من بذكره تعمر المساجد، كأنّي بك قد قدت الأجناد والخيل وقد تبعك العرب والعجم طوعاً وكرهاً، وكأنّي باللات والعزّى وقد كسرتهما وقد صار البيت العتيق لا يملكه غيرك، تضع مفاتيحه حيث تريد، كم من بطل من قريش والعرب تصرعه، معك مفاتيح الجنان والنّيران، معك الذبح الأكبر وهلاك الأصنام، أنت الذي لا تقوم الساعة حتّى تدخل الملوك كلّها في دينك صاغرة قميئة. فلم يزل يقبّل يديه مرّة ورجليه مرّة ويقول: لئن أدركت زمانك لأضربنّ بين يديك بالسّيف ضرب الزّند بالزّند، أنت سيد ولد آدم وسيد المرسلين وإمام المتّقين وخاتم النبيّين، والله لقد ضحكت الأرض يوم ولدت فهي ضاحكة إلى يوم القيامة فرحاً بك، والله لقد بكت البيع والأصنام والشّياطين فهي باكية إلى يوم القيامة، أنت دعوة إبراهيم وبشرى عيسى، أنت المقدّس المطهّر من أنجاس الجاهليّة.

ثم التفت إلى أبي طالب وقال: ما يكون هذا الغلام منك فإنّي أراك لا تفارقه؟ فقال أبو طالب: هو إبني.

فقال: ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون والده الذي ولّده حيّاً ولا أمّه. فقال: إنّه ابن أخي وقد مات أبوه وأمّه حاملة به، وماتت أمه وهو ابن ست سنين. فقال: صدقت، هكذا هو ولكن أرى لك أن تردّه إلى بلده عن هذا الوجه فإنه ما بقي على ظهر

الأرض يهوديّ ولا نصرانيٌّ ولا صاحب كتاب إلاّ وقد علم بولادة هذا الغلام. ولئن رأوه وعرفوا منه ما قد عرفت أنا منه ليبغيته شراً، وأكثر ذلك هؤلاء اليهود.

فقال أبو طالب: ولم ذلك؟

قال: لأنّه كان لابن أخيك هذا النبوّة والرّسالة ويأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى.

فقال أبو طالب: كلاّ إن شاء الله لم يكن الله ليضيعه[1] ...

حوار النّبي (ص) مع سادن الكعبة

وفي إثبات الوصيّة: كانت فاطمة - بنت أسد - لا تفارق رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ليل ولا نهار، ولا تغفل عنه وعن خدمته، وتتفقّد مطعمه ومشربه، فكان (صلى الله عليه وآله) يسميها أمّي، وهجرت الأصنام ... وتسلّت برسول الله (صلى الله عليه وآله) وخدمته عن كل شيء، فلمّا قطعت عادتها وجد عليها السّدنة من ذلك ومنعوها من الدّخول على الصّنم الأعظم، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحضر قريشاً في مشاهدهم كلّها غير السّجود للأصنام والذّبائح للأنصاب وفي حال شرب الخمر ووصف الشعر وقول الزّور فإنّه كان يجتنبهم مذ كان طفلاً حتى استكمل فدخل يوماً على سادن من سدنة الأصنام فقال له: لم تعنت على أمّي فاطمة وتمنعها من زيارة هذه الأحجار المؤثرة فينا الاعتبار؟ فقال له السادن: لأنّها أتت بأمور متشابهة وقطعت بر الآلهة، وهي لمن عبدها نافعة ولمن جاء إليها شافعة، وستعلم ابنة أسد أنّها لا ترزقها ولداً، فقال له النّبي (صلى الله عليه وآله): الأصنام ترزقكم الولدان وتأتيكم بالغيث

(١) كمال الدّين ج١، ص١٨٢، بحار الأنوار، ج١٥، ص١٩٢، أعلام الورى، ص٢٧.

عند المحل في السّنوات الشداد؟!

قال له السادن: نعم! أو ما علمت نحن نحمد ذلك عند الأصنام عاجلاً في الفاقة وآجلاً مدخراً، والتفت إلى السّدنة فقال: هذا غلام مات أبوه وجده وأمه وظئره وهو طفل، فكفله من لا يعبأ به ولا يدله على رشده وهو عمه وامرأة عمه، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): فأخبرني عن هذه الأصنام من خلقها ومن ابتدع الأمم السالفة ورزقها؟

قال السادن: الله فعل ذلك، وهو لجميع الخلق مالك.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): فإن أمّي تجعل قربانها لله الحي القائم القديم، فهو أحق من الأصنام[1] ...

المعصوم الثاني

فاطمة الزّهراء (ع)

هويّة المعصوم الثّاني
فاطمة الزّهراء(ع)

الاسم: فاطمة(ع).

ألقابها المشهورة: الزّهراء، الصّدّيقة، الكبرى، الطّاهرة، الرّاضية، المرضيّة، الحوراء، الإنسيّة، البتول، المحدّثة، و....

الكنية: أم الحسنين، أمّ أبيها، أمّ الأئمّة.

الأب والأمّ: محمّد رسول الله(ص)، خديجة الكبرى(ع).

تاريخ ومحلّ الولادة: ولدت(ع) قبل طلوع الفجر من يوم الجمعة «٢٠» جمادي الثّانيّة في السّنة الخامسة من البعثة النّبويّة الشّريفة في مكّة.

تاريخ الهجرة والزّواج: هاجرت(ع) مع الإمام عليّ(ع) إلى المدينة، وعمرها ثمان سنوات تقريباً، وتزوّجت من عليّ(ع) في السّنة الثّانية من الهجرة أوّل ذي الحجّة.

أولادها: لها(ع) خمسة أولاد، الإمام الحسن(ع)، والإمام الحسين(ع)، زينب(ع)، أُمُّ كلثوم(ع)، ومحسن(ع).

تاريخ ومحلّ الشّهادة: استشهدت(ع) بين صلاة المغرب والعشاء في «١٣» و «١٥» جمادي الأولى: أو الثّالث من جمادي الثّانية سنة «١١» من الهجرة عن عمر يناهز الثّماني عشرة سنة في المدينة.

مرقدها الشريف: في إحدى هذه المواقع: ١ - إلى جانب مرقد النّبيّ الأكرم(ص)، ٢ - في البقيع، ٣ - بين المنبر ومرقد النّبيّ(ص) في مسجد النّبيّ(ص).

أدوار عمرها الشّريف تنقسم إلى مرحلتين:

١ - مرحلة الملازمة مع الأب والزّوج.

٢ - مرحلة ما بعد وفاة النّبيّ(ص) التي دامت لعدة أشهر، ولكنّها مهمّة جدّاً من النّاحية السّياسيّة والاجتماعيّة.

١ - الرّسول(ص) يهنّئ فاطمة وعليّ(ع) ويعظهما:

مرّ رسول الله(ص) بعد انقضاء أيّام من زواج عليّ(ع) وفاطمة(ع) المبارك على دار فاطمة(ع) وبارك لهما وهنأهما، وبعد ساعة خرج عليّ(ع) من البيت وخلا الرّسول(ص) بابنته فقال(ص): لها: كيف أنت يا بنيَّة؟ وكيف رأيت زوجك؟

قالت له فاطمة(ع): يا أبة، خير زوج إلاّ أنّه دخل عليَّ نساءٌ من قريش وقلن لي: زوَّجكِ رسولُ الله(ص) من فقير لا مال له.

فقال لها رسول الله(ص): يا بنيّة ما أبوك بفقير ولا بعلك بفقير ولقد عُرِضت عليّ خزائن الأرض من الذّهب والفضة، فاخترت ما عند ربّي عزّ وجلّ. يا بنيّة، لو تعلمين ما عَلِمَ أبوك لسمجت الدّنيا في عينيكِ، والله يا بنيّة ما آليتُكِ نصحاً أنْ زوجتكِ أقدمهم إسلاماً، وأكثرَهم علماً، وأعظمَهم حِلْماً، يا بنيّة: إن الله عزّ وجلّ إطّلع إلى الأرض إطّلاعةً فاختار من أهلها رجلين، فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك. ثم قال:

«يا بنيّة: نِعْمَ الزوج زوجك لا تعصي لهُ أمراً».

ثمّ دعا رسول الله(ص) عليّاً(ع): وقال له: أدخل بيتك والطف بزوجتك وأرفق بها، «فإنّ فاطمة بضْعَةٌ منّي، يُؤلمني ما يؤلمها، ويسّرني ما يسرّها، استودعكما الله وأستخلفه عَلَيكُما».

ثم قال عليّ(ع) في شأن الزّهراء(ع): «فوالله ما أغْضَبْتُها ولا أكْرَهْتُها على أمْر حتى قَبَضَها الله عزّ وجلّ إليه، ولا أغْضَبَتني ولا عصتْ لي أمراً، ولقدْ كنت أنظر إليها فيُكشف عني الهموم والأحزان»(١).

٢ - أفضل شيء للمرأة في منظور الزّهراء(ع):

روي عن عليّ(ع) قال: كنّا جلوساً عند رسول الله(ص) فقال: «أخبرُوني أيُّ شيء خَيْرٌ للنساءِ».

فعيينا بذلك كلّنا حتّى تفرَّقنا، فرجعْتُ إلى فاطمة(ع) فأخبرتها الذي قال لنا رسول الله(ص) وليس أحد منّا عَلِمَه ولا عَرَفه.

فقالت فاطمة(ع): ولكنّي أعْرِفُه، خيرٌ للنّساء أنْ لا يَرَيْنَ الرّجالَ ولا يراهُنّ الرِّجال».

ورد في بعض العبارات: «أن ترى رجُلاً ولا يراها رجُلٌ».

فرجع الإمام عليّ(ع) إلى رسول الله(ص) فقلت: يا رسول الله سألتنا أيُّ شيء خير للنّساء وخير لهنَّ أن لا يرين الرّجال ولا يراهنّ الرّجال.

قال رسول الله(ص): من أخبرك فلم تَعْلَمْهُ وأنت عندي؟

قلت: فاطمة(ع).

(١) بيت الأحزان: ص ٦٢ - ٦٣.

فأعجب ذلك رسول الله(ص) وقال: «إنَّ فاطمةَ بضعةٌ منّي»(١).

٣ - اهتمام فاطمة الزّهراء(ع) بالحديث النّبوي:

لم تمرّ عدّةٌ أيّامٍ على وفاة النّبيّ الأكرم(ص) حتى جاء رجلٌ إلى فاطمة(ع) فقال: يا ابنة رسول الله هل ترك رسولُ الله عندك شيئاً تطرفينيه؟

فقالت فاطمة(ع): يا جارية هات تلك الصحيفة.

بحثت عنها الجارية فلم تجدها، فقالت فاطمة(ع):

«وَيْحكِ أُطلُبيها فإنّها تَعْدِلُ عندي حسناً وحُسيناً».

بحثت عنها مرّة أخرى فإذا هي قد وضعتها في قمامتها فنظفتها وجاءت بها إلى فاطمة(ع) فقرأتها لذلك الرّجل فإذا فيها.

قال محمّد النّبيّ(ص):

«ليسَ مِنَ المؤمنين منْ لم يأمَنْ جارُهُ بُوائِقَه، ومَنْ كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخر فلا يُؤذي جارَهُ، ومَنْ كانَ يؤمن بالله واليومِ الآخر فَلْيَقُلْ خيراً أو يسكُت، إنّ الله يُحِبّ الخَيِّرَ الحَليم المُتعفف، ويبغض الفاحشَ الضّنينِ السَّئَال المُلحِفَ(٢). إنّ الحياءَ مِنَ الإيمان، والإيمانُ في الجنّةِ، وإنّ الفُحشَ مِنَ البذاءِ، والبَذاءُ في النار»(٣).

٤ - بركة عِقد الزّهراء(ع):

صلّى رسول الله(ص) بالمسلمين ذات يوم، ولمّا فَرِغَ من صلاته جلسَ في مصلاّهُ والنّاس حوله، فبيناهم كذلك إذا أقبل إليه شيخٌ طاعنٌ في السّن فقيرُ الحال وهو لا

(١) كشف الغمة: ج٢، ص ٢٣ - ٢٤ - بحار الأنوار: ج٤٣، ص ٥٤.
(٢) المراد منه: الذي يمد يد المعونة لهذا وذاك.
(٣) دلائل الإمامة: للطّبري، ص ١ - سفينة البحار: ج١، ص ٢٣١.

يكاد يتمالك كَبْراً وضُعفاً.

فقال: يا نبيّ الله أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فارشني.

ولم يجد النّبيّ الأكرم(ص) شيئاً ينفقه عليه فقال: ما أجد لك شيئاً ولكن الدّالّ على الخير كفاعِلِهِ.

يا بلال قُمْ فقِفْ به على منزل فاطمة. فانطلق الأعرابيُّ مع بلال، فوقف على باب فاطمة ونادى بأعلى صوته: السّلامُ عليكم يا أهلَ بيت النّبوّة ....، ثم حكى لها قصّته.

ولم تكن فاطمة ولا زوجها ولا أبوها قد طعموا طعاماً خلال ثلاث ليالٍ.

فعمدت الزّهراء(ع) - على ما بها من الجوع أن تستجيب لهذا الشّيخ الفقير - إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبد المطلب (ره)، فقطعته من عنقها وأعطته إلى الأعرابي فقالت: خذه وبعه عسى الله أن يعوّضك به ما هو خير منه.

فأخذ الأعرابي العقد وانطلق مسروراً إلى مسجد رسول الله(ص) والنّبيّ(ص) جالس مع أصحابه فقال: يا رسول الله أعطتني فاطمة هذا العقد وقالت: بعه عسى الله أن يصنع لك.

فلمّا سمع رسول الله(ص) كلام الأعرابي، بكى وقال: وكيف لا يصنع الله لك وقد أعطتكه فاطمة بنت محمّد سيّدة بنات آدم.

فعرض الشّيخ العقد للبيع.

فقال عمّار بن ياسر(ره): بكم العِقْدُ يا أعرابي؟

قال الأعرابي: بشبعة من الخبز واللّحم، وبردة يمانيّة أستر بها عورتي وأصلّي فيها لربّي، ودينار يبلّغني إلى أهلي.

وكان عمّار (رحمه الله) قد باع سهمه الذي أعطاه رسول الله(ص) من خيبر فقال للأعرابي لك عشرون ديناراً ومائتا درهم هجريّة وبردة يمانيّة وراحلتي تبلّغك أهلك وشبعك من خبز البُرّ واللّحم.

ففرح الأعرابي بما سمع بذل عمّار (رحمه الله) في شراء العقد وشكره على ذلك ثم رخى يده داعياً فقال.

«اللهم أعطِ فاطمةُ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت».

فقال رسول الله(ص): آمين.

فعمد عمّار (رحمه الله) إلى العقد، فطيّبه بالمسك، ولفّه في بردة يمانيّة، وكان له عبد اسمه (سهم) ابتاعه من ذلك السّهم الذي أصابه بخيبر، فدفع العقد إلى المملوك وقال له: خذ هذا العقد فادفعه إلى رسول الله(ص) وأنت له.

فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول الله(ص) وأخبره، بقول عمّار (رحمه الله).

فقال النّبيّ(ص): انطلق إلى فاطمة فادفع إليها العقد وأنت لها.

فجاء سهم بالعقد وأخبرها بقول رسول الله(ص) فأخذت فاطمة العقد وأعتقت سهماً المملوك.

فضحك الغلام سهم فقالت فاطمة(ع): ما يضحك يا غلام؟

فقال سهم: أضحكني عِظَمُ بركة هذا العقد، أشبع جائعاً، وكسى عرياناً، وأغنى فقيراً وأعتق عبداً، ورجع إلى صاحبه(١).

---

(١) بشارة المصطفى: ص ١٦٧ بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٥٦ - ٥٨.

٥ - فاطمة(ع) في الجبهة:

لمّا كانت السّنة الخامسة للهجرة وجاء المشركون يحبش جرار لحرب النّبيّ الأكرم(ص) في معركة الأحزاب، أمر النّبيّ(ص) المسلمين بحفر الخندق ليمنع المشركين من دخول المدينة، وكان النّبيّ(ص) يشارك المسلمين في حفر الخندق، وفي هذه الأيّام كانت الظُّروف قاسيّة وصعبة حتى أنّ الرّسول الأعظم(ص) وأصحابه كانوا يظلّون أيّاماً عديدة بلا طعام.

في أحد الأيّام خبزت فاطمة(ع) رغيفاً من الخبز وجاءت بقطعة مِنْهُ إلى جبهة القتال وأعطته للرّسول الأعظم(ص) فقال لها رسول الله(ص): ما هذا يا فاطمة؟

قالت(ع): من قرص اختبزته لإبنيّ جِئْتُك منه بهذه الكسرة.

فقال(ص): يا بنيّة، أمّا إنّها لأوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيّام[1].

٦ - مكانة الزّهراء(ع) عند النّبيّ الأكرم(ص):

قالت عائشة إحدى زوجات الرّسول(ص): ما رأيت من النّاس أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله(ص) من فاطمة، كانت إذا دخَلَتْ عليه رحَّب بها وقبَّلَ يديها وأجلسها في مجلسه فإذا دخل عليها قامت إليه فرحّبت به وقبَّلتْ يديه ودَخَلَتْ عليه في مرضه فسارَّها فبكت ثم سارَّها فضحكت.

فقلت في نفسي: كنت أرى بهذه فضلاً على النّساء فبينما هي تبكي إذ ضحكت.

فسألتها عن ذلك، فقالت(ع): إذاً إنّي لَبِذْرَةٌ، (أيّ أنّي بذلك أفشي السّر، وإفشاء

---

(١) مجمع البيان ج٩ ص ٢٥٢.

الأسرار قبيح لا أفعله)، فلمّا توفّي رسول الله(ص) سألتُها.

فقالت فاطمة(ع): إنّه أخبرني أنّه يموت فبكيت، ثم أخبرني أنّي أوّل أهله لحوقاً به فضحكت[1].

٧ - زهد فاطمة الزّهراء(ع):

كان النّبيّ الأكرم(ص) إذا سافر يبدأ عند قدومه بفاطمة(ع)، فيدخل عليها ويطيل عندها المَكْثَ، فخرج مرَّةً في سفرٍ فقامت فاطمة(ع) عند غيابه بأمورٍ أربعةٍ لتزيّن بيتها ونفسها.

١ - مسكتين من ورق (معصم من فضة) ٢ - قلاّدة ٣ - قرطين ٤ - ستاراً لباب البيت، لقدوم أبيها وزوجها(ع).

فلما قدم رسول الله(ص) دخل عليها فوقف أصحابهُ على الباب لا يدرون يقفون أو ينصرفون لطول مَكْثِهِ عندها فخرج عليهم رسول الله(ص) وقد عُرِفَ الغضبُ في وجهه حتى جلس عند المنبر.

فظنّت فاطمة(ع) أنّه إنّما فعل ذلك رسول الله(ص) لمّا رأى من المسكتين والقلاّدة والقرطين والسّتر، فنزعت قلاّدتها وقرطيها ومسكتيها، ونزعت السّتر، فبعثت به إلى رسول الله(ص) وقالت لرسولها: قل له: تقرأ عليك ابنتك السّلام وتقول: اجعل هذا في سبيل الله:

فلمّا أتاه قال(ص): «فعلت فداها أبوها.» ثلاث مّرات، ثم قال: «ليست الدّنيا من محمد ولا من آل محمّد ولو كانت الدّنيا تعدل عند الله من الخير جناحَ بعُوضةٍ ما سقى

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢٥.

فيها كافراً شربة ماء.» ثم قام فدخل عليها[١].

وبهذه الصّور أعطى النّبيّ الأكرم(ص) درساً في نفي التجمّل والزينة المفرطة. فكان جواب فاطمة(ع) الطاعة والانقياد لقائدها ونبيّها.

٨ - الدّفاع عن الحقّ:

تقع «فدك» وهي من قرى خيبر العامرة بالزّراعة - على بعد «١٢٠» كيلو متر عن المدينة - وكانت ذات مياه وفيرة ونخل كثير، وكانت بيد اليهود، فلمّا كانت السّنة السّابعة للهجرة توجه المسلمون بقيادة النّبيّ الأكرم(ص) إليها بعد فتح خيبر، فلمّا علم اليهود بذلك سلّموها إلى الرسول الأكرم(ص) بدون قتال لذلك أصبحت فدك ملكاً شخصياً للرّسول الأعظم(ص). وعندما نزلت الآية «٢٦» من سورة الإسراء: - «وآتِ ذا القُرْبَى حَقّهُ».

أعطى النّبيّ الأكرم(ص) فدكاً إلى فاطمة(ع)[٢]:

وبعد وفاة الرّسول الأعظم(ص) أخذ أبو بكر فدكاً من فاطمة(ع) وأخرج عامليها منها، تحدّثت فاطمة(ع) مع أبي بكر عدّة مرّات تدافع عن حقّها في إرجاع فدك إليها.

في أحد المرّات سألها أبو بكر: أنت تدّعين بأنّ فدكاً ملك لك، فهل عندك من يشهد بذلك؟

رجعت فاطمة(ع) وأتت بأمّ أيمن شاهداً على صدق قولها!!

كانت أمّ أيمن إمرأة محترمة جليلة وقد بشّرها رسول الله(ص) بالجنّة.

(١) آمالي الصدوق (ره) بحار الأنوار: ج ٤٣ / ص ٣٠.

(٢) ميزان الاعتدال: ج٢، ص ٢٨٨ - كنز العمّال: ج٢، ص ٥٨.

فجاءت إلى أبي بكر وقالت له:

- أشهد أنّ رسول الله(ص) عندما نزلت الآية «٢٦» من سورة الإسراء وهب فدكاً لفاطمة.

ثم جاء عليّ(ع) وشهد بذلك أيضاً، فثبت هذا الأمر لدى أبي بكر فكتب بإرجاع فدك إلى فاطمة(ع).

عندما سمع عمر بن الخطاب بما حصل، اعترض بشدّة على أبي بكر، إلى فاطمة وأخذ منها كتاب أبي بكر ومزّقه وقال:

إنّ فدكاً ملك لجميع المسلمين، وإنّ رسول الله(ص) قال: ما تركته فهو صدقة، أما شهادة عليّ(ع) فهو زوج فاطمة ويريد أن يجرّ النفع إليه فشهادته غير مقبولة، وشهادة أمّ أيمن غير كافية لأنها امرأة، ولا يقبل شهادة امرأة واحدة.

فتألمت فاطمة بشدة من عمر وتصرفه الخشن هذا، وغادرت المكان في حزن عظيم[1].

٩ - *اعتراض فاطمة(ع) الشديد إلى آخر العمر:*

بالرغم من أن أبا بكر وعمر لم يرتبا أثراً لدفاع الزّهراء(ع) عن حقها إلا أنها لم تستسلم للباطل ولم تساومه بل بقيت غاضبة على من ظلمها وغصب حقها إلى آخر عمرها الشريف.

فقد ذكر المؤرخون أنه: عندما كانت الزهراء(ع) طريحة على فراش المرض، قدم أبو بكر وعمر إلى الإمام عليّ(ع) وقالا له: قد كان بيننا وبينها ما قد علمت فإن رأيت

(١) أقتبس من بيت الأحزان: ص ١٧٢ - ١٧٣.

أن تأذن لنا فتعتذر إليها من ذنبنا.

قال الإمام عليّ(ع): ذاك إليكما فقاما معه إلى دار الإمام(ع) فجلسا بالباب ودخل عليّ(ع) على فاطمة(ع) فقال لها: «أيتها الحرة فلان وفلان بالباب يريدان أن يُسلّما عليك فما ترين».

قالت فاطمة(ع): البيت بيتك والحُرّةُ زوجتك وافعل ما تشاء.

فقال الإمام عليّ(ع): شدّي قناعك، فشّدت قناعها وحوّلت وجهها إلى الحائط.

فدخلا وسلّما وقالا: إرضي عنا رضي الله عنكِ.

فقالت فاطمة(ع): ما دعاكما إلى هذا.

قالا: اعترفنا بالإساءة ورجونا أن تعفي عنا وترجي سخيمتُكِ.

فقالت فاطمة(ع): فإن كنتما صادقين فاخبراني عما أسألكما عنه فإني لا أسألكما عن أمرٍ إلا وأنا عارفة بأنكما تعلمانه فإن صدقتما علمت أنكما صادقان في مجيئكما.

قالا: سلي عما بدا لكِ.

قالت(ع): نشدتُكما بالله هل سمعتما رسول الله(ص) يقول: «فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني؟»

قالا: نعم.

فرفعت يدها (ص) إلى السماء فقالت: «اللّهُمّ أنّهما قَدْ آذياني فأنا أشكوهُما إليك وإلى رَسُولِكَ لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله وأخبِرُهُ بما صنعتما فيكون هو الحاكم».

فيأسا من كسب رضاها فخرجا من عندها خائبين، فأما أبو بكر فأخذ يبكي جزعاً ويقول: الويل لي.

فقال عمر: يا خليفة رسول الله(ص)!!! أتجزع من كلام امرأة[١].

١٠ - إلتزام الزهراء(ع) بالآداب الإسلامية:

إنّ من مستحبات الصلاة إستعمال الطيب والصلاة بثوب نظيف والصلاة بخشوع وتوجه إلى الله تعالى.

قالت الزهراء(ع) في آخر لحظات عمرها الشريف - ولم يبق من آذان المغرب ووقت صلاة المغرب سوى لحظات - لأسماء بنت عميس: هاتي طيبي الذي أتطيب به، وهاتي ثيابي التي أصّلي فيها، فتوضأت وفي هذه الأثناء انقلب حالها فوضعت رأسها فقالت لها: اجلسي عند رأسي فإذا جاء وقت الصلاة فأقيميني فإن قمتُ وإلا فأرسلي إلي عليّ كي تخبريه بموتي.

وتقول أسماء: فلمّا جاء وقت الصلاة قلت:

«الصلاة يا بنت رسول الله».

فلم أسمع جواباً، فإذا هي قد قبضت[٢].

يجب أن نتعلم من الزهراء الطاهرة(ع) درس النظافة والالتزام بآداب الإسلام وكيف أنها استعدت للصلاة قبل دخول وقتها ولبست ثوب الصلاة وتعطرت للصلاة قبل دخول وقتها.

---

(١) كتاب سليم بن قيس (ره): ص ٣٥٤.

(٢) كشف الغمّة: ج٢، ص ٦٢.

لوح الزهراء تزهر!!

قال الصادق(ع): قال أبي لجابر بن عبد الله الأنصاري - وهو من الموالين المخلصين لمحمد وآله (ع) - إن لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلو بك وأسألك عنها؟

فقال له جابر: أي الأوقات أحببته. فخلا به بعض الأيّام.

فقال له: يا جابر، أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة (ع) بنت رسول الله، وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب؟

فقال جابر: أشهد بالله أني دخلت على أمك فاطمة(ع) في حياة رسول الله (ص) فهنيتها بولادة الحسين (ع)، ورأيت في يدها لوحاً أخضر، ظننت أنه من زمرد، ورأيت فيه كتاباً أبيض سبه لون الشمس فقلت لها: بأبي وأمي يا بنت رسول الله (ص)، ما هذا اللوح؟

فقالت فاطمة(ع): هذا لوح أهداه الله إلى رسوله(ص) فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابنيّ - الحسن والحسين(ع) واسم الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أبي يبشرّني بذلك.

قال جابر: فأعطتنيه أمك فاطمة(ع) فقرأته واستنسخته.

فقال الباقر(ع): فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ؟

قال: نعم.

فمشى معه إلى منزل جابر فأخرج صحيفة من رقّ - جلد مدبوغ - فقال(ع).

يا جابر، انظر في كتابك - اللوح - لأقرأ أنا عليك، فنظر جابر في نسخته فقرأه

أبي، فما خالف حرف حرفاً.

فقال جابر: فأشهد بالله أني رأيته في اللوح مكتوباً.

الطبق الإلهي !!

قال أبو جعفر الباقر(ع): قال النبي(ص) لفاطمة(ع): يا فاطمة، قومي فاخرجي تلك الصفحة - إناء -.

فقامت فأخرجت صفحة فيها ثريد وعراق يفور، فأكل النبي (ص) وعلي و فاطمة والحسن والحسين(ع) - من ذاك الطعام الجناني - ثلاثة عشر يوماً.

ثم انّ ام أيمن رأت الحسين (ع) معه شيء، فقالت له: من أين لك هذا؟

فقال الحسين(ع): إنّا لنأكله منذ أيام.

فأتت أم أيمن - وهي من القانتات ومن شيعة أهل البيت(ع) الى فاطمة(ع).

فقالت: يا فاطمة، إذا كان عند ام أيمن شيء فإنما هو لفاطمة وولدها(ع)، وإذا كان عندك شيء فليس لام أيمن منه شيء؟

فأخرجت لها منه - والثريد والعراق - فأكلت منه أم أيمن ونفذت الصفحة.

فقال لها النبي(ص): أما لو لا أنك أطعمتها، لأكلت منها أنت وذريتك إلى أن تقوم الساعة.

ثم قال الباقر(ع): والصفحة عندنا يخرج بها قائمنا (ع) في زمانه[1].

(١) ج١: ٤٦٠ (٥٣٢) ح٧

مواجهة الزهراء[ع] لعمر!!

قال الباقر والصادق(ع): إن فاطمة (ع) لما أن كان من أمرهم ما كان من خلقهم المآسي وغصب إرث الزهراء(ع) وخلافة - علي(ع) أخذت بتلابيب عمر بن الخطاب فجذبته اليها، ثم قالت (ع) أما والله يا ابن الخطاب - لو لا أني أكره أن يصيب إليك من لا ذنب له لعلمت أني سأقسم على الله ثم أجده سريع الاجابة[١].

عطية النبي[ص] لفاطمة[ع]!!

قال أبو عبد الله الصادق (ع): جاءت فاطمة(ع) تشكو إلى رسول الله(ص) بعض أمرها - من المتاعب والصعاب -.

فأعطاه رسول الله(ص) كريسة - كراسة صغيرة- وقال (ص): تعلمي ما فيها.

فإذا فيها : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يؤذي جاره.

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت[٢].

وهذا مصحف فاطمة[ع]!!

كان الامام الصادق(ع) يدأب في تحذير أصحابه من خطر الزنادقة ومنكري وجود الباري عزّ وجلّ وتسرب آرائهم، ويوصيهم ان يصدّوا أمامهم ويأخذوا حذرهم منهم

(١) المصدرح ٥ .

(٢) ج٢: ٦٦٧ (٦٣٤) ح٦ .

ويدافعوا عن الدين بكل جدّ واجتهاد.

فقال حمّاد بن عثمان: سمعت أبا عبد الله الصادق(ع) يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة(ع).

قال حمّاد: وما مصحف فاطمة(ع).

قال الصادق(ع): إن الله عزّ وجل لّما قبض نبيه(ص)، دخل على فاطمة(ع) من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل. فأرسل الله إليها ملكاً يسلّي غمّها ويحدّثها - فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين(ع) فقال(ع): إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي.

فأعلمته بذلك - لما أحست بمجيئه - فجعل أمير المؤمنين(ع) يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك ومصحفاً.

ثم قال الصادق(ع): أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون[١].

وسأله بعض أصحابه عن مصحف فاطمة، فسكت الامام الصادق(ع) طويلاً، ثم قال: إنكم لتبحثون عمّا تريدون وعما لا تريدون، إن فاطمة(ع) مكثت بعد رسول الله(ص) خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل (ع) يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها.

وكان علي(ع) يكتب ذلك. فهذا مصحف فاطمة(ع)[٢].

---

(١) ج١: ٢٤٠-٢٤٢ (٢٩٦-٢٩٨)ح٢و٥و٨

(٢) ج١: ٢٤٠-٢٤٢ (٢٩٦-٢٩٨)ح٢و٥و٨

وقال فضيل بن سكرة: دخلت على أبي عبد الله الصادق(ع)، فقال(ع): يا فضيل، أتدري في أي شيء كنت أنظر قبيل دخولك عليّ؟

قلت: لا.

قال(ع): كنت أنظر في كتاب فاطمة(ع)، ليس من ملك يملك الأرض إلا وهو مكتوب فيه باسمه واسم أبيه. وما وجدت - انّ الامامة - لولد الحسن(ع) فيه شيئاً[1].

النّطق بالشّهادة حين الولادة

روى المفضّل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) حديث ولادة فاطمة (عليها السلام) قائلاً: انّ خديجة لما تزوّج بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) هجرتها نسوان مكّة فلم يدخلن عليها ولا يسلّمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمّها حذراً على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلمّا حملت بفاطمة كانت فاطمة تحدّثها من بطنها وتصبّرها ... فلم تزل خديجة على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم لتلين من أمرها ما تلي النساء، فأرسلن إليها: أنت عصيتينا ولم تقبلي قولنا وتزوّجت محمّداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً، فاغتمّت خديجة لذلك، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال، كأنهن من نساء بني هاشم ففزعت منهنّ لمّا رأتهنّ فقالت إحداهنّ: لا تحزني يا خديجة فانا رسل ربك إليك ونحن أخواتك، أنا سارة وهذه آسية بنت مزاحم رفيقتك في الجنة وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها وأخرى عن يسارها والثّالثة بين يديها

---

(١) ج١: ٢٤٠-٢٤٢ (٢٩٦-٢٩٨)ح٢و٥و٨.

والرّابعة من خلفها. فوضعت فاطمة طاهرة مطهّرة، فلمّا سقطت إلى الأرض أشرق منها النّور حتّى دخل بيوتات مكّة ولم يبق في شرق الأرض وغربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النّور، ودخل عشرة من الحور العين كلّ واحدة منهنّ معها طشت من الجنّة وإبريق من الجنّة وفي الإبريق ماء من الكوثر فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها، فغسّلتها بماء الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاوتين أشدّ بياضاً من اللّبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر، فلفّتها بواحدة وقنّعتها بالثّانية. ثم استنطقتها فنطقت فاطمة بالشهادتين وقالت:

«أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن أبي رسول الله سيّد الأنبياء، وأنّ بعلي سيّد الأوصياء، وولدي سادات الأسباط، ثم سلّمت عليهنّ وسمّت كلّ واحدة منهنّ باسمها. وأقبلن يضحكن إليها وتباشرت الحور العين وبشّر أهل السّماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة (عليها السلام)[1] ...

يا أبتاه أين أمّي؟

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أنّ خديجة لمّا توفّيت جعلت فاطمة تلوذ برسول الله (صلى الله عليه وآله) وتدور حوله وتسأله: يا أبتاه أين أمي؟ فجعل النّبي (صلى الله عليه وآله) لا يجيبها، فجعلت تدور وتسأله: «يا أبتاه أين أمّي؟» ورسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يدري ما يقول. فنزل جبرئيل فقال: إن ربّك يأمرك أن تقرأ على فاطمة السّلام وتقول لها: أنّ أمّك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية - امرأة فرعون - ومريم بنت عمران.

فقالت فاطمة: إنّ الله هو السّلام، ومنه السّلام، وإليه السّلام[2].

(١) شجرة طوبى، ص٢٤٧.

(٢) الخرائج والجرائح، ج٢، ص٥٢٩.

المعصوم الثالث

الإمام الأوّل

عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

هويّة المعصوم الثالث
الإمام الأول
الإمام علي[عليه السلام]

الاسم: علي(ع).

اللقب المشهور: أمير المؤمنين(ع).

الكنية: أبو الحسن.

الأب والأم: أبو طالب(ع) وفاطمة بنت أسد (عليها الرحمة).

تاريخ ومحل الولادة: ولد(ع) في «١٣» من رجب، عشر سنوات قبل البعثة النّبوية الشريفة في داخل الكعبة.

مدّة الخلافة: أربع سنوات وتسعة أشهر من سنة «٣٦» إلى «٤٠» للهجرة.

مدة الإمامة: «٣٠» سنة.

تاريخ ومحل الشهادة: أصيب(ع) بسيف البغْي في مسجد الكوفة صبيحة «١٩» رمضان في سنة «٤٠» من الهجرة بيد الملعون عبد الرحمن بن ملجم وأستشهد(ع) في ليلة «٢١» رمضان في الكوفة عن عمر ناهز «٦٣»، مرقده الشريف: في النجف الأشرف.

أدوار مراحل العمر تنقسم إلى أربعة:

١ - مرحلة الطفولة «١٠ سنوات تقريباً».

٢ - مرحلة ملازمة النبي(ص) «٢٣ سنة تقريباً».

٣ - مرحلة الإبعاد عن الخلافة «٢٥ سنة تقريباً».

٤ - مرحلة الخلافة «٤ سنوات و٩ أشهر».

١ - الإمام عليّ(ع) أول القوم إسلاماً:

اعترف المؤرخون والمحدّثون، أن أولَ رجلٍ اعتنق الإسلام واستجاب لدعوة نبي الإسلام(ص) هو الإمام علي(ع)، وجاء إيمانه على الصورة الآتية.

دعا نبيُّ الإسلام(ص) الناسَ إلى الإسلام ثلاث سنوات بعد البعثة بصورة سرّيّة. فكان الإمام عليٌّ(ع) أولَ من آمن بالنبي الأكرم(ص) بعد خديجة الكبرى(ع)، وكان هؤلاء الثلاثة يقيمون صلاة الجماعة بصورة سرية.

أمر الله عزّ وجلّ نبيّه(ص) بعد ثلاث سنوات من البعثة الشريفة بإبلاغ الرّسالة وإظهارها، فنزلت عندها الآية الشريفة «٢١٤» من سورة الشعراء:

﴿وأَنْذِر عَشِيرتكَ الأَقْرَبِينَ﴾.

فجمع رسول الله(ص) أربعين شخصاً من بني هاشم من أعمامه وأبناء أعمامه في دار أبي طالب(ع)[1]، وبعد ما أكلوا أراد رسول الله(ص) أن يبلغ رسالته ويظهرها، بادره أبو لهب بالصّياح والضّجيج فتفرّق القوم، وطبقاً لقول بعضهم. أن أبا لهب قام

(١) قال بعضهم: كانت هذه الدعوة في السنة الثانية من البعثة النبوية.

بنفس العمل في المجلس الثاني الذي رتّبه رسول الله(ص) لدعوته.

ثم بادر(ص) في يوم الثالث وجمع أهله وعشيرته وأمر الإمام عليّ(ع) أن يصنع طعاماً يكفي لـ «٤٠ إلى ٤٥» شخصاً.

ولما حضَرَ الطّعامُ وأكلوا، فَهم أبو لهب أن المجلس معقودٌ لأجل إظهار رسالة النبي الأكرم(ص) فأراد أن يبادر مرّة أخرى لتفريق القوم ولكن حماية أبي طالب والمبادرة السريعة من رسول الله(ص) أفشل مؤامرة أبي لهب فاستطاع أن يبلغ بهذه الصّورة رسالته وقال.

«يا بني عَبْدِ المطلبِ والله ما أعلَمُ شابّاً في العَرب جاءَ قوْمَهُ بأفضلِ ممّا جئتُكُمْ بهِ إنّي قدْ جئتُكُمْ بخير الدُّنيا والآخرة وقد أمرَني الله تعالى أن أدعُوكُم إليه فأيُّكُمْ يُؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وَوَصيّ وخَليفتي فِيكُمْ».

فخيّم سكوتٌ ثقيلٌ على أهل المجلس، فإذاً بشابٍّ يافع يحطم سكوت القوم. وكان هذا الشّاب هو الإمام علي(ع) هو ابن «١٣» سنة تقريباً قام فقال:

«أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه».

فقال له رسول الله(ص): اجلس.

ثم دعاهم رسول الله(ص) ثانية. ولم يُجِبْ سوى علي(ع).

ثم كرر السؤال ثالثاً فلم يُجِبْ سوى علي(ع) أيضاً.

عندها قال النّبيّ الأكرم(ص):

«إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسْمَعُوا لَهُ وأطيعُوه».

فقام القوم كل يقول كلمة، فغضب أبو لهب فقال لأبي طالب باستهزاء:

«قد أمرك محمدٌ أن تَسْمع لابنك وتطيع».

قال أبو طالب(ع): «صه يا أعور، والله لنمنعنّهُ ما بقينا».

وكان لأبي طالب(ع) والد الإمام علي(ع) دورٌ مهمٌ في إدارة الجلسة وتنظيمها وإعلان أبنه البطل بشجاعة فائقة عن وفائه وحمايته للنبي الأكرم(ص)[1].

٢ - نموذج من تضحيات الإمام عليّ(ع):

وقعت غزوة أُحد في السنّة الثّالثة للهجرة، بين المسلمين والمشركين، وكانت حرباً ضارية كادت أن تنتهي لصالح المشركين، فقد انهزم الناس عن رسول الله(ص) لم يثبت معه أحدٌ سوى عليّ(ع) وأبي دجانة الأنصاري. وكان جيش العدو الذي يقوده أبو سفيان يفوق عن خمسة آلاف شخص. يخوضهم أميرهم على التعرض للنبي وقتله.

وكان علي(ع) يصدّ هجمات العدوّ من كلّ جانب ويدور حول النبي(ص) وقاية له من المشركين.

وكلما حاول جماعة من الأعداء أن يحملوا على النبي(ص) يصدهم بضرباته ويفرقهم عنه فاستطاع أن يقتل كثيراً من الأعداء حتى تكسر سيفه البتار وجاء إلى رسول الله(ص) فقال: «يا رسول الله: إنّ الرّجل يُقاتل بسلاحه وقد انكسر سيفي».

فأعطاه رسول الله سيفه المسمى بـ «ذي الفقار».

فأخذ الإمام علي(ع) سيف رسول الله(ص) فشدَّ في المشركين وأخذ يكرّرُ هجماتِه عليهم دون مبالاة، فأصابته جراح كثيرة.

نزل جبرائيل(ع) على رسول الله(ص) وقال:

«يا مُحمّدُ أنّ هذه لَهِي المواساة».

---

(١) الغدير: ٧، ص ٣٥٥ - ٣٥٤ نقلاً عن مدارك كثيرة من أهل السنة.

قال رسول الله(ص):

«إنّهُ منّي وأنا مِنْهُ».

قال جبرائيل(ع).

«وأنا مِنْكُما».

فسمع الناس نداءاً من السماء وهو يقول:

· «لا سَيْفَ إلا ذو الفِقار، ولا فتى إلا علي»[1].

نعم، كانت تضحيات علي(ع) عظيمةً حتى افتخر سيد الرسل(ص) إنه منه، وتمنى أعظم ملائكة الله تعالى وأقربهم إليه جبرائيل(ع) أن يكون منهما(ع)، بمعنى أن يكون له ما للنبي(ص) ولعلي من الفضائل.

٣ - مصارعة عليّ(ع):

كان أبو طالب والدُ الإمام عليّ(ع) يحبُّ رياضة المصارعة. وكانت عادة جارية عند العرب، أن يُدّعى الأبطال إلى النّزال والمصارعة والناس يتفرجون.

وكان أبو طالب(ع) يجمع أبناءه وأولاده عمومته ويحثهم على المصارعة وعمر علي(ع) آنذاك دون العشر سنين، وقد لاحظ حين منازلة علي(ع) لهم أنه كان يَصْرعُهم مما استرعى نظرَه فأخذ يتحمس له قائلاً: «ظَهَرَ عليٌّ، ظَهَرَ عليٌّ».

ولذا فقط أطلقوا عليه لقب الظّهير، وممّا يلف النظر أنه حينما بلغ مبلغ الرجال لم يترك المصارعة فكان ينازل الأبطال وشجعان العرب ويصرعهم دائماً[2].

---

(١) علل الشرايع: ص ١٤.

(٢) مناقب إبن شهر أشوب (ره): ج١، ص ٤٣٩.

٤ - منزلة وعظمة عليّ(ع) على لسان عمر:

روي عن واثلة قال: كنت أُماشي ابن الخطاب إذ سمعت منه همهمة، فقلت له: مَهْ يا عمر (يعني مالك تناجي نفسك بكلام غير مفهوم).

فقال عمر: ويحك أما ترى الهِزَبْرَ القَثْمَ ابن القَثْمِ، الضّاربَ بالبهم الشديد على من طغى وبغى بالسّيفين والرّاية.

يقول واثلة: التفت فإذا هو عليّ بن أبي طالب فهمت أن مراده عليّ(ع)، فقلت له يا عمر هو عليّ بن أبي طالب.

فقال عمر: أُدْنُ منّي أحدّثْكَ عن شجاعته وبطولته.

فدنوت منه فقال عمر:

«بايعنا النبي(ص) يوم أُحد على أن لا نَفِرَّ، ومن فرّ منّا فهو ضالٌّ، ومن قُتِلَ منّا فهو شهيد، والنبي(ص) زعيمه، إذ حمل علينا مائةٌ: صنديدٍ تحت كل صنديدٍ مائةُ رجلٍ أو يزيدون، فأزعجونا عن طاحونتنا، فرأيت علياً كاللّيث يتقي الذرَّ إذ حمل كفّاً من حصى فرمى به في وجوهنا، ثم قال:

«شاهَتِ الوجُوهُ، وقُطَّتْ وبُطّتْ ولُطّتْ إلى أين تفرون؟ إلى النار؟»

فلم نَرْجِعْ، ثم كرَّ علينا الثانية وبيده صفيحةٌ يقطر منها الموت فقال: «بايَعْتُم ثم نَكَثْتُم، فوالله لأنتم أولى بالقتل من أقتل».

فنظرت إلى عينيه كأنّهما سليطان يتوقدان ناراً، أو كالقدحين المملوءين دماً، فما ظننتُ إلا ويأتي علينا كلنا فبادرت أنا إليه من بين أصحابي فقلت:

«يا أبا الحسن الله الله، فإن العرب تفرُّ وتكرُّ، وإن الكَرَّة تنفي الفَرَّة، فسكن غضبه

فولى بوجهه عني، فمازلت أسكن روعة فؤادي فوالله ما خرج ذلك الرّعب من قلبي حتى الساعة»(١).

٥ - النبي الأكرم(ص) يعظم علياً(ع) ويكرمه:

قال جابر بن عبد الله الأنصاري (ره): كنت والعباس (عمّ النبي(ص)) عند رسول الله(ص). فدخل علي(ع) فسلَّم علينا. فقام له النبيّ وعظَّمه وأكرمَه وردَّ عليه السلام بأحسنِه، وقبَّل بين عينيه ثم أجلسه مع احترام خاص على يمينه.

قال العبّاس بن عبد المطلب: يا رسول الله(ص) أتحبُّ عليّاً؟

فقال رسول الله(ص): «يا عَمّ والله إنّ الله أشدُّ حُبّاً له منّي».

ثم قال(ص): إنّ الله جعل ذرّية الأنبياء(ع) من صُلْبهم، وجعل ذرّيتي من صُلْبِ عليّ(ع)(٢).

٦ - زهد عليّ(ع):

عن زاذان قال: وصلت أموال طائلة في أيّام الإمام عليّ(ع) إلى خزانة الدولة (بيت المال) فقدَّم قَنْبرٌ إلى أمير المؤمنين(ص) جاماتٍ من ذهبٍ وفضّةٍ في الرُّحبة وقال:

«إنّك لا تترك شيئاً إلا قسّمته، فخبأتُ لك هذا».

فسلَّ الإمامُ(ع) سيفَه وقال له:

«ويحك لقد أحببَتَ أن تُدْخِلَ بيتي ناراً».

---

(١) بحار الأنوار: ج٢، ٥٣ - ٥٤.

(٢) ذخائر العقبى الطبري: ص ٦٧ - ميزان الاعتدال: ج٢، ص ١١٦.

ثم ضربها بسيفه وقطَّعها حتى إنتشرت من بين إناء مقطوع بضعة وثلاثين وقال(ع): عليَّ بالعرفاء، فجاؤوا.

فقال(ع): قسموا هذا بالحصص وهو يقول.

هذا جِناي وَخِيارُه فيه وكل جان يده إلى فيه[1]

٧ - عدل الإمام علي(ع):

كان الإمام علي(ع) يقسّمُ بيت المال بالسويّة بين الناس ويراعي العدالة ويحرصُ عليها دون أن يفضّل أحداً على أحدٍ ولا عربياً على عجمي ولا رجلاً على امرأة ولا شريفاً على الغلمان الموالي، وكان هذا سبباً في التحاق من استهوتهم الدنيا، وعبدوها إلى معاوية بن أبي سفيان.

فجاء جماعة من محبي الإمام علي(ع) وقالوا:

«يا أمير المؤمنين لو فضّلتَ الأشرافَ كان أجدرَ أن يناصحوك».

فغضِبَ أميرُ المؤمنين(ع) مما اقترحوا عليه فقال:

«أيها الناس أتأمروني أن أطلب العدل بالجور فيمن وليت عليه؟ والله لا يكون ما سَمَر السّميرُ وما رأيت في السماء نجماً، والله لو كان مالي دونهم لسوّيت بينهم كيف وإنما هو مالُهم».

ثم قال(ع): «أيها الناس ليس لواضع المعروف في غير أهله إلا محمدةُ اللئام، وثناءُ الجهال، فإن زَلّتَ بصاحبه النعلُ فشرُّ خَدينٍ وشرُّ خليلٍ»[2]. (أي فشرُّ حبيبٍ وشرُّ صديقٍ).

(١) بحار الأنوار: ج٤١، ص ١١٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٤١، ص ١١٠ - ١١١.

٨ - إخلاص الإمام علي(ع):

بكّر النّاس صباحاً إلى الرسول(ص) وجلسوا حوله ليستعموا إلى حديثه النوراني حتى غُصَّ المجلس بأهله فرفع رسول الله(ص) ببصره إلى الناس فقال: «أيّكم أنفقَ اليوم من مالِه إبتغاء وجهِ الله تعالى؟».

فسكتوا جميعاً كأن فوق رؤوسهم الطَّيْرُ.

فقال علي(ع): أنا خرجتُ ومعي دينارٌ أريد أن أشتري به دقيقاً، فرأيت المقداد بن الأسود، وتبينتُ في وجهه أثرَ الجوع، فناولتُه الدّينارَ.

فقال رسول الله(ص): وجَبَتْ (يعني لك الرحمةُ والجنّة).

ثم قام رجلٌ آخرُ من بين الناس فقال: يا رسول الله قد أنفقتُ اليوم أكثرَ مما أنفقَ عليٌّ، جهزتُ رجلاً وامرأة يريدان طريقاً ولا نفقة لهما، فأعطيتهما ألف درهم.

فسكت رسول الله(ص).

فقال بعض الحاضرين: يا رسول الله مالك قلت لعليّ: «وجَبَتْ لك الرحمة والجنة» ولم تقل لهذا وهو أكثر صدقة؟!

فقال رسول الله: أما رأيتم مَلِكاً يهدي إليه خادمه هديّةً خفيفةً، فيحسن موقعها عنده، ويرفع محلَّ صاحبها، ويُحْمَلُ إليه من عند خادمٍ آخر هدية عظيمة فيردها، ويستخف بباعثها؟

قالوا: بلى، قد رأينا.

قال(ص): فكذلك صاحبكم، عليٌّ دفع ديناراً منقاداً الله سادّاً خلّة - حاجة - فقير مؤمن، وصاحبكم الآخر أعطى ما أعطى نظراً له، معانداً على أخي رسول الله، يريد

به العلوّ على عليّ بن أبي طالب(ع) فأحبط الله تعالى عمله، وصيره وبالاً عليه[١].

٩ - الملائكة تمجّد عليّاً(ع) لتضحياته:

خرجت قريشٌ بألف نفرٍ مجّهزين بالسّلاح لمحاربة المسلمين، كان ذلك في السنة الثانية من الهجرة، فخرج رسول الله(ص) بأصحابه البالغ عددهم «٣١٣» رجلاً إلى أرض بدر لصدّ هجوم المشركين فوقعت إلى جانب بدر حرب ضارية بين جيش الإسلام وجيش المشركين إنتهت بانتصار المسلمين على المشركين.

ومن الحوادث العجيبة لهذه الغزوة هي الليّلة التي سبقت غزوةَ بدر، حيث نزل جيش العدو إلى جانب بئرٍ يستسقون من مائة، وكان جيش الإسلام إلى جانب آخر قريباً من البئر.

قال رسول الله(ص): من يلتمس لنا الماء من القليب؟

نظراً إلى خطورة إتيان الماء من ذلك القليب بسبب إستقرار رماة عسكر العدو إلى جانب البئر.

فسكتوا جميعاً فقال الإمام علي(ع): أنا يا رسول الله. فأخذ القربةَ وأتى القليب فملأ القربة وأخرجها، فجاءت ريح فأهْرَقَتْهُ، ثم عاد إلى القليب فجاءت ريحٌ فأهرقته، فلما كانت الرّابعة ملأها فأتى بها إلى النبي فأخبره بخبره.

قال رسول الله(ص): أمّا الرّيح الأولى فجبرئيل في ألف من الملائكة سلموا عليك، وأما الريح الثانية فميكائيل في ألف من الملائكة سلموا عليك، وأما الريح الثالثة فإسرافيل في ألف من الملائكة سلموا عليك[٢].

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري(ع): ص ٨٣ تحت عنوان (عبادة علي(ع)).
(٢) أعلام الورى: ص ١٩٢.

في الحقيقة كانت هذه الحادثة سلام تحسين ملائكة الله المقرّبين للإمام علي(ع) لأجل تضحياته وشجاعته واستقامته في مواطن الخطر.

١٠ - ظهور المرقد الطّاهر للإمام علي(ع) بعد «١٣٠» سنة:

لما أُستشهد الإمام علي(ع) حَمَلَ جسدَه الطاهر أولادُه وبعضُ الخاصة من أصحابه تحت ستارِ اللّيل وفي الخفاء الكامل إلى مدفنه الطاهر، وذلك خوفاً من الأعداء الألدّاء بالأخص الخوارجِ وبني أُمية الذين كانوا يحملون حقداً وبغضاً دفيناً في قلوبهم، فلو علموا بمكان قبره الشريف لأخرجوا جسدَه الطاهر وأهانوه.

فمضت عشراتُ السنين، وما زال القبر مخفياً عن الناس، حتى ظهر على أثَرِ حادثة في أيام خلافة هارون الرشيد[1]، وإليكم الحادثة:

عن عبد الله بن حازم قال: خَرَجْنا يوماً مع هارون الرشيد من الكوفة نتصيّدُ، فصِرْنا إلى ناحية الغريّين والثوية[2]، فرأينا ظِباءً فأرسلنا عليها الصّقور والكلاب فجاولتها ساعة ثم لجأت الظّباءُ إلى أكمةٍ فسقطت عليها فسقطت الصّقور ناحية ورجعت الكلاب، فعجب الرشيد من ذلك، ثم إن الظباء هبطت من الأكمة فهبطت الصُّقور والكلاب، فرجعت الظباء إلى الأكمة فتراجعت عنها الكلاب والصّقور، ففعلت ذلك ثلاثاً.

فقال لي هارون الرّشيد: أُركُضوا، فمن لقيتُموه فَأْتوني به، فأتيناه بشيخ من بني أسد.

فسأله الرّشيد بعض الأسئلة فقال الشّيخ: إن جعلت لي الأمانَ أخبرتُك.

---

(١) نظراً أن بداية خلافة هارون الرشيد كانت في السنة «١٧٠ هـ ق» ونظراً إلى سنة التي استشهد الإمام علي(ع) فيها وهي سنة «٤٠ هـ ق » نعلم أن القبر الشريف كان «١٣٠» سنة مخفياً عن الناس.

(٢) الثوية: موضع قريب من الكوفة.

قال الرشيد: لك عهدُ الله وميثاقُه ألا أُهيجَك ولا أؤذيك.

قال الشيخ: حدّثني أبي عن آبائي أنهم كانوا يقولون أن في هذه الأكمةِ قبرُ علي بن أبي طالب(ع)، جعله الله حَرَماً، لا يأوي إليه شيء إلا آمَن.

فنزل هارون الرشيد فدعا بماء وتوضّأ وصلّى عند الأكمة وتمرّغ عليها وجعل يبكي ثم انصرفنا إلى الكوفة[1].

وبهذه الصور ظهر للنّاس المرقدُ الطّاهرُ لمولانا الإمام عليّ بن أبي طالب بعد إخفائِه عن جور الظلمة لمدة «١٣٠» سنة.

أنت الإمام المرجو

كان عام السادسة والثلاثون خرج أمير المؤمنين(ع) من الكوفة قاصداً صفّين لمحاربة معاوية وجيشه الناكثين، وقد دامت هذه المعركة ثمانية عشر شهراً، وعندما خمدت نيران الحرب عاد إلى الكوفة.

كان أمير المؤمنين جالساً بالكوفة إذ أقبل شيخ فجثا بين يديه، ثم قال له: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر؟

فقال أمير المؤمنين (ع): أجل يا شيخ ما علوتم قلعة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاءٍ من الله وقدر.

فقال له الشيخ: عند الله احتسب عنائي، يا أمير المؤمنين؟

فقال (ع) له: مَهْ يا شيخ، فوالله لقد عظّم الله الأجر في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم تقيمون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من

(١) إرشاد القلوب: ج٢، ص ٢٣٣ بحار، ج ١٠٠، ص ٢٥٢.

حالاتكم مكرهين ولا إليه مضطرّين.

فقال له الشيخ: وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرّبين. وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا؟

فقال(ع): وتظنّ أنّه كان قضاء حتماً وقدراً لازماً؟ أنه لو كان كذلك لبطل[1] الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد، فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن ولكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن، ولكان المحسن أولى بالقوبة من المذنب، تلك مقالة اخوان عبدة الأوثان وخصما الرحمن وحزب الشيطان وقدريّة هذه الأمة ومجوسها.

لمّا سمع الشيخ كلام أمير المؤمنين (ع) واستأنس إليه فأنشأ يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من أمرنا ما كان ملتبسا جزاك ربّك بالإحسان إحساناً[2]

الولاية آية الإيمان

قال سليم بن قيس: أتى رجل أمير المؤمنين (ع) وسأله:

١ - ما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً؟

٢ - وأدنى ما يكون به العبد كافراً؟

٣ - وأدنى ما يكون به العبد ضالاً؟

---

(١) أي لو كان القضاء محتوماً ولا اختيار فيه، وقدراً لا مدخل لإرادته فيه لما كان للثواب والعقاب ... معنى، لأن الثواب مترتب على الطاعات الاختيارية والاجتناب عن المناهي التي لا يتأتى إلا عن طريق إرادة العبد، فالاتيان بالطاعات والاجتناب عن المناهي تابعان للاختيار ولا يتحققان بالإجبار. الكمالي.

(٢) ج١: ١٥٥ (٢٠٥) ح١.

فقال عليه السلام له: قد سألت فافهم الجواب:

١ - أما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرّفه الله تبارك وتعالى نفسه، فيقرّ له بالطاعة، ويعرّفه نبيّه (ص) فيقرّ له بالطاعة، ويعرّفه إمامه وحجّته في أرضه وشاهده على خلقه فيقرّ له بالطاعة.

قال سليم: يا أمير المؤمنين، وإن جهل جميع الأشياء إلا ما وصفت؟

قال(ع): نعم، إذا أُمر أطاع، وإذا نُهي انتهى.

٢ - وأدنى ما يكون به العبد كافراً من زعم أن شيئاً نهى الله عنه إن الله أمر به ونصبه ديناً يتولى عليه ويزعم أنه يعبد الذي أمره به وإنما يعبد الشيطان.

٣ - وأدنى ما يكون به العبد ضالاً أن لا يعرف حجة الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده الذي أمر الله عزّ وجلّ بطاعته وفرض ولايته.

قال سليم: يا أمير المؤمنين، صفهم لي.

قال(ع): الذين قرنهم الله عز وجل بنفسه ونبيّه قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1].

قال سليم يا أمير المؤمنين، جعلني فداك، أوضح لي.

فقال(ع): الذين قال رسول الله(ص) في آخر خطبته يوم قبضه الله عزّ وجلّ إليه: «إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلّوا بعدي ما ان تمسّكتم بهما كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإن اللطيف الخبير قد عهد إليّ أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كهاتين (وجمع بين مسبّحتيه) ولا أقول كهاتين (وجمع بين المسبّحة والوسطى) فتسبق

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

أحدهما الأخرى، فتمسكوا بهما لا تزالوا ولا تضلوا، ولا تقدّموهم فتضلوا»[1].

النبي خضر [ع] يصرّح بأسماء الأئمة[ع]:

قال الجواد(ع): أقبل أمير المؤمنين(ع) ومعه الحسن بن علي(ع) وهو متكئ على يد سلمان، فدخل المسجد الحرام فجلس، إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس، فسلّم على أمير المؤمنين، فردّ عليه السلام فجلس.

ثم قال: يا أمير المؤمنين، أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهن علمت أن القوم - الغاصبين لإرثك وإمامتك بعد النبي(ص) - ركبوا من أمرك في الحيولة بينك وبين حقّك - ما قضى عليهم - وأن ليسوا بمأمونين في دنياهم وآخرتهم، وإن تكن الأخرى - أي ولم تجبني على مسائلي - علمت أنك وهم شرع سواء.

فقال له أمير المؤمنين(ع) سلني عمّا بدالك.

---

(١) حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة التي أجمع على صحته وورده عن النبي (ص) جل علماء وحفاظ الفريقين الشيعة والسنة حتى أن شمر بعض الفاطل بإفراد كتاب أو رسالة في إثبات صحته ودلالته على إمامة أئمة أهل البيت ولما كان بيان الصادر والرواة بأسمائهم مما يحتاج إلى كتاب مستقل لذا نكتفي بذكر أكبر الصحابة وأكثرهم اعماداً عند أهل السنة.

فأما رواته: الخلفاء الثلاثة أبو بكر بن أبي قحافة، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، سعد بن أبي وقاص، معاوية بن أبي سفيان، أبو سعيد الخدري، زيد بن ثابت، عبد الله بن عمر، زيد بن أرقم، أبو هريرة، أم المؤمنين، أم سلمة، وعائشة وكثير غير هؤلاء.

وأما المخرجين لهذا الحديث المتواتر والصحيح: أحمد بن حنبل في مسنده، مسلم بن الحجّاج في صحيحه، ابن أبي شيبة في مصنفه، الحاكم النيسابوري في مستدركه، والنسائي في خصائصه، والترمذي في سننه، والسيوطي أكثر مصنافته، الطبراني في معاجمه، أبو داود في سننه، ابن ماجة في سننه، أبو يعلى الموصلي وغيرهم من الحفاظ والمحدثين.

ولكن استشكل بعض علمائهم وضعف الحديث لكونه أن البخاري لم يخرجه، ولكن هؤلاء ليعلموا أن تضعيفهم للحديث يعني الرد ودحض ما رواه مسلم في صحيحه الذي هو أصح الكتب عند القوم ورجاله هم رجال البخاري الذين قيل فيهم من أخرج عنه البخاري فقد جاز القطنرة.

وكذا من المستشكلين والمضعفين للحديث ابن الجوزي وابن تيميّة فهما قد انتقدا في رأييهما عدالة مسلم بن الحجّاج وأحمد بن حنبل وغيرهما من رجال البخاري والحفاظ، فتدبر وتمعن حتى يأتيك اليقين. المعرّب. ج٢: ٤١٤ (٣٩٤) ح١.

قال:

١ - أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟

٢ - وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟

٣ - وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟

قال: أشهد أن لا إله إلا الله ولم أزل أشهد بها، وأشهد أن محمداً رسول الله(ص) ولم أزل اشهد بذلك.

وأشهد أنّك وصيّ رسول الله (ص)، والقائم بحجته - وأشار إلى أمير المؤمنين(ع) ولم أزل أشهد بها.

وأشهد أنك وصيه والقائم بحجته - وأشار إلى الحسن(ع).

وأشهد أن الحسين بن علي(ع) وصيّ أخيه والقائم بحجّته بعده.

وأشهد على علي بن الحسين(ع) أنه القائم بأمر الحسين(ع) بعده.

وأشهد على محمد بن علي(ع) أنه القائم بأمر علي بن الحسين(ع).

واشهد على جعفر بن محمد(ع) بأنه القائم بأمر محمد(ع).

وأشهد على موسى بن جعفر(ع) أنه القائم بأمر جعفر بن محمد(ع).

وأشهد على علي بن موسى(ع) أنه القائم بأمر موسى بن جعفر(ع).

وأشهد على محمد بن علي(ع) أنه القائم بأمر علي بن موسى(ع).

وأشهد على علي بن محمد(ع) أنه القائم بأمر محمد بن علي(ع).

وأشهد على الحسن بن علي(ع) بأنه القائم بأمر علي بن محمد(ع).

وأشهد على رجل من ولد الحسن(ع) لا يكنّى ولا يسمّى حتى يظهر أمره فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً.

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثم قام فمضى.

فقال أمير المؤمنين(ع): يا أبا محمد، اتبعه فانظر أين يقصد؟

فخرج الحسن بن علي(ع) فقال: ما كان إلا أن وضع رجله خارجاً من المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله. فرجعت إلى أمير المؤمنين(ع) فأعلمته.

فقال أمير المؤمنين(ع): يا أبا محمد، أتعرفه؟

فقال الحسن(ع): الله ورسوله وأمير المؤمنين(ع) أعلم.

قال أمير المؤمنين هو الخضر النبي[1].

علي [ع] قيّم القرآن!!

قال منصور بن حازم: قلت لأبي عبد الله الصادق (ع): إن الله أجل وأكرم من أن يُعرف بخلقه بل الخلق يُعرفون بالله!.

قال الصادق(ع): صدقت.

قلت: إن من عرف أن له رباً، فينبغي له أن يعرف أن لذلك الرب رضا وسخطاً، وأنه لا يعرف رضاه وسخطه إلا بوحي أو رسول، فمن لم يأته الوحي فقد ينبغي له أن يطلب الرسل، فإذا لقيهم عرف أنهم الحجة، وأن لهم الطاعة المفترضة.

وقلت للناس - أي أهل السنة -: هل تعلمون أن رسول الله (ص) كان هو الحجة من الله على خلقه؟

قالوا: بلى.

قلت: فحين مضى رسول الله(ص) من كان الحجّة على خلقه؟

(١) ج١: ٥٢٥ - ٥٢٦ (٦٠٤) ح١.

فقالوا: القرآن.

قال منصور بن حازم: فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم المرجيء[1] والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أن القرآن لا يكون حجّة إلا بقيم فما قال فيه - ذاك القيم - من شيء كان حقاً - وإلا فلا -.

فقلت لهم - أي لأهل السنة -: من قيم القرآن - ويعرف أحكامه وعلومه-؟

فقالوا: ابن مسعود قد كان يعلم، وعمر يعلم، وحذيفة يعلم.

قلت: كله - أي كانوا يعلمون كل القرآن؟

قالوا: لا.

قال منصور بن حازم: فلم أجد أحداً يقال إنه يعرف ذلك كله إلا علياً(ع): وإذا كان الشيء - مسألة - بين القوم، فقال هذا، لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا - علي(ع): أنا أدري. فأشهد أن علياً(ع) كان قيم القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان(ع) الحجة على الناس بعد رسول الله(ص) وان ما قال في القرآن فهو حق.

فقال الإمام الصادق(ع) - بعدما سمع استدلال ابن حازم-: رحمك الله[2].

اختصاص علي(ع) بالنبي (ص)!!

قال أمير المؤمنين علي (ع): قد كنت أدخل على رسول الله (ص) كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة، فيخليني فيها، أدور معه حيث دار - أتمعن لحديثه وكلامه وأفهمه -.

وقد علم أصحاب رسول الله (ص) أنه لم يصنع ذلك - الخلوة - بأحد من الناس غيري.

---

(١) وهم الذين يقولون لا يضرّ مع الايمان ذنب، وكذلك العكس.

(٢) ج١: ١٦٨ - ١٦٩ - (٢٢٢ - ٢٢٣) ج٢.

فربّما كان - يدور الحديث بيننا - في بيتي يأتيني رسول الله(ص) أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام - وأخرج - عنّي نساءه، فلا يبقي عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة(ع) ولا أحد من بني(ع).

وكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكت عنه وفنيت مسائلي - وانتهت - ابتدأني، فما نزلت على رسول الله(ص) آية من القرآن إلا أقرأنيها، وأملاها عليّ، فكتبتها بخطّي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها، ودعا(ص) الله لي أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه علي وكتبته، منذ دعا الله لي بما دعا.

وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله، من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً.

ثم وضع(ص) يده على صدري، ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً.

فقلت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً، ولم يفتني شيء لم أكتبه، أفتتخوف عليّ النسيان فيما بعد؟

فقال (ص): لا لست أتخوّف عليك النسيان والجهل[1].

فهو أعلم بما يقال فيه!!

اجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت - وهو من أعاظم علماء اليهود - فقالوا له: إن هذا الرجل - يعني أمير المؤمنين(ع) - عالم. فانطلق بنا إليه نسأله.

(١) ج١: ٦٣ (١١٨) ذيل حديث ١.

فأتوه فقيل له: هو في القصر. فانظروه حتى خرج.

فقال له رأس الجالوت: جئناك نسألك.

فقال أمير المؤمنين(ع): سل يا يهودي عمّا بدا لك.

فقال: أسألك عن ربّك متى كان؟

فقال(ع): كان بلا كينونة، كان لم يزل بلاكم وبلا كيف، كان ليس له قبل، هو قبل القبل بلا قبل ولا غاية ولا منتهى، انقطعت عنه الغاية وهو غاية كل غاية، فقال رأس الجالوت: امضوا بنا - يا أصحابي - فهو أعلم مما يقال فيه[1].

علي[ع] محطم الأصنام

وفي الخرائج: أن أبا طالب قال لفاطمة بنت أسد - وكان علي صبياً-: رأيته يكسر الأصنام، فخفت أن تعلم كفار قريش ذلك.

فقالت: يا عجباً أخبرك بأعجب من هذا وهو أني اجتزت بموضع كانت أصنامهم فيه منصوبة وعليّ في بطني، فوضع رجليه في جوفي شديداً لا يتركني أقرب منها، وأن أمرّ في غير ذلك الموضع وإن كنت لم أعبدها قط، وانما كنت أطوف بالبيت لعبادة الله، لا الأصنام[2].

صعد على منكب النبي [ص] وحطّم الأصنام

وروى الاربلي عن مسند أحمد، عن أبي مريم عن عليّ(ع) قال: انطلقت أنا والنبي(ص) حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله (ص): اجلس واصعد على منكبي،

(١) ج١: ٩٠ (١٤٤) ح٤ و٨.

(٢) الخرائج والجرائح، ج٢ ص٧٤١.

فذهبت لأنهض به فرأى مني ضعفاً فنزل وجلس وقال لي نبي الله (ص): اصعد على منكبي، فصعدت على منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فإنه تخيّل إليّ أني لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله(ص): أقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير.

ثم نزلت وانطلقت أنا ورسول الله(ص) نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس[1].

كأنك حيدرة

وعن أنس عن عمر بن الخطاب أن علياً رأى حية تقصده وهو في المهد وشدّت يداه ي حال صغره. فحول نفسه فأخرج يده وأخذ بيمينه عنقها وغمزها غمزة حتى أدخل أصابعه فيها وأمسكها حتى ماتت، فلمّا رأت ذلك أمه نادت واستغاثت فاجتمع الحشم، ثم قالت: كأنّك حيدرة[2].

وقال دعبل:

أبو تراب حيدرة ذاك الإمام القسورة
مبيد كل الكفرة ليس له مناضل
مبارز ما يهب وضيغم ما يغلب
وصادق لا يكذب وفارس محاول
سيف النبيّ الصّادق مبيد كل فاسق
بمرهف ذي بارق أخلصه الصياقل

(١) كشف الغمة، ج١، ص٧٩.

(٢) نفس المصدر، ص٢٨٨، وحيدرة: اللبوة إذا غضبت من قبل أذى أولادها.

الصراع مع إخوته الكبار

قال ابن شهر آشوب: وكان أبو طالب يجمع ولده وولد أخوته ثم يأمرهم بالصراع وذلك خلق في العرب، فكان (ع) يحسر عن ذراعيه وهو طفل ويصارع كبار إخوته وصغارهم وكبار نبي عمّه وصغارهم فيصرعهم فيقول أبوه: ظهر عليّ فسمّاه ظهيراً.

وقال العوني في ذلك:

هذا وقد لقبه ظهيرا أبوه اذ عاينه صغيرا
يصرع من اخوته الكبيرا مشمراً عن ساعد تشميرا[1]

قضمنا علي

وعن أبي عبد الله(ع) أنه سئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لما بارزه علي(ع): يا قضيم؟

قال: إن رسول الله(ص) كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب وأغروا به الصبيان وكانوا إذا خرج رسول الله(ص) يرمونه بالحجارة والتراب، وشكى ذلك إلى علي(ع).

فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله(ص) إذا خرجت فأخرجني معك، فخرج رسول الله(ص) ومعه أمير المؤمنين(ع) فتعرّض الصّبيان لرسول الله(ص) كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين(ع) وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم، فكان الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا علي(ع)، قضمنا علي(ع)، فسمّي لذلك القضم[2].

(١) نفس المصدر، ص ٢٨٨.
(٢) بحار الأنوار، ج٢٠، ص٥٢.

علي [ع] أوّل من صلى

وفي المناقب عن كتاب الشيرازي: أن النبي(ص) لما نزل الوحي عليه أتى المسجد الحرام وقام يصلي فيه، فاجتاز به علي(ع) وكان ابن تسع سنين فناداه: يا علي، إليّ أقبل، فأقبل إليه ملبياً قال: اني رسول الله إليك خاصة وإلى الخلق عامة، تعال يا علي فقف عن يميني وصل معي، فقال: يا رسول الله حتى أمضي واستأذن أبا طالب والدي، قال: اذهب فإنه سيأذن لك، فانطلق يستأذن في اتباعه، فقال: يا ولدي تعلم أن محمداً والله أمين منذ كان امض واتبعه ترشد وتفلح وتشهد، فأتى علي(ع) ورسول الله(ص) قائم يصلي في المسجد فقام عن يمينه يصلي معه، فاجتاز بهما أبو طالب وهما يصليان. فقال: يا محمد ما تصنع؟ قال: أعبد إله السماوات والأرض ومعي أخي عليٌّ يعبد ما أعبد يا عم وأنا أدعوك إلى عبادة الله الواحد القهار، فضحك أبو طالب حتى بدت نواجذه وأنشأ يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم　　　حتى أغيب في التراب دفينا[١]

الطفل الذي لم يترك صلاة الجماعة

روى المفيد (رحمه الله) بسنده عن يحيى بن عفيف بن قيس، عن أبيه قال: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب بمكة قبل أن يظهر أمر النبي (ص) فجاء شاب فنظر إلى السماء حين تحلقت الشمس، ثم استقبل الكعبة فقام يصلي، ثم جاء غلام فقام عن يمينه، ثم جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب، فركع الغلام والمرأة، ثم رفع الشاب فرفعا، ثم سجد الشاب فسجدا، فقلت: يا عباس: أمر عظيم! فقال

(١) ماقب آل أبي طالب، ج٢، ص١٩.

العباس: أمر عظيم، أتدري من هذا الشاب؟ هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، أتدري من هذا الغلام؟ هذا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ابن أخي، أتدري من هذه المرأة، هذه خديجة بنت خويلد.

ان ابن أخي هذا حدثني أن ربه رب السموات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا والله ما على ظهر الأرض على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة[1].

أيقتل ابن أخيك وأنت تأكل وتشرب؟

وعن الحسين بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله (ع) قال: «لما أرادت قريش قتل النبي (ص) قالت: كيف لنا بأبي لهب؟

فقالت أم جميل: أنا أكفيكموه، أنا أقول له: أني أحب أن تقعد اليوم في البيت نصطبح. فلمّا أن كان من الغد وتهيّأ المشركون للنبي (ص) قعد أبو لهب وامرأته يشربان، فدعا أبو طالب علياً(ع) فقال له: يا بني اذهب إلى عمّك أبي لهب فاستفتح عليه فإن فتح لك فادخل وإن لم يفتح لك فتحامل على الباب واكسره وادخل عليه، فإذا دخلت عليه فقل له: يقول لك أبي: أن امرءاً عمّه عينه في القوم فليس بذليل، قال: فذهب أمير المؤمنين (ع) فوجد الباب مغلقاً فاستفتح فلم يفتح له فتحامل على الباب وكسره ودخل، فلمّا رآه أبو لهب، قال له: مالك يا ابن أخي؟

فقال له: أن أبي يقول لك: أن امرءاً عمّه عينه في القوم ليس بذليل.

فقال له: صدق أبوك فما ذاك يا بن أخي؟

فقال له: يقتل ابن أخيك وأنت تأكل وتشرب، فوثب وأخذ سيفه فتعلّقت به أم جميل

(١) الإرشاد للمفيد، ص٢١.

فرفع يده ولطم وجهها لطمة ففقأ عينها، فماتت وهي عوراء، وخرج أبو لهب ومعه السيف، فلما رأته قريش عرفت الغضب في وجهه فقالت: ما لك يا أبا لهب؟

فقال: أبايعكم على ابن أخي ثم تريدون قتله، واللات والعزى لقد هممت أن أسلم، ثم تنظرون ما أصنع، فاعتذر إليه ورجع[1].

(١) الكافي، ج٨، ص٢٧٦.

المعصوم الرابع

الإمام الثاني

الحسن بن عليّ المجتبى (عليه السلام)

هويّة المعصوم الرابع
الإمام الثاني
الحسن المجتبى (ع)

الاسم: الإمام الحسن(ع).

ألقابه المشهورة: المجتبى - السبط الأكبر.

الأب والأم: الإمام علي(ع)، وفاطمة الزهراء(ع).

الكنية: أبو محمد.

تاريخ ومحل الولادة: ولد(ع) في النّصف من شهر رمضان المبارك في السّنة الثالثة من الهجرة في المدينة المنورة.

تاريخ ومحل الشهادة: أُستشهد(ع) مسموماً في المدينة في «٢٨» شهر صفر سنة «٥٠» للهجرة وهو إبن «٤٧» سنة، بدسيسة من معاوية بن أبي سفيان بيد زوجته جعدة.

مرقده الشريف: البقيع في المدينة المنوّرة.

مراحل حياته الطاهرة في ثلاثة أقسام:

١ - أيّام النبي الأكرم(ص) (٨ سنوات تقريباً).

٢ - ملازمته لأبيه الإمام علي(ع) (٢٩ سنة تقريباً).

٣ - أيام إمامته (عشر سنوات تقريباً).

١ - تسمية الإمام الحسن المجتبى(ع):

لمّا ولد الإمام الحسن(ع) ابتهجت الدنيا بولادته الشريفة، فقالت فاطمة الزهراء(ع) للإمام علي(ع): «سمّه» (يعني إختر له إسماً).

فقال الإمام علي(ع): ما كنت لأسبق باسمه رسولَ الله.

فقال رسول الله(ص): ما كنت لأسبق باسمه ربي عزّ وجلّ فأوحى اللهُ جلَّ جلالُه إلى جبرئيل(ع): أنّه قد ولد لمحمّد(ص) إبن فاذهب إليه وهنّئه وقل له:

«إنّ علياً(ع) منك بمنزلة هارون من موسى فسمّه باسم ابنُ هارون».

فهبط جبرائيل(ع) فهنّأه من الله تعالى جلّ جلاله، ثم قال: إن الله تعالى يأمرك أن تسميّه باسم إبن هارون.

قال رسول الله(ص): وما كان اسمه؟

قال جبرائيل(ع): شُبّر.

قال رسول الله(ص): لساني عربيّ.

فقال جبرائيل: سمّه الحسن، فسمّاه الحسن(ع)[1].

(١) أعلام الورى: ص ٢١٠.

٢ - مذنب يستجير بالإمامين الحسن والحسين(ع):

أذنب رجلٌ ذنباً في عصر النبيّ الأكرم(ص)، فاختفى عن الناس حياءً من رسول الله(ص) ومنهم، حتى وجد الإمامين الحسن والحسين(ع) في طريق خالٍ، فأخذهما وحملهما على عاتقيه وأتى بهما النبيَّ الأكرم(ص)، فقال:

«يا رسول الله إني مستجير بالله وبهما».

فضحك رسول الله(ص) حتى ردّ يده إلى فمه ثم قال للرّجل: «أذهب وأنت طليق».

وقال(ص) للحسن والحسين: قد شفعتكما فيه أيّ فتيان فأنزل الله تعالى الآية «٦٤» من سورة النساء.

«... ولو أنّهُم إذْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُم جاءُوك فاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتغفَرَ لهم الرسولُ لَوَجَدُوا الله تَوّاباً رَحيماً»[1].

٣ - قضاء الإمام الحسن(ع) في أيّام خلافة الإمام عليّ(ع):

أُتِيَ برجلٍ في أيّام خلافة الإمام علي(ع) كان في خربة وبيده سكينٌ ملطخٌ بالدم، وإذا برجل مذبوح يتشحط بدمه وكانت القرائن تدل على أن هذا الرجل هو الذي ارتكب القتل وقام بهذه الجريمة فأخذه الشرطة وجاءوا به إلى أمير المؤمنين(ع).

فقال الإمام(ع): ما تقول؟ (من قتل ذلك الرّجل المذبوح في الخرابة).

فقال الرجل وكان قصّاباً: أنا الذي قتلته.

فحكم الإمام علي(ع) بحسب القرائن الظّاهرية بالقصاص وأمر بإعدامه.

(١) مناقب آل أبي طالب (ره): ج٣، ص ٤٠٠.

فلما ذهبوا به للقصاص منه، أقبل القاتل الحقيقي مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه أنا قتلتُه.

فقال أمير المؤمنين(ع) للقصّاب القاتل الأول: ما حملَك على إقرارك على نفسك؟

قال القصّاب: ما كنت أستطيع أن أنكر وقد شَهِدَ عليّ أمثالُ هؤلاء الرجال فأخذوني وبيدي سكينٌ ملطخة بالدّم والرّجل يتشحّط في دمه وأنا قائم عليه فخفت الضّرب، فأقررت، وأنا رجل كنت ذبحتُ بجنبِ هذه الخربة شاةً وأخذني البول فدخلت الخربة فرأيت الرجل يتشخط بدمه، فوقفت متعجباً فدخل عليّ هؤلاء فأخذوني.

فقال أمير المؤمنين(ع): خذوا هذا القصاب وهذا القاتل فاذهبوا بهما إلى الحسن(ع) وقولوا له: ما الحكم فيهما؟

فجاءوا بهما إلى الإمام الحسن(ع) وقصّوا عليه قصّتهما فقال الإمام الحسن المجتبى(ع):

«قولوا لأمير المؤمنين(ع) وإن هذا إن كان ذبح ذاك فقد أحيى هذا وقد قال الله عزّ وجلّ:

﴿ومن أحيَا نَفْساً فكأنَّما أحيا النّاس جميعاً﴾[1].

يخلّى عنهما وتخرج دية المذبوح من بيت المال.

فأمر أمير المؤمنين(ع) أن يطلق القصاب والقاتل وأعطى دية المذبوح من بيت المال إلى ورثته[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣٢.

(٢) نور الثقلين: ج١، ص ٦٣٠، ويحتمل أن يكون القتل قتل الخطأ أو شبه العمد (مثل حادث السيارة مع كون التّقصير من السائق) علاوة على شهامة القاتل وعدم رضاه وجداناً أن يعدم شخص آخر مكانه، فأرفق به الإسلام وشجع بذلك الأمة على هذه المواقف الكريمة.

٤ - جلالة الإمام الحسن المجتبى:

حَيَّت جارية من جواري الإمام الحسن بن عليّ المجتبى(ع) بباقة ريحان فقابلها الإمام الحسن(ع) بأحسن ثناء فقال لها: أنت حرّة لوجه الله.

فقال بعض جلسائه: لأجل باقة ريحانٍ ووردة حررتها وأعتقتها؟

فقال الإمام الحسن المجتبى(ع): أدَّبنا الله تعالى فقال في الآية «٨٦» من سورة النّساء.

﴿وإذا حُيّيتم بِتَحيّةٍ فَحَيُّوا بأحْسَنَ منها أوْ رُدُّوها﴾.

وكان أحسن منها إعتاقها[١].

٥ - نموذج من شجاعة الإمام الحسن المجتبى(ع):

دعا أمير المؤمنين(ع) في ضراوة معركة الجمل ابنه محمّد بن الحنفية فأعطاه رمحه وقال له:

«إقصد بهذا الرمح الجمل».

فأخذ محمد بن الحنفية الرمح وحمل على العدوّ فصدَّه بنو ضبّة، فتراجع عن موقفه وجاء إلى والده. فانتزع الإمام الحسن المجتبى(ع) رُمْحَه من يده، وقصد قلب العدوّ وأصحاب الجمل، وبعد قتال ضار وبطولة فائقة رجع إلى والده وعلى رمحِهِ أثرَ الدم.

لما رأى محمد بن الحنفيّة شجاعة الإمام الحسن(ع) تغيرت ملامحُ وجهِه وخَجِلَ من عمله، فقال له أمير المؤمنين(ع):

«لا تأنفْ فإنهُ ابنُ النّبيّ، وأنتَ ابنُ علّيٍ»[٢].

---

(١) تفسير الأمثل: ج٤، ص ٤٢ - بحار الأنوار: ج٤٣، ص ٣٤٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٣، ص ٣٤٥.

٦ - الإمام الحسن(ع) يقطع خطاب الطّاغية:

قدم معاوية بن أبي سفيان إلى المدينة بعد انصرام مدةٍ على استشهاد أمير المؤمنين(ع)، وجمع الناس في المسجد وصعد المنبر فقام خطيباً فنال من عليّ بن أبي طالب(ع).

وكان الإمام الحسن المجتبى(ع) حاضراً في المسجد، فلمّا سمع طاغية زمانه معاوية يتهجّم على أبيه سيد الأوصياء(ع)، قطع خطاب معاوية وقام خطيباً. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس إن الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيّاً إلا جعل له عدوّاً من المجرمين كما قال تعالى:

﴿وكَذَلِكَ جَعَلنا لِكُلّ نَبِيٍّ عدواً مِنْ المُجرمِين﴾(١).

ثُمّ التفت(ع) إلى معاوية وقال: «أنا ابنُ عليٍّ، وأنت ابنُ صخرٍ، وجدُّك حربٌ وجدي رسولُ الله(ص)، وأُمُّك هندٌ وأمي فاطمة(ع)، وجدتي خديجة وجدتك نثيلة، فلعن الله ألأمنا حَسَباً وأقْدَمَنا كفراً، وأخْمَلنا ذِكْراً، وأشدَّنا نفاقاً».

فقال عامة أهل المسجد: آمين، آمين.

فاضطرّ معاوية أن يقطع خطبته وينزل من المنبر(٢).

وعندما كان الإمام الحسن المجتبى(ع) في الكوفة، تسلّط معاوية على مقاليد الأمور، وأخضع البلاد لمصالحه، فقدِمَ إلى الكوفة، وأجتمع مع أصحابه وحاشيتِه فقالوا له: أن الحسن بن علي(ع) مُرْتفعٌ في أنفس الناس فلو أمرته أن يقوم دون مقامك على المنبرِ فتدركه الحداثة والعيُّ فيسقط من أنفس الناس وأعينهم. فأبى

(١) سورة الفرقان، الآية ٣١.

(٢) كشف الغمّة: ج٢، ص ١٥٠.

معاوية عليهم وأبو عليه إلا أن يأمرَه بذلك فأمَرَه، فقام دون مقامه في المنبر ثم قام خطيباً فخطب خِطْبَةً تليق بمقامه الخبيث، فسب فيها أميرَ المؤمنين(ع) فقام إليه الإمام الحسن المجتبى(ع) وصرخ في وجهه وقال:

«ويلك يا إبن آكلة الأكباد أو أنت تسب أميرَ المؤمنين(ع) وقد قال رسول الله(ص):

«مَنْ سَبَّ علياً فقدْ سبّني، ومن سَبّني فقد سَبَّ الله، ومَنْ سبّ الله، أدخلهُ الله نارَ جهنّم خالداً فيها مخلداً وله عذابٌ مُقيمٌ».

ثمّ خرج الإمام الحسن(ع) من المجلس معترضاً بذلك عليهم(١).

٧ - التهنئة بالولد:

رزق الله عزّ وجلّ مولانا الإمام الحسن المجتبى(ع)، مولوداً فأتته جماعة من قريش وهنأوه بالمولود قائلين:

«نهنئك الفارس».

فقال الإمام الحسن(ع): وما هذا الكلام؟ بل قولوا:

«شكرتَ الواهِبَ، وبُورِكَ لَكَ في الموهوب، وبَلَغَ الله بهِ أشدّه ورَزَقَكَ بِرَّهُ».

وكذلك وُلِدَ لرجل غلامٌ فقال له أحدهم: يهنئك الفارس.

فقال له الإمام الحسن(ع): مَنْ علّمك أن يكون فارساً أو راجلاً؟

فقال الرجل: جُعِلْتُ فِداكَ فما أقول؟

قال الإمام(ع): تقول شكَرْتَ الواهب وبُورِكَ لك في الموهُوب، وبَلَغَ أشدّهُ ورزَقَكَ بِرّه»(٢).

---

(١) الاحتجاج: للطبرسي (ره): ج١، ص ٤٢٠.

(٢) فروع الكافي: ج٦، ص ١٧ و ١٨.

٨ - الإمام الحسن(ع) يردّ خطبة معاوية:

لما أستشهد الإمام أمير المؤمنين(ع)، وبسط معاوية حكومته وسيطرته على جميع بقاع الإسلامية، نصب مروان والياً على المدينة، فكتب إلى مروان أن يخطب ليزيد زينب بنت عبد الله بن جعفر على حكم أبيها في الصّداق، وقضاء دينه بالغاً ما بلغ، وعلى صلح الحيين (قبيلتين) بني هاشم وبني أُمية.

عندما استلم مروان كتاب معاوية بعث إلى عبد الله بن جعفر يخطب إليه فقال عبد الله (رحمة الله): إن أمْرَ نسائِنا إلى الحسن بن عليّ عليهما السلام فاخطب إليه.

فجاء مروان إلى الإمام الحسن(ع) خاطباً، فقال الإمام الحسن(ع): إجمع من أردت، فأرسل مروان فجمع الحيّين من بني هاشم وبني أُميّة: وحضر الإمام الحسن(ع).

فقام مروان خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أخطب زينب بنت عبد الله بن جعفر[1] على يزيد بن معاوية على الصّورة الاتية.

١ - حكم أبيها في طلب مقدار الصّداق.

٢ - قضاء دينه بالغاً ما بلغ.

٣ - يكون هذا الزّواج سبباً إلى صلح الحيين: بني هاشم بني أمية.

٤ - ويزيد بن معاوية كفو من لا كفو له، ولعمري لمن يغبطكم بيزيد أكثر ممن يغبط يزيد بكم.

٥ - يزيد ممن يستسقي الغمام بوجهه.

(١) طبقاً لبعض الروايات أسمها أم كلثوم، وذكر بدلاً عن الإمام الحسن(ع) الإمام الحسين(ع) / بحار الأنوار: ج٤٤، ص ٢٠٧ - ٨ - ٢.

ثم سكت وجلس.

فقال الإمام الحسن(ع) وتكلّم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

١ - أمّا ما ذكرت من حكم أبيها في الصّداق، فإنّا لم نكن لنرغب عن سنّة رسول الله(ص) في أهله وبناته (وهي ٥٤٠ درهم).

٢ - أمّا قضاء دين أبيها فمتى قضت نساؤنا ديون آبائهن؟

٣ - وأمّا صلح الحيين: فأنا عادَيناكُمْ للهِ وفي اللهِ فلا نُصالِحُكُمْ للدنيا.

٤ - وأمّا قولك من يغبطنا بيزيد أكثر ممن يغبطه بنا، فإن كانت الخلافة فاقت النبوة فنحن المغبُوطون به، وإن كانت النبوة فاقت الخلافة، فهو المغبوط بنا.

٥ - وأمّا قولك إن الغمام يستسقي بوجه يزيد، فإن ذلك لم يكن إلا لآل رسول الله(ص) (فإن الله عزّ وجلّ ينزل الغمام ببركة وجوههم الشريفة) وقد رأينا أن نزوّجها من إبن عمها القاسم بن محمد بن جعفر وقد زوجتها منه، وجعلت مهرها ضيعتي التي لي بالمدينة، ولها فيها غنى وكفاية.

فقال مروان: أغدراً يا بني هاشم؟ (وتجيبنا بكل مسألة مسألةً).

فقال الإمام الحسن(ع): نعم، فتلك واحدة بواحدة.

وكتب مروان بجواب الإمام الحسن(ع) ورده بعد يأس من قبول الإمام الحسن(ع) إلى معاوية.

فقال معاوية: خطبنا إليهم فلم يفعلوا، ولو خطبوا إلينا لما رددناهم[1].

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص ١١٩ - ١٢٠.

٩ - أربعة أشخاص يترصّدون لاغتيال الإمام الحسن(ع):

كان من جملة المؤامرات الاجراميّة لمعاوية عزمُه على دسّ أربعة مجرمين سراً لاغتيال الإمام الحسن(ع) وهم.

١ - عَمْرو بن حريث. ٢ - الأشعث بن قيس. ٣ - حجر بن الحارث. ٤ - شبث بن ربعي.

فدعا معاوية كلَّ واحدٍ منهم بشكل سري وقال له: إنك إن قتلت الحسن بن على فلك مائتا ألف درهم، وجند من أجناد الشام، وبنت من بناتي.

فقبل كل واحد منهم ما إقترح عليه معاوية طمعاً في نيل الجائزة الوافرة، ووضع معاوية على كل واحدٍ منهم جاسوساً ليخبر معاوية عن نشاطاتهم وتحرّكاتهم.

فعرف الإمام الحسن(ع) بما نوى به معاوية من عمل إجراميّ فأخذ يحتاط لنفسه كي يأمن من شر مؤامرة الجناة المنافقين. فلبس درعاً تحت ثيابه وكان يحترز ولا يتقدّم للصّلاة بهم إلا كذلك.

فرماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه، لما عليه من اللاحة[١].

١٠ - بكاء الإمام الحسن المجتبى(ع) خوفاً من العذاب الإلهي:

لمّا حضرت الإمام الحسن بن عليّ(ع) الوفاة بكى بكاء شديداً، فقال له أحد الحاضرين: يا إبن رسول الله أتبكي، ومكانك من رسول الله(ص). الذي أنت به. وقد قال فيك رسول الله(ص) ما قال. وقد حَجَجْتَ عشرين حُجةَ ماشياً، وقد قاسَمْتَ ربك

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص ٣٣.

مالك ثلاث مرات حذو النّعل بالنّعل (فينبغي أن تكون فرحاً مسروراً مع مكانتك وأنت تخرج من الدنيا).

فقال الإمام الحسن(ع): «إنما أبكي لِخِصْلَتَين: لَهولِ المُطَّلَعْ وفراقِ الأحبةِ»[١].

نزول القرآن وشهادة علي وقعتا في ليلة واحدة!!

لمّا قبض أمير المؤمنين(ع) في ليلة الحادي والعشرين من رمضان سنة أربعون من الهجرة وفي غد تلك الليلة - قام الحسن بن علي(ع) في مسجد الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبي(ص)، ثم قال:

أيها الناس، إنه قد قبض في هذه الليلة رجل ما سبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون، إنه كان لصاحب راية رسول الله(ص)، عن يمينه جبرائيل، وعن يساره ميكائيل، لا ينثني، - ولا ينصرف عن الجهاد -، حتى يفتح الله له، والله ما ترك بيضاء ولا حمراء إلا سبعمائة درهم فضلت عن عطائه، أراد أن يشتري بها خادماً لأهله، والله لقد قبض في الليلة التي فيها قبض وصيّ موسى(ع) يوشع بن نون، والليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، والليلة التي نزل فيها القرآن[٢].

ما هو بسحر ولكن دعوة إمام وهي مستجابة!!

قال الصادق(ع): خرج الحسن بن علي(ع) في بعض عُمَره ومعه رجل من ولد الزبير كان - يقول بإمامته، فنزلوا في منهل من تلك المناهل تحت نخل يابس، قد يبس من العطش، ففرش للحسن(ع) تحت نخلة وفرش للزبيري بحذاه تحت نخلة أخرى.

---

(١) أمالي الصدوق (ره): المجلس ٣٩، حديث ٩.

(٢) ح١: ٤٥٧ (٥٢٩) ح٨.

فقال الزبيري ورفع رأسه: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه.

فقال له الحسن: وإنك لتشتهي الرطب؟

فقال الزبيري: نعم.

فرفع الإمام الحسن(ع) يده إلى السماء فدعا بكلام لم أفهمه - الكلام للزبيري - فاخضرّت النخلة، ثم صارت إلى حالها فأورقت وحملت رطباً.

فقال الجمّال الذي أكثروا منه: سحر والله.

فقال الحسن(ع): ويلك ليس بسحر ولكن دعوة ابن نبيّ، وهي مستجابة.

قال الصادق(ع): فصعدوا - الناس الذين كانوا معه - إلى النخلة فصرموا ما كان فيه من التمر، فكفاهم[1].

وهب الله لك ذكراً وهو من شيعتنا!!

قال الصادق(ع): خرج الحسن بن علي(ع) إلى مكة سنة ماشياً، فورمت قدماه، فقال له بعض مواليه: لو ركبت لسكن عنك هذا الورم.

فقال(ع) كلاّ، إذا أتينا هذا المنزل فإنه يستقبلك أسود ومعه دهن فاشتر منه ولا تماسكه.

فقال له مولاه: بأبي أنت وأمي ما قدمنا منزلاً فيه أحد يبيع هذا الدواء.

فقال له(ع) بلى، إنه أمامك دون المنزل.

فسارا ميلاً فإذا هو بالأسود، فقال الحسن(ع) لمولاه: دونك الرجل فخذ منه الدهن

(١) ج١: ٤٦٢ (٥٢٤) ح٤.

وأعطه الثمن. - فتقدم إليه مولاه -.

فقال الأسود: يا غلام، لمن أردت هذا الدهن؟

فقال: للحسن بن علي(ع).

فقال الأسود: انطلق بي إليه، فانطلق فأدخله إليه، فقال له: بأبي وأنت وأمي، لم أعلم أنك تحتاج إلى هذا أو ترى ذلك ولست آخذ له ثمناً، إنما أنا مولاك، ولكن ادع الله أن يرزقني ذكراً سوياً يحبكم أهل البيت، فإني خلّفت أهلي تمخض.

فقال(ع): انطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكراً سوياً، وهو من شيعتنا[١].

أقول: وهذا المولود هو شاهر أهل البيت الشهير المجاهد السيد الحميري الذي عنه أنه أنشد في حق أهل البيت «٢٣٠٠» قصيدة[٢].

(١) ج١: ٤٦٢ (٥٣٥) ح٦.
(٢) سفينة البحار٢: ٤٢٠، باب الحاء بعده الميم ثم الراء حمر.
(٣) ج١: ٤٦١ (٥٢٢) ح١.

يوم على جمل ويوم على بغل!!

(قال الباقر(ع): لما احتضر الحسن بن علي(ع) - على أثر دس السم الذي دسته إليه زوجته جعدة بأمر من معاوية حتى استشهد في آخر صفر سنة خمسين من الهجرة) قال للحسين(ع): يا أخي، إني أوصيك بوصية فاحفظها - وأدّها عملاً -، فإذا أنا متّ فهيّئني، ثم وجّهني إلى رسول الله(ص) - عند قبره - لأحدث به عهداً، ثم اصرفني إلى أمي فاطمة(ع)، ثم ردّني فادفني بالبقيع، واعلم أنه سيصيبني من الحميراء - عائشة بنت أبي بكر - ما يعلم الناس من صنيعها وعداوتها لله ولرسوله(ص)، وعداوتها لنا أهل البيت.

فلما قبض الحسن(ع) ووضع على سريره فانطلقوا به إلى مصلّى رسول الله(ص) الذي كان يصلي فيه على الجنائز، فصلّى الحسين(ع) على الحسن(ع)، فلما أن صلى عليه حمل فأُدخل المسجد، فلما أوقف على قبر رسول الله(ص) بلغ عائشة الخبر بعض المنافقين، وقيل لها: إنهم - أي بني هاشم - قد أقبلوا بالحسن بن علي(ع) ليدفن مع رسول الله(ص).

فخرجت عائشة على بغل بسرج، فكانت أوّل امرأة ركبت في الإسلام سرجاً، فوقفت وقالت: نحّوا ابنكم عن بيتي فإنه لا يدفن فيه شيء، ولا يهتك على رسول الله حجابه.

فقال لها الحسين بن علي صلوات الله عليهما: قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله(ص) وأدخلتِ بيته من لا يحب رسول الله(ص) قربه، وإن الله سائلك عن ذلك.

يا عائشة، إن أخي أمرني أن أُقرّبه من أبيه رسول الله(ص) ليحدث به عهداً، واعلمي أن أخي أعلم الناس بالله ورسوله، وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على رسول

الله(ص) ستره، لأن الله تبارك وتعالى يقول: «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم»(١)، وقد أدخلت أنت بيت رسول الله(ص) الرجال بغير إذنه، وقد قال الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي»(٢)، ولعمري لقد ضربتِ أنت لأبيك وفاروقه عند أذن رسول الله(ص) المعاول.

وقال الله عز وجل: «إن الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى»(٣)، ولعمري لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله(ص) جائزاً فيما بيننا وبين الله لعلمت أنه سيدفن وإن رغم معطسك - أنفك -.

ثم تكلّم محمد بن الحنفية وقال: يا عائشة، يوماً على بغل ويوماً على جمل، فما تملكين نفسك ولا تملكين الأرض عداوة لبني هاشم.

فأقبلت عائشة على محمد بن الحنفية، فقالت: يا ابن الحنفية، هؤلاء الفواطم يتكلّمون فما كلامك.

فقال لها الحسين(ع): وأنّى تبعدين محمداً من الفواطم، فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم، فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن مخزوم، أم سيدنا أبي طالب(ع) وزوجة عبد المطلب(ع) وفاطمة بنت أسد بن هاشم، أم الإمام علي(ع) وزوجة أبي طالب(ع). وفاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص بن عامر - أم عبد المطلب(ع).

فقالت عائشة للحسين(ع): نحّوا ابنكم واذهبوا به فإنكم قوم خصمون.

قال الباقر(ع): فمضى الحسين إلى قبر أمه ثم أخرجه فدفنه بالبقيع - كما أوصى بذلك الإمام الحسن(٤).

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٣.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية ٣.

(٤) ج١: ٣٠٢ - ٣٠٣ (٢٥٨ - ٢٥٩) ح٣.

ابني كان على كتفي

عن أنس وعبد الله بن شيبة، عن أبيه، أنه دعي النبي(ص) إلى صلاة والحسن(ع) متعلق به، فوضعه النبي (ص) مقابل جنبه وصلى، فلما سجد أطال السجود، فرفعت رأسي من بين القوم فإذا الحسن(ع) على كتف رسول الله(ص)، فلما سلم(ع) قال له القوم: يا رسول الله، لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها كأنّما يوحى إليك.

فقال (ص): لم يوح إليّ ولكنّ ابني كان على كتفي فكرهت أن أعجّله حتى نزل(١).

جواب الإمام الحسن (ع) إلى الأعرابي

وعن المجلس في البحار قال: حدث أبو يعقوب يوسف بن الجراح عن رجاله، عن حذيفة بن اليمان قال: بينا رسول الله(ص) في جبل أظنه حرى أو غيرها ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي(ع) وجماعة من المهاجرين والأنصار وأنس حاضر لهذا الحديث وحذيفة يحدث به إذ أقبل الحسن بن علي(ع) يمشي على هدوء ووقار فنظر إليه رسول الله(ص) وقال: انّ جبرئيل يهديه وميكائيل يسدده وهو ولدي والطّاهر من نفسي وضلع من أضلاعي، هذا سبطي وقرّة عيني بأبي هو.

فقام رسول الله(ص) وقمنا معه وهو يقول له: أنت تفّاحتي وأنت حبيبي ومهجة قلبي، وأخذ بيده فمشى معه ونحن نمشي حتّى جلس وجلسنا حوله ننظر إلى رسول الله(ص) وهو لا يرفع بصره عنه، ثمّ قال: أما أنّه سيكون بعدي هادياً مهديّاً، هذا هدية من رب العالمين لي، ينبىء عنّي ويعرّف النّاس آثاري ويُحيي سنّتي، ويتولى أموري في فعله ينظر الله إليه فيرحمه، رحم الله من عرف له ذلك وبرّني فيه وأكرمني فيه.

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٩٤.

فما قطع رسول الله(ص) كلامه حتّى أقبل إلينا أعرابيٌّ يجرّ هراوة له، فلمّا نظر رسول الله(ص) إليه قال: قد جاءكم رجل يكلّمكم بكلامٍ غليظٍ تقشعرّ منه جلودكم، وأنه يسألكم عن أمور، ان لكلامه جفوة.

فجاء الأعرابي فلم يسلّم وقال: أيّكم محمّد؟

قلنا: وما تريد؟

قال رسول الله(ص): مهلاً.

فقال الأعرابي: يا محمّد لقد كنت أبغضك ولم أرك والآن فقد ازددت لك بغضاً.

قال: فتبسّم رسول الله(ص) وغضبنا لذلك وأردنا بالأعرابي ارادة.

فأومأ إلينا رسول الله(ص) أن اسكتوا!

فقال الأعرابي: يا محمد أنّك تزعم أنك نبيٌّ وأنّك قد كذبت على الأنبياء وما معك من برهانك شيء.

قال له: يا أعرابي وما يدريك؟

قال: فخبّرني ببرهانك.

قال: إن أحببت أخبرك عضو من أعضائي فيكون ذلك أوكد لبرهاني.

قال: أو يتكلّم العضو؟

قال: نعم، يا حسن قم.

فازدرى الأعرابي نفسه وقال: هو ما يأتي ويقيم صبيّاً ليكلّمني.

قال: انّك ستجده عالماً بما تريد، فابتدره الحسن(ع) وقال: مهلاً يا أعرابي:

ما غبياً سألت وابن غبي   بل فقيهاً اذن وأنت الجهول
فإن تك قد جهلت فإن عندي   شفاء الجهل ما سأل السؤال
وبحراً لا تقسمه الدوالي   تراثا ـ كان أورثه الرّسول

لقد بسطت لسانك وعدوت طورك، وخادعت نفسك، غير أنك لا تبرح حتى تؤمن إن شاء الله.

فتبسم الأعرابي وقال: هيه.

فقال له الحسن(ع): نعم اجتمعتم في نادي قومك وتذاكرتم ما جرى بينكم على جهل وخرق منكم، فزعمتم أن محمداً صنبور والعرب قاطبة تبغضه، ولا طالب له بثأره، وزعمت أنك قاتله وكان في قومك مؤنته، فحملت نفسك على ذلك وقد أخذت قناتك بيدك تؤمه تريد قتله، فعسر عليك مسلكك وعمي عليك بصرك وأبيت إلا ذلك فأتيتنا خوفاً من أن يشتهر وأنك إنما جئت بخير يراد بك.

أنبئك عن سفرك خرجت في ليلة ضحياء إذ عصفت ريح شديدة اشتد منها ظلماؤها وأظّلت سماؤها وأعصر سحابها، فبقيت محر نجماً كالأشقر إن تقدّم نحر وإن تأخر عقر، لا تسمع لواطئ حساً ولا لنافخ نار جرساً، تراكمت عليك غيومها، وتوارت عنك نجومها، فلا تهتدي بنجم طالع ولا بعلم لامع، تقطع محجة وتهبط لجّة في ديمومة قفر بعيدة القعر، مجحفة بالسفر، إذا علوت مصعداً ازددت بعداً، الريح تخطفك والشوك تخبطك في ريح عاصف، وبرق خاطف، قد أوحشتك آكامها، وقطعتك سلامها، فأبصرت فإذا أنت عندنا فقرت عينك وظهر رينك وذهب أنينك.

قال: من أين قلت يا غلام هذا؟ كأنك كشفت عن سويد قلبي، ولقد كنت كأنّك شاهدتني وما خفي عليك شيء من أمرى وكأنّه علم الغيب، فقال له: ما الإسلام؟

فقال الحسن(ع): الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فأسلم وحسن إسلامه، وعلّمه رسول الله(ص) شيئاً من القرآن. فقال: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأعرّفهم ذلك؟

فأذن له فانصرف ورجع ومعه جماعة من قومه، فدخلوا في الإسلام فكان النّاس إذا نظروا إلى الحسن (ع) قالوا: لقد أُعطي ما لم يعط أحد من النّاس[١].

لا تعجبين يا أمّاه فإن كبيراً يسمعني

وعن أبي السعادات في الفضائل أنه أملأ الشيخ أبو الفتوح في مدرسة الناجية: أن الحسن بن علي(ع) كان يحضر مجلس رسول الله(ص) وهو ابن سبع سنين فيسمع الوحي فيحفظه فيأتي فيلقى إليها ما حفظه، كلما دخل علي بن أبي طالب(ع) وجد عندها علماً بالتنزيل فيسألها عن ذلك فقالت: من ولدك الحسن(ع)، فتخفّى يوماً في الدّار، وقد دخل الحسن(ع) وقد سمع الوحي فأراد أن يلقيه اليها فأُرتج عليه، فعجبت أمه من ذلك فقال: لا تعجبين يا أمّاه فإن كبيراً يسمعني، فاستماعه قد أوقفني، فخرج علي(ع) فقبّله[٢].

قل لا إله إلا الله حتى أشفع لك

وجاء أبو سفيان إلى علي(ع) فقال: يا أبا الحسن جئتك في حاجة قال: وفيم جئتني؟ قال: تمشي معي إلى ابن عمّك محمد فتسأله أن يعقد لنا عقداً ويكتب لنا كتاباً، فقال: يا أبا سفيان لقد عقد لك رسول الله(ص) عقداً لا يرجع عنه أبداً وكانت فاطمة من وراء الستر والحسن(ع) يدرج بين يديها وهو طفل من أبناء أربعة عشر شهراً، فقال لها: يا بنت محمد قولى لهذا الطفل يكلّم لى جدّه فيسود بكلامه العرب والعجم.

فأقبل الحسن(ع) إلى أبي سفيان وضرب إحدى يديه على أنفه والأخرى على

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٣٣٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٣ ص٣٣٨.

لحيته، ثم أنطقه الله عز وجل بأن قال: يا أبا سفيان قل لا إله إلا الله، محمد(ص) رسول الله، حتى أكون شفيعاً، فقال: الحمد لله الذي جعل في آل محمد(ص) من ذرية محمد المصطفى(ص) نظير يحيى بن زكريا ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾(١).

الإمام الحسن يخلّص أخاه من صالح اليهوديّ

وجاء في المنتخب: أن النبي(ص) خرج من المدينة غازياً وأخذ معه عليّاً وبقي الحسن والحسين(ع) عند أمّهما لأنهما صغيران، فخرج الحسين(ع) ذات يوم من دار أمه يمشي في شوارع المدينة وكان عمره يومئذ ثلاث سنين فوقع بين نخيل وبساتين حول المدينة، فجعل يسير في جوانبها ويتفرّج في مضاربها، فمرّ عليه يهوديّ يقال له صالح بن وهب فأخذه إلى بيته وأخفاه من أمه حتى بلغ النّهار إلى وقت العصر والحسين(ع) لم يتبيّن له أثر.

فثار قلب فاطمة(ع) بالهمّ والحزن على ولدها الحسين(ع) فصارت تخرج من باب بيتها إلى باب المسجد سبعين مرّة فلم تر أحداً تبعثه في طلب الحسين(ع)، ثم أقبلت إلى ولدها الحسن(ع) وقالت: يا مهجة قلبي وقرّة عيني، قم فاطلب أخاك فإنّ قلبي يحترق من فراقه.

فقام الحسن وخرج من المدينة وأتى إلى دور حولها نخل كثير وجعل ينادي: يا حسين بن علي(ع)، يا قرّة عين النبي(ص)، أين أنت يا أخي؟

قال: فبينا الحسن ينادي إذ بدت له غزالة في تلك السّاعة، فألهم الله الحسن أن يسأل الغزالة فقال لها: يا ظبية هل رأيت أخي حسيناً؟

(١) بحار الأنوار، ج٤٣ ص٢٢٦ عن المناقب والآية في سورة مريم، ١٢.

فأنطق الله الغزالة ببركات رسول الله(ص) وقالت: يا حسن يا نور عين المصطفى، وسرور قلب المرتضى، ويا مهجة فؤاد الزّهراء، اعلم أنّ أخاك أخذه صالح اليهودي وأخفاه في بيته، فصار الحسن(ع) حتى أتى إلى دار اليهودي فناداه فخرج صالح، فقال له الحسن: يا صالح أخرج إليّ الحسين(ع) من دارك وسلّمه إليّ وإلاّ أقول لأمّي(ع) تدعو عليك في أوقات السّحر وتسأل ربّها حتّى لا يبقى على وجه الأرض يهوديٌّ، ثم أقول لأبي يضرب بحسامه لجمعكم حتى يلحقكم بدار البوار، وأقول لجدّي(ص) يسأل الله سبحانه أن لا يدع يهوديّاً إلاّ وقد فارق روحه.

فتحيّر صالح اليهودي من كلام الحسن(ع) وقال له: يا صبي من أمّك؟

فقال: أمّي الزّهراء بنت محمّد المصطفى قلادة الصفوة، ودرّة صدف العصمة، وثمرة جمال العلم والحكمة، وهي نقطة دائرة المناقب والمفاخر، ولمعةٌ من أنوار المحامد والمآثر، خمّرت طينة وجودها من تفّاح الجنّة، وكتب الله في صحيفتها عتق عصاة الأمة، وهي أم السّادات النّجباء، سيّدة النّساء البتول العذراء فاطمة الزهراء.

فقال اليهودي: أمّا أمّك فقد عرفتها، فمن أبوك؟

فقال الحسن(ع): إن أبي أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب الضّارب بالسيفين والطّاعن بالرّمحين، والمصلّي مع النّبي(ص) في القبلتين، والمفدي نفسه لسيّد الثقلين أبو الحسن والحسين(ع).

فقال صالح: يا صبي قد عرفت أباك، فمن جدّك؟

فقال: جدّي درّة من صدف الجليل، وثمرة من شجرة إبراهيم الخليل، الكوكب الدّري، والنور المضيء من مصباح التبجيل المعلّق في عرش الربّ الجليل، سيّد الكونين، ورسول الثقلين، ونظام الدّارين، وفخر العالمين، ومقتدى الحرمين، وإمام المشرقين

والمغربين، جدّ السّبطين، أنا الحسن وأخي الحسين.

فلمّا فرغ الحسن(ع) من تعداد مناقبه انجلى صدع الكفر عن قلب صالح وهملت عيناه بالدّموع وجعل كالمتحيرّ ينظر متعجّباً من حُسن منطقه وصغر سنّه وجودة فهمه، ثم قال له: يا ثمرة فؤاد المصطفى، ويا نور عين المرتضى، ويا سرور صدر الزّهراء، يا حسين أخبرني من قبل أن أسلّم إليك أخاك الحسين عن أحكام دين الإسلام حتى أذعن لك وأنقاد إلى الإسلام.

ثمّ إن الحسن(ع) عرض عليه أحكام الإسلام، وعرّفه الحلال والحرام.

فأسلم صالح وأحسن الإسلام في يد الإمام ابن الإمام وسلّم إليه أخاه الحسين(١).

الإمام الحسن [ع] وتفسير آية الشّاهد

روي الإربلي عن كمال الدين بن طلحة، عن أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسيره الوسيط ما يرفعه بسنده أن رجلاً قال: دخلت مسجد المدينة فإذا أنا برجل يحدّث عن رسول الله(ص) والنّاس حوله، فقلت له: أخبرني عن شاهدٍ ومشهودٍ.

فقال: نعم، أما الشاهدة فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم عرفة. فجزته إلى آخر يحدّث، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود.

فقال: نعم، أما الشّاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر.

فجزتهما إلى غلام كأنّ وجهه الدنيا وهو يحدث، عن رسول الله(ص) فقلت: أخبرني عن شاهدٍ ومشهودٍ.

فقال: نعم، أما الشاهد فمحمّد(ص)، وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول:

---

(١) معالي السّبطين، ج١، ص٧٦ عن المنتخب.

﴿يا أيّها النبي انا أرسلناك شاهداً﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾[2].

فسألت عن الأوّل فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني فقالوا: ابن عمر، وسألت عن الثالث فقالوا: الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان قول الحسن أحسن![3].

سل أيّ الغلامين شئت

وفي المناقب عن القاضي النّعمان في شرح الأخبار: بالإسناد عن عبادة بن الصامت، ورواه جماعة، عن غيره، أنه سأل أعرابي أبا بكر فقال: أنّي أصبت بيض نعام فشويته وأكلته وأنا محرم فما يجب عليّ؟

فقال له: يا أعرابي أشكلت عليّ في قضيّتك، فدله على عمر، ودله عمر على عبد الرحمن، فلما عجزوا قالوا: عليك بالأصلع، فقال أمير المؤمنين(ع): سل أي الغلامين شئت، فقال الحسن: يا أعرابي ألك إبل؟ قال: نعم، قال: فاعمد إلى عدد ما أكلت من البيض نوقاً فاضربهن بالفحول فما فضل منها فأهده إلى بيت الله العتيق الذي حججت إليه.

فقال أمير المؤمنين (ع): إن من النوق السلوب ومنها ما يزلق.

فقال: أن يكن من النوق السلوب وما يزلق فإن من البيض ما يمرق.

قال: فسمع صوت: معاشر الناس أن الذي فهمّ هذا الغلام هو الذي فهمها سليمان بن داود[4].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٥.

(٢) سورة هود، الآية ١٥٣.

(٣) كشف الغمّة، ج١، ص٥٤٣.

(٤) بحار الأنوار، ج٤٣ ص٣٥٤ عن المناقب.

اليوم عيد وليس لنا ثوب جديد

قال المجلسي: وروي عن بعض الثّقات الأخيار أن الحسن والحسين (عليهما السلام) دخلا يوم عيد إلى حجرة جدّهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالا: يا جدّاه، اليوم يوم العيد، وقد تزين الأولاد العرب بألوان اللّباس، ولبسوا جديد الثّياب وليس لنا ثوب جديد وقد توجّهنا لذلك إليك، فتأمل النّبي (صلى الله عليه وآله) حالهما وبكى، ولم يكن عنده في البيت ثياب تليق بهما ولا رأى أن يمنعهما فيكسر خاطرهما، فدعا ربّه وقال: إلهي أجبر قلبهما وقلب أمهما.

فنزل جبرئيل ومعه حلتان بيضاوان من حلل الجنّة، فسرّ النّبي (صلى الله عليه وآله) وقال لهما: يا سيدي شباب أهل الجنّة خذا أثواباً خاطها خياط القدرة على قدر طولكما، فلمّا رأيا الخلع بيضاً قالا: يا جدّاه كيف هذا وجميع صبيان العرب لابسون ألوان الثّياب؟! فأطرق النّبي (صلى الله عليه وآله) ساعة متفكّراً في أمرهما.

فقال جبرئيل: «يا محمّد طب نفساً وقرّ عيناً أنّ صابغ صبغة الله عزّ وجل يقضي لهما هذا الأمر ويفرّح قلوبهما بأي لون شاءا، فأمر يا محمّد بإحضار الطست والإبريق، فاحضرا» فقال جبرئيل: «يا رسول الله أنا أصبّ الماء على هذه الخلع وأنت تفركهما بيدك فتصبغ لهما بأي لون شاءا. فوضع النبي(ص) حلة الحسن(ع) في الطست فأخذ جبرئيل يصب الماء، ثم أقبل النبي(ص) على الحسن(ع) وقال له: يا قرّة عيني بأي لون تريد حلتك؟ فقال: أريدها خضراء، ففركها النّبي(ص) بيده في ذلك الماء، فأخذت بقدرة الله لوناً أخضر فائقاً كالزّبرجد الأخضر فأخرجها النّبي(ص) وأعطاها الحسن(ع) فلبسها.

ثم وضع حلة الحسين(ع) في الطست وأخذ جبرئيل يصبّ الماء فالتفت النّبي (ص)

إلى نحو الحسين(ع) وكان له من العمر خمس سنين وقال له: يا قرّة عيني أيّ لون تريد حلتك؟ فقال الحسين(ع): يا جد أريدها حمراء، ففركها النّبي(ص) بيده في ذلك الماء فصارت حمراء كالياقوت الأحمر فلبسها الحسين(ع)، فسرّ النبي(ص) بذلك وتوجّه الحسن والحسين(ع) إلى أمهما فرحين مسرورين[1] ...

إن الحسن استسقى أوّل مرّة

وعن أمير المؤمنين(ع) قال: رأينا رسول الله(ص) قد أدخل رجله في اللحاف أو في الشعار، فاستسقى الحسن(ع)، فوثب النبي(ص) إلى منيحة لنا فمص من ضرعها فجعله في قدح، ثم وضعه في يد الحسن(ع) فجعل الحسين(ع) يثب عليه ورسول الله (ص) يمنعه فقالت فاطمة: أبتاه كأن الحسن أحبهما إليك؟ قال: ما هو بأحبّهما إليّ ولكنه استسقى أوّل مرة وأني وإياك وهذين وهذا المنجدل يوم القيامة في مكان واحد[2].

خطي أحسن من خطّك!!

وروي في المراسيل أن الحسن والحسين(ع) كانا يكتبان فقال الحسن للحسين(ع): خطّي أحسن من خطّك، وقال الحسين(ع): لا بل خطّي أحسن من خطّك. فقالا لفاطمة(ع): احكمي بيننا، فكرهت فاطمة أن تؤذي أحدهما، فقالت لهما: سلا أباكما: فسألاه، فكره أن يؤذي أحدهما، فقال: سلا جدّكما رسول الله(ص) فقال: لا أحكم بينكما حتى أسأل جبرئيل، فلمّا جاء جبرئيل قال: لا أحكم بينهما ولكن إسرافيل يحكم بينهما، فقال إسرافيل: لا أحكم بينهما ولكن أسأل الله أن يحكم بينهما، فسأل

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٤٥.

(٢) شجرة طوبى، ج٢، ص٢٥٧.

الله تعالى ذلك، فقال تعالى: لا أحكم بينهما ولكن أمهما فاطمة تحكم بينهما.

فقالت فاطمة: أحكم بينهما يا رب وكانت لها قلادة، قالت لهما: أنا أنثر بينكما جواهر هذه القلادة فمن أخذ منهما أكثر فخطه أحسن، فنثرتها وكان جبرئيل وقتئذ عند قائمة العرش فأمره الله تعالى أن يهبط إلى الأرض وينصّف الجواهر بينهما كيلا يتأذى أحدهما، ففعل ذلك جبرئيل إكراماً لهما وتعظيماً[١].

أتستنهض الكبير على الصغير:

روى عبد الله بن ميمون القداح، عن جعفر بن محمّد الصّادق(ع) قال: اصطرع الحسن والحسين(ع) بين يدي رسول الله(ص).

فقال رسول الله(ص): إيها حسن(ع) خذ حسيناً.

فقالت فاطمة(ع): يا رسول الله تستنهض الكبير على الصغير؟ فقال رسول الله(ص): هذا جبرئيل(ع) يقول للحسين(ع): إيهاً يا حسين خذ الحسن[٢].

أيّها الشّيخ كن حكماً بيننا

وعن الرّوياني: أن الحسن والحسين مرّا على شيخ يتوضّأ ولا يحسن، فأخذا في التنازع يقول كل واحد منهما: أنت لا تحسن الوضوء.

فقالا: أيّها الشيخ، كن حكماً بيننا يتوضأ كل واحد منا فتوضّئا.

ثم قالا: أيّنا يحسن؟

قال: كلاكما تحسنان الوضوء ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن وقد تعلّم الآن منكما وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمّة جدّكما[٣].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٣٠٩.

(٢) اعلام الورى، ص٢١٦، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٧٦، المحجة البيضاء، ج٤، ص٢٢٣.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٣١٩.

المعصوم الخامس

الإمام الثالث

الحسين بن علي الشهيد (عليه السلام)

هويّة المعصوم الخامس
الإمام الثالث
الحسين الشهيد(ع)

الاسم: الحسين(ع).

اللّقب المشهور: سيد الشهداء.

الكنية: أبو عبد الله.

الأب والأم: الإمام علي بن أبي طالب(ع)، وفاطمة الزهراء(ع).

تاريخ ومحل الولادة: الثالث من شعبان من السّنة الرابعة للهجرة في المدينة.

تاريخ ومحل الشهادة: يوم عاشوراء سنة «٦١» في كربلاء وعن عمر يناهز «٥٧» سنة.

مرقده الشريف: العراق - كربلاء.

مراحل حياته الشريفة أربعة أقسام:

١ - عصر رسول الله(ص) «٧» سنوات تقريباً.

٢ - أيام مرافقته لأبيه «٣٠» سنة تقريباً.

٣ - عصر مرافقته لأخيه الإمام الحسن(ع) «١٠» سنوات تقريباً.

٤ - مدة إمامته «١٠» سنوات.

١ - النبي(ص) يحبّ الحسين(ع) حبّاً شديداً:

كان الحسين(ع) طفلاً يترعرعُ في أحضان النّبوّة، ضمّه ذاتَ يوم رسول الله(ص) إلى صدره ليصب عليه من حنانه وحبّه وأخذ يداعبه ويلاعبه ويضاحكه فقالت عائشة: يا رسول الله ما أشدَّ مَزْحك بهذا الصبي.

فقال لها رسول الله(ص): ويلك وكيف لا أحبُّه ولا أفرحُ به، وهو ثمرةُ فؤادي، وقرَّةُ عيني؟ أما إنّ أُمتّي ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حُجَّة من حججي.

قالت عائشة: يا رسول الله حُجَّة من حججك؟

قال رسول الله: نعم، وحجّتين من حججي.

فسألت عائشة متعجبة: يا رسول الله حجّتين من حججك؟

قال رسول الله: نعم، وثلاثة، فلم تزل تزيده ويزيد ويضعّف حتى بلغ تسعين حجّة من حجج رسول الله(ص) بأعمارها(١).

٢ - نموذج من كرم الإمام الحسين(ع):

كان الإمام سيد الشهداء الحسين بن علي(ع) مشغولاً بصلاته فوفد أعرابي فقير مُعْسِرٌ إلى المدينة فسأل عن أكرم الناس فيها، فدُلَّ على الحسين(ع) فدخل المسجد فوجده مصلّياً فوقف بازائه وأنشأ:

لَمْ يَخِبِ اليَومُ من رَجاكَ وَمَنْ　　حرَّكَ من خَلْفِ بابك الحلقة
فأنت ذو الجودِ أنتَ مَعْدَنُه　　أبوكَ قدْ كان قاتلُ الفسقَةَ

فخفف الإمام الحسين(ع) في صلاته والتفت إلى الأعرابي ورأى آثار الفقر

(١) كامل الزيارات: ص ٦٨.

والحرمان على قسمات وجهه، فنادى قنبراً يا قنبر هل بقي من مال الحجاز شيء؟

قال قنبر (رحمهم الله) نعم مائتا درهم[1] وأمرتني أن أقسّمها بين أرحامك.

فقال الإمام الحسين(ع): هاتها قد جاء من هو أحق بها منا. فجاء قنبر بالأموال ونزع(ع) برديه ولفّ الدراهم فيها وأخرج يده من شقّ الباب حياء من الأعرابي وأنشأ:

خُذها فإني إليكَ معتذرٌ واعلمْ بأني عليكَ ذو شفقةِ
لو كانَ في سيرنا الغداةُ عصاً كانت سمانا عليكَ مندفقَه
لكنَّ ريبُ الزمان ذو نكد والكفُّ منّا قليلةُ النفقةِ

فأخذها الأعرابي مسروراً شاكراً ثم أنشأ أبياتاً وانصرف[2].

وحسب ما ورد في بعض الرّويات: لما أخذها الأعرابي بكى بكاء شديداً. فقال له الإمام الحسين(ع): لعلك إستقللت ما أعطيناك.

قال الأعرابي: لا، ولكن كيف يأكل التراب جودك[3]؟

٣ - تواضع الإمام الحسين(ع):

مرّ الإمام الحسين(ع) ذات يوم بمساكين وهم يأكلون خبزاً لهم على كساء فسلّم عليهم، فردّوا سلامه ودعوه إلى طعامهم فجلس معهم وقال:

«لو لم يكن هذا الطعام صدقةً لأكلتُ معكم».

ثم قال لهم(ع): قوموا إلى منزلي، فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم.

---

(١) وفي البحار، ج٤٤، ص ١٩٠ «أربعة آلاف دينار».
(٢) أعيان الشعية، طبعة إرشاد، ج١، ص ٥٧٩.
(٣) منتهى الآمال: ج١، ص ٢٠٩ - بحار الأنوار: ج٤٤، ص ١٩٠.

وبهذه الصورة أدخل سيدُ الشهداء(ع) الفرحَ والسرور على قلوبِهم[١].

وورد أيضاً: مثله، فجلس سيدُ الشهداء(ع) إلى جانب خوانهم وأكل من طعامهم ثم قال(ع):

«إنّ الله لا يحبُّ المُتكبرين»[٢].

٤ - جلالة الإمام الحسين(ع) وكرامته:

مرّ الإمام الحسين(ع) ذات يوم على شاب يقدم طعاماً إلى كلب، فسأله عن سبب عطفه ورأفته بهذا الكلب.

فقال له الشاب: يا إبن رسول الله إني مغموم أطلب سروراً بسروره لأنّ صاحبي يهوديٌّ أريد أن أفارقه.

فأتى به الإمام الحسين(ع) إلى صاحبه وقدم مائتي دينار ثمناً له.

فقال اليهودي: الغلام فدى لخطاك وهذا البستان له ورددت عليك المال.

فاعتق الإمام الحسين الغلام فوراً ووهب له المال والبستان.

ولمّا رأت امرأة اليهودي جلالة الإمام الحسين(ع) وكرمه قالت: قد أسلمتُ ووهبتُ زوجي مَهْري.

فقال اليهودي: وأنا أيضاً أسلمتُ وأعطيتها هذه الدار[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص ١٩١.
(٢) أعيان الشيعة: ج١، ص ٥٨٠.
(٣) مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص ٧٥ ملخصاً.

٥ - الإمام الحسين(ع) وجوابه الدامغ لكتاب معاوية:

كان لمعاوية عيونٌ وجواسيسٌ في المدينة يكتبون إليه بأخبارها وأحداثها، فكتبوا إليه مرّةً يخبرونه بأن الحسين بن عليّ أعتق جاريته ثم تزوج منها.

ولما وصل الكتاب إلى معاوية كتب إلى الإمام الحسين(ع) كتاباً هذا نصه.

«أمّا بعد، فإنه بلغني أنك تزوّجتَ جاريتك وتركت أكْفاءك من قريشٍ من تستنْجِبُه للولد وتمجّدُ به الصّهرَ فلا لنفسك نظرْتَ ولا لولدك انتقَيْتَ».

فاستلم الإمام الحسين(ع) كتاب معاوية وكتب إليه جواباً قاطعاً دامغاً لا تقوم لمعاوية معه قائمةٌ هذا نصّه.

«أمّا بعد، فقد بلغني كتابُك وتعييرك إيّايَ بأنّي تزوّجتُ مولاتي وتركت أكْفائي من قريش فليس فوق رسول الله(ص) منتهى في الشرف ولا غايةٌ في النّسب وإنما كانت مُلْكَ يميني خَرَجَتْ من يدي بأمرٍ التمستُ فيه ثوابَ الله ثم ارتَجَعْتُها على سُنّة نبيّه(ص) وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة ووضع عنّابه النّقيصة فلا لوم على امرئٍ مسلمٍ إلاّ في أمرِ مَأْثَمٍ وإنما اللومُ لومَ الجاهليّة».

فلما قرأ معاويةُ كتابَ الإمام الحسين(ع) أعطاه إلى يزيد فقرأه وقال لأبيه: لشدّ ما فَخَر عليك الحسين(ع).

فقال معاوية: لا، ولكنّها ألسنةُ بني هاشمٍ الحدادُ التي تفلق الصّخرَ وتَغْرِقُ من البحر[1].

---

(١) أعيان الشيعة: ج١، ص ٥٨٣، ط وزارة الإرشاد.

٦ - حلم الإمام الحسين(ع) وصبره:

جنى غلامٌ لسيّد الشّهداء(ع) ذات يوم جنايةً توجب العقابَ عليه، فأمر الإمامُ(ع) بتأديبه وضربه.

فصاح الغلام: يا مولاي «والكاظمين الغيظ».

قال الإمام(ع): خلّوا عنه.

قال الغلام: يا مولاي «والعافين عن الناس».

(من صفات وأخلاق المتقين العفوُ عن الآخرين).

قال الإمام(ع): قد عفوتُ عنك.

قال الغلام: مولاي «والله يحبُّ المحسنين».

قال الإمام(ع): أنت حرٌّ لوجه الله، ولك ضِعْفُ ما كنتُ أعطيك(١).

وبهذه الصورة استجاب الإمام الحسين(ع) بكمال الصّبر والإكرام ما أَلْقَى إليه الغلامُ من الآية (١٣٤ من سورة آل عمران) وعاملَ الغلام بمثل ما ذهب إليه من أخلاق الإسلام ومفاهيمه.

٧ - نموذج من شجاعة الإمام الحسين(ع):

لما التقى جيش الإمام الحسين(ع) مع جيش الحرّ بن يزيد الرّياحي(رحمهم الله) أخذا يتحدثان، وحاول الحر أن يقدم نصيحة للإمام الحسين(ع) وقال:

«يا حسين إني أذكّركَ الله في نفسك، فأني أشهد لئن قاتَلْت لتقتلنّ».

(١) أعيان الشيعة: ج١، ص ٥٨٠.

فجاء جوابُ الإمام الحسين(ع) قاطعاً وصريحاً وحاكياً عن شجاعتِه وصلابته فقال:

أفبالموت تخوِّفُني؟ وهل يَعْدو بكم الخطبُ أن تَقْتلوني وسأقولُ كما قال أخو الأوس لابنِ عمِّه وهو يريد نُصْرَة رسولِ الله(ص) فخوّفه ابنُ عمه وقال: أين تذهبُ فإنك مقتول؟

قال أخو الأوس:

سَأمْضِي ومَا بالموتِ عَارٌ على الفتى   إذا ما نوى حقاً وجاهَدَ مُسْلماً
وواسى الرِّجالَ الصالحين بنَفْسِهِ   وفارقَ مثْبُوراً وخالف مُجْرِماً
فإن عِشْتُ لم أندمْ وإن متُّ لمْ أُلَمْ   كفى بك ذُلاً أن تَعِيشَ وتُرْغَما[1]

٨ - حديث الحسين(ع) مع أحد أصحابه ليلة عاشوراء ومناجاتهم:

لما أسدلت ليلةُ عاشوراء ظلامَها على أرض كربلاء، وأظهرَ أصحابُ الحسين(ع) وفاءَهم وإصرارَهم على الوقوف إلى جَنبِ سيد الشهداء(ع) كان بين هؤلاء الأصحاب الأوفياء محمد بن بشر الحضرمي. فقيل له: قد أُسِرَ ابنك بثغر الرّي.

فقال محمد الحضرمي: عند الله أحْتَسِبهُ ونَفْسي، ما أحبُّ أن يُؤْسَرَ وأنا أبقى بعده.

فسمع الإمام الحسين(ع) قوله، فقال له: رحمك الله أنتَ في حلٍّ من بيعتي فاعملْ في فِكاكِ ابنِك.

فقال محمد الحضرمي: أكَلَتْني السبّاعُ حيّاً إنْ فارقتُك.

قال(ع): فاعط ابنك هذه الأثوابَ البرودَ يستعين بها في فداءِ أخيه، فأعطاه خمسةَ أثوابٍ قيمتها ألفُ دينار.

---

(١) إرشاد المفيد: ج٢، ص ٨١.

وبات سيّدُ الشهداءِ(ع) وأصحابُه ليلة عاشوراء، ولهم دويٌّ كدويِّ النحلِ، ما بين راكعٍ وساجدٍ، وقائمٍ وقاعدٍ، فعبر إليهم في تلك الليلة من عسكر عمرِ بن سعد إثنان وثلاثون رجلاً(١).

٩ - علّة عدم قتل الإمام الحسين(ع) بعض أعدائه:

عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) فامضاه، رأيت أبي(ع) يوم عاشوراء يَحْمِلُ على العدوِّ فيقتلُهم ويتركُ بعضَهم مع كونهم في متناول يدِه وباستطاعتِه قتلَهم.

ولم أكن أعلم سرَّ هذه القضية إلى أن وصلتُ إلى مقام الإمامة، فعرفت أنّ سببَ عدم قتلِ أبي(ع) لأولئك يرجعُ إلى وجود المؤمنين في صُلْبِهم ممن سيكونون من أولياء أهل البيت(ع)، فكان أبي(ع) حِفاظاً على محبينا لا يقتل آباءهم(٢).

وَرَد هذا الموضوعُ في رواياتٍ عديدة عن الأئمة(ع) أيضاً، فإنهم كانوا لا يقتلون بعضَ أعدائهم بسببِ وجودِ المؤمنين في أصلابهم، ومن شواهد هذا الموضوع الآية «٢٥» من سورة الفتحِ أيضاً ولأجل الإطلاع راجع تفسير نور الثقلين ج ٥، ص ٧٠.

وتكملة هذه الموضوع ورد في القصّة الثّانية من حياة الإمام الصادق(ع).

١٠ - ابتسامة الغلام التركي:

إن الحوادث المؤلمة التي جرت على آل الرّسول(ص) في يوم عاشوراء كثيرةٌ، ولكنّنا نكتفي بذكرِ حادثةٍ مؤلمةٍ سجّل بطولتها في التاريخ الشهيدُ المجهول الذي كان من أصل تركي.

نعم، كان للإمام الحسين(ع) غلامٌ تركي يناديه باسم «أَسْلَمَ» وكان قارئاً للقرآن،

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص ٣٩٤.

(٢) معالي السبطين: ج٢، ص ٣١.

يرتّل آياتِه بصوتٍ جميلٍ ولحنٍ يجذبُ إليه القلوب.

فاستعدّ أسلمُ للقِتالِ فجاء إلى سيّدِ الشهداء(ع) واستأذَنَهُ في قتال أعداء الله، فإذن له الإمام(ع)، وساق فرسَه نحو ساحةِ القتال، فقاتَلَ قتال الأبطال. وعلى قولٍ أنه قتل سبعين من الأعداء، ثم سقطَ على الأرض صريعاً ملطخاً بدمِهِ الزّكي فجاءه الإمام الحسين(ع) وجلس عند رأسه فبكى ووضع خدَّه على خدِّهِ، ففتح أسلمُ عينه فرأى وجهَ الإمام الحسين(ع) تعلوه الأنوار الإلهية، فتبسّم فرحاً بما رزقه الله من عظيم المقام، ثم صار إلى ربه شهيداً مُحْتَسِباً رضي الله عنه[1].

الوسواس. لا عقل له

قال عبد الله بن سنان ، ذكرت لأبي عبد الله(ع) رجلاً مبتلىً بالوضوء والصلاة - أي الوسواسيّة -، وقلت : هو رجل عاقل.

قال(ع) : وأيّ عقل له ، وهو يطيع الشيطان؟

فقلت له : وكيف يطيع الشيطان ؟

فقال(ع): سله، هذا الّذي يأتيه من أيّ شيء هو؟ فيقول: ذلك من عمل الشيطان[2].

أقول: لأنّ هذا الرجل بصير على نفسه ويعلم بأن الوسوسة وحديث النفس والاختلال في العزم والإرادة ، هي من إلقاءات الشيطان في قلب الإنسان ، وإلى هذا أشار القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[3].

(١) أعيان الشيعة: ج١، ص ٦٠٧ - نفس المهموم: ١٥٢.
(٢) ج ١: ١٢ (٥٥) ح ١٠ .
(٣) سورة الناس: ٤ - ٥ .

وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟

قال هشام بن الحكم: كان بمصر زنديق تبلغه عن أبي عبد الله(ع) أشياء، فخرج إلى المدينة ليناظره، فلم يصادفه بها، وقيل له: إنّه(ع) خارج بمكّة، فخرج إلى مكّة، ونحن مع أبي عبد الله(ع)، فصادفنا ونحن مع الإمام الصادق(ع) في الطواف، وكان اسمه عبد الملك وكنيته أبو عبد الله، فضرب كتفه كتف أبي عبد الله(ع)، فقال له أبو عبد الله(ع): ما اسمك؟

فقال: عبد الملك.

قال(ع): فما كنيتك؟

قال: كنيتي: أبو عبد الله.

فقال له أبو عبد الله: فمن هذا الملك الذّي أنت عبده؟ أمن ملوك الأرض أم من ملوك السماء؟وأخبرني عن ابنك عبد إله السماء أم عبد إله الأرض؟ قل ما شئت تخصم.

قال هشام بن الحكم للزنديق: أما تردّ عليه؟ فقبّح الزنديق قولي.

فقال له أبو عبد الله(ع): إذا فرغت من الطواف فأتنا.

فلمّا فرغ أبو عبد الله(ع) أتاه الزنديق فقعد بين يدي أبي عبد الله(ع)، ونحن مجتمعون عنده.

فقال أبو عبد الله(ع) للزنديق: أتعلم أن الأرض تحتاً وفوقاً؟

قال: نعم.

قال(ع): فدخلت تحتها؟

قال: لا.

قال(ع): فما يدريك ما تحتها؟

قال: لا أدري، إلا إنّي أظنّ أنْ ليس تحتها شيء.

فقال أبو عبد الله(ع): فالظنّ عجز، لما لا تسيقن؟ ثمّ قال(ع): أفصعدت السماء؟

قال: لا.

قال(ع): أفتدري ما فيها؟

قال: لا.

قال (ع): عجباً لك، لم تبلغ المشرق، ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل الأرض ولم تصعد السماء، ولم تجز هناك فتعرف ما خلفهنّ، وأنت جاحد بما فيهنّ، وهل يجد العاقل ما لا يعرف؟

قال الزنديق: ما كلّمني بهذا أحد غيرك.

قال أبو عبد الله (ع): فأنت من ذلك في شكّ؟ فلعلّه هو ولعلّه ليس هو.

فقال الزنديق: ولعلّ ذلك. - وهنا بدأت مرحلة الشكّ للزنديق بعد أن كان منكراً.

فقال أبو عبد الله(ع): أيّها الرجل، ليس لمن لا يعلم حجّة على من يعلم، ولا حجّة للجاهل! يا أخا أهل مصر، تفهّم عنّي، فإنّا لا نشكّ في الله أبداً، أما ترى إلى الشمس والقمر، والليل والنهار، يلجان فلا يشتبهان ولا يرجعان، وقد اضطرّا، ليس لهما مكان إلا مكانهما، فإن كانا يقدران - ومختاران - على أنْ يذهبا، فلم يرجعان؟ وإنْ كانا غير مضطرّين فلِمَ لا يصير الليل نهاراً، والنهار ليلاً؟ اضطرّا - والله يا أخا أهل مصر - إلى دوامهما، والّذي اضطرّهما أحكم منهما وأكبر.

فقال الزنديق: صدقتَ.

ثمّ قال أبو عبد الله(ع): يا أخا أهل مصر. إنّ الّذي تذهبون إليه، وتظنّون أنّه

الدهر، إنْ كان الدهر يذهب بهم لِمَ لا يردّهم؟ وإن كان يردّهم لِمَ لا يذهب بهم؟ القوم مضطرّون - يا أخا أهل مصر - لِمَ السماء مرفوعة والأرض موضوعة؟ لم لا تسقط السماء على الأرض؟

لِمَ لا تنحدر فوق طباقها، ولا يتماسكان، ولا يتماسك من عليها؟

قال الزنديق: أمسكهما الله ربّهما وسيّدهما.

«وحيث استمع الزنديق استدلال الإمام وأيقن بصحتها بدأت عنده مرحلة فوق مرحلة الشكّ، وهي مرحلة الإيمان والاعتقاد».

قال هشام: فآمن الزنديق على يدي أبي عبد الله(ع).

وقال حمران: جعلتُ فداك - يابن رسول الله(ص) - إن آمنت الزنادقة على يدك، فقد آمن الكفّار على يديّ أبيك - النبي (ص) أو الوصيّ(ع) -.

فقال عبد الملك الذي آمن لأبي عبد الله(ع): اجعلني من تلامذتك.

فقال أبو عبد الله(ع): يا هشام بن الحكم، خذه إليك وعلمه أصول الدين وأحكامه، فعلّمه هشام، فكان معلّم أهل الشام وأهل مصر الإيمان، وحسنت طهارته حتى رضي بها أبو عبد الله(ع)[1].

يا سُبخت، إنّه رسول الله!!

قال أبو عبد الله(ع): إنّ يهوديّاً يقال له: سُبُخت جاء إلى رسول الله(ص) فقال: يا رسول الله، جئت أسألك عن ربك، فإن أنت أجبتني عمّا أسألك عنه وإلا رجعت.

قال(ص): سل عمّا شئت؟

(١) ج١: ٧٢ (١٢٩)ح١.

قال: أين ربك؟

قال (ص): هو في كل مكان وليس في شيء من المكان المحدود.

قال: وكيف هو؟

قال(ص): وكيف أصف ربّي بالكيف، والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه.قال: فمن أين يعلم أنّك نبيّ الله؟

قال(ص): فما بقي حوله حجر ولا غير ذلك إلا تكلّم بلسان عربيّ مبين: يا سبخت، إنّه رسول الله (ص).

فقال سبخت: ما رأيت كاليوم أمراً أبين من هذا، ثم قال: أشهد أن لا إله ألا الله وأنّك رسول الله[1].

الله ليس جسماً ولا صورة

قال يونس بن ظبيان: دخلت على أبي عبد اللهع) فقلت له: إن هشام بن الحكم - وهو من أبرز أصحاب الإمام الصادق(ع) - يقول قولاً عظيماً، ألا إنّي أختصر لك منه أحرفاً، فزعم أن الله جسم، لأن الاشياء شيئان: جسم وفعل الجسم، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل، فقال أبو عبد الله(ع): ويحه! أما علم بأن الجسم محدود متناهٍ، والصورة محدو متناهية، فإذا احتمل الحدّ احتمل الزيادة والنقصان، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً.

قال يونس: فما أقول؟

قال(ع): لا جسم ولا صورة، وهو مجسم الاجسام، ومصور الصور، لم يتجزأ، ولم يتناه، ولم يتزايد، ولم يتناقص، لو كان كما يقولون لم يكن بين الخلق والمخلوق فرق،

(١) ج١: ٩٤ (١٤٨) ح٩

ولا بين المنشئ والمنشأ، لكن هو المنشئ فرّق بين من جسّمه وصوّره وأنشأه إذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبه هو شيئاً[1].

عندنا الجامعة و الجفر ومصحف فاطمة وما أدراكم ما هي؟

قال أبو بصير: دخلت على أبي عبد الله(ع) فقلت له: جعلت فداك، إني أسألك عن مسألة، ها هنا أحد يسمع كلامي - فلو كان أحد غيرنا لامتنعت عن السؤال - فرفع أبو عبد الله(ع) ستراً بينه و بين بيت آخر فاطلع فيه - تأكداً من عدم وجود الغير -. ثم قال: يا أبا محمد، سل عمّا بدالك.

قلت: جعلت فداك إنّ شيعتك يتحدثون أنّ رسول الله(ص) علّم عليّاً باباً يفتح له منه ألف باب؟

قال(ع): يا أبا محمد، نعم، علّم رسول الله(ص) عليّاً(ع) الف باب يفتح من كل باب ألف باب.

قلت: هذا والله العلم - الكامل والتام -.

فنكت أبو عبد الله(ع) ساعة في الارض ثم قال: إنه لعلم كامل، وما هو بذلك-العلم الالهي - الاكمل .. ثم قال: يا أبا محمد، وإن عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة؟

قلت: جعلت فداك، وما الجامعة؟

قال(ع): صحيفة طولها سبعون ذراع بذراع رسول الله (ص) واملائه من فلق فيه وخطّ علي(ع) بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش. وضرب بيده أليّ فقال: تأذن لي، يا أبا محمد؟

---

(١) ج١: ١٣٨ (١٨٧) ح٤ .

قلت: جعلت فداك، إنما انالك وباختيارك، فاصنع ما شئت؟

قال أبو بصير: فغمزني(ع) بيده وأخدشها وقال: حتى أرش هذا الخدش وكأنه مغضب. قلت هذا والله العلم.

قال(ع): إنّه لعلم وليس بذاك. ثمّ سكت ساعة، ثم قال: وإنّ عندنا الجفر، وما يدريك ما الجفر؟

قلت: وما الجفر؟

قال(ع): وعاء من أدم- الجلد- فيه علم النبيّين والوصيّين، وعلم العلماء الّذين مضوا من بني إسرائيل.

قلت: إنّ هذا هو العلم.

قال(ع): إنه لعلم وليس بذاك. شكت ساعة ثمّ قال: وإنّ عندنا لمصحف فاطمة(ع) ، وما يدريهم ما مصحف فاطمة(ع)؟

قلت: وما مصحف فاطمة(ع)؟

قال(ع): مصحف فيه مثل قرآنكم هذا-ثلاث مرات-والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد-يعني ليس فيه ألفاظ القرآن وأياته وتفسيره الظاهريّ واللفظيّ، وإنما يشتمل على روح القرآن ومعانيه-.

قلت: هذا والله العلم.

قال (ع): إنه لعلم وما هو بذاك - العلم الالهيّ الأكمل -، ثم سكت ساعة، ثم قال: إنّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

قال أبو بصير: جعلت فداك، هذا والله هو العلم.

قال(ع): إنه لعلم وليس بذاك - العلم الإلهيّ -.

قلت: جعلت فداك فأي شيء العلم -الأكمل-؟

قال(ع): ما يحدث بين الليل و النهار، الأمر من بعد الأمر، والشيء بعد الشيء، إلى يوم القيامة(١).

أي مخزن العلم النبويّ، وتلك الإلهامات التي تشع على قلب الأئمة(ع) من جانب الله عز وجل ساعة بعد ساعة وهم من بعد ذلك وفي ظل تلك الإفاضة يعرفون الأمور والمسائل.

الصواب ما جاء من عند الأئمة

قال سلام بن سعيد المخزوميّ: بينا أنا جالس عند أبي عبد الله(ع) إذ دخل عليه عبّاد بن كثير عابد أهل البصرة، وابن شريح فقيه أهل مكة، وعند أبي عبد الله(ع) ميمون القدّاح مولي أبي جعفر الباقر(ع)، فسأله عبّاد بن كثير: يا أبا عبد الله، في كم ثوب كفن رسول الله(ص)؟

قال الصادق(ع): في ثلاثة أثواب: ثوبين صحاريين(١) وثوب حِبَرة(٢) - وكان في البُرد قلّة.

قال أبو بصير فكأنما أزوّر عبّاد بن كثير، وتغيّر لونه من ذلك. ولكي يزيل تعجّب ابن كثير ويخبره انّ علومهم من الرسول(ص) وانّهم يقولون الحقّ، فقال أبو عبد الله(ع): إن نخلة مريم - تلك التي أمرت مريم أن تأكل منها عند ولادة النبي عيسى(ع)- إنما كانت عجوة - نوع من التمر وأجوده - ونزلت من السماء فما نبتت

(١) ج١: ٢٣٩ (٢٩٤-٢٩٥)ح١

(٢) وهي قرية في اليمن.

(٣) وهو نوع من برود اليمن.

من أصلها كان عجوة، وكان من لقاط - والنوى - فهو لون - أي رديء.

قال سلام: فلمّا خرجوا من عنده قال عبّاد بن كثير لابن شريح : والله ما أدري ما هذا المثل الذي ضربه لي أبو عبد الله(ع)؟

فقال ابن شريح: هذا الغلام - يقصد ميمون بن القدّاح - يخبرك فإنه منهم.

فسأله.

فقال ميمون: أما تعلم ما قال لك؟

قال عبّاد: لا والله.

قال ميمون: إنه ضرب لك مثل نفسه فأخبرك انه من ولد رسول الله (ص) وعلم رسول الله(ص) عندهم، فما جاء من عندهم فهو صواب، وما جاء من عند غيرهم فهو لقاط[1]...

أقول: فقول الامام الصادق(ع) عن أكفان النبيّ(ص) مطابق للواقع.

يا أبه فما لمن يزور قبورنا؟

وعن جابر، عن أبي جعفر(ع) قال: قال أمير المؤمنين(ع): زارنا رسول الله(ص) وقد أهدت لنا أم أيمن لبناً وزبداً وتمراً، فقدمنا منه فأكل، ثم قام إلى زاوية البيت فصلى ركعات، فلما كان في آخر سجوده بكى بكاءً شديداً فلم يسأله أحد منا إجلالاً وإعظاماً له.

فقام الحسين(ع) وقعد في حجره وقال لله: يا أبه لقد دخلت بيتنا فما سررنا بشيء كسرورنا بدخولك، ثم بكيت بكاءً غمنا فما أبكاك؟

(١) ج١: ٤٠٠ (٤٦٥)ح٦.

فقال: «يا بني أتاني جبرئيل آنفاً فأخبرني أنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى». فقال: يا أبه فما لمن يزور قبورنا على تشتتها؟

فقال: «يا بني أولئك طوائف من أمتي يزورونكم فيلتمسون بذلك البركة، وحقيق علي أن آتيهم يوم القيامة حتى أخلصهم من أهوال الساعة ومن ذنوبهم ويسكنهم الله الجنة[١].

أقبل موضع السيوف

وعن أبي جعفر(ع) قال: كان رسول الله(ص) إذا دخل الحسين(ع) جذبه إليه ثم يقول لأمير المؤمنين(ع): أمسكه ثم يقع عليه فيقبله ويبكي يقول: يا أبة لم تبكي؟ يا بُني أقبل موضع السيوف منك.

قال: يا أبة وأقتل؟ قال: أي والله وأبوك وأخوك وأنت.

قال: يا أبة فمصارعنا شتى؟ قال: نعم، يا بُني.

قال: فمن يزورنا من أمتك؟ قال: لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلا الصديقون من أمتي[٢].

أتركب ظهراً حمله رسول الله (ص)؟

وفي المناقب عن أمالي الحاكم: قال أبو رافع: كنتُ ألاعب الحسين(ع) وهو صبيّ بالمداحي فإذا أصابت مدحاتي مدحاته قلت: احملني.

فيقول: أتركب ظهراً حمله رسول الله (ص)؟

(١) عوالم العلوم والمعارف، ج١٧ ص١٢٣، كامل الزيارات، ص ٥٨ بشارة المصطفى، ص١٩٥.
(٢) كامل الزيارات، ص٧٠.

فأتركه، فإذا أصابت مدحاته مدحاتي قلت: لا أحملك كما لم تحملني.

فيقول: أما ترضى أن تحمل بدناً حمله رسول الله(ص): فأحمله[١].

قال الجزري (المداحي): هي أحجار أمثال القرصة كانوا يحفرون حفيرة ويدحون فيها بتلك الأحجار. فإن وقع الحجر فقد غلب صاحبها وإن لم يقع غلب[٢].

الإمام الحسين [ع] وتكبيرة الصلاة

عن عبد الله بن سنان، عن حفص، عن أبي عبد الله(ع) قال: انّ رسول الله(ص) كان في الصلاة وإلى جانبه الحسين بن علي(ع)، فكبر رسول الله(ص) فلم يحر الحسين(ع) بالتّكبير، ثم كبّر رسول الله(ص) فلم يحر الحسين(ع) التّكبير، فلم يزل رسول(ص) يكبّر ويعالج الحسين(ع) التّكبير فلم يحر حتى أكمل سبع تكبيرات فأحار الحسين(ع) التّكبير في السابعة، فقال أبو عبد الله(ع): فصارت سنّة[٣].

الحسين[ع] على ظهر رسول الله[ص]

وعن الليث بن سعد أن النبي(ص) كان يصلي يوماً في فئة والحسين صغير بالقرب منه فكان النبي(ص) إذا سجد جاء الحسين فركب ظهره ثم حرك رجليه وقال: حل حل، فإذا أراد رسول الله(ص) أن يرفع رأسه أخذه فوضعه إلى جانبه، فإذا سجد عاد على ظهره وقال: حل حل، فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ النبي(ص) من صلاته.

فقال يهودي: يا محمد أنكم لتفعلون بالصبيان شيئاً ما نفعله نحن. فقال

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٧٢.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص ٢٩٧.

(٣) وسائل الشيعة، ج٤، ص٧٢١، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٣٠٧.

النبي(ص) أما لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله لرحمتم الصبيان.

قال: فإني أؤمن بالله وبرسوله.

فأسلم لمّا رأى كرمه مع عظم قدره(١).

النبي[ص] يلعب مع الحسين[ع] في الطريق

وعن ابن ماجة في السنن والزمخشري في الفائق: رأى النبي(ص) الحسين يلعب مع الصبيان في السكة فاستقبل النبي أمام القوم فبسط إحدى يديه فطفق الصبي يفر مرة من ههنا ومرة من ههنا ورسول الله (ص) يضاحكه، ثم أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى على فأس رأسه وأقنعه فقبله وقال: أنا من حسين وحسين مني، أحبّ الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط(٢).

مفاخرة الإمام الحسين مع أبيه[ع]

وفي كتاب تظلم الزهراء عن كتاب المنتخب: كان النبي(ص) جالساً ذات يوم وعنده علي بن أبي طالب(ع) إذ دخل الحسين(ع) فأخذه النبي(ص) وجعله في حجره وقبل بين عينيه وقبل شفتيه وكان للحسين ست سنين.

فقال علي(ع): يا رسول الله، أتحب ولدي الحسين(ع)؟

قال: كيف لا أحبه وهو عضو من أعضائي.

فقال: يا رسول الله، أينا أحب إليك أنا أم الحسين؟

فقال الحسين يا أبه: من كان أعلا شرفاً، كان أحب إلى رسول الله(ص) وأقرب إليه منزلة.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٩٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٧١.

فقال علي (ع): أتفاخرني يا حسين؟

قال: نعم إن شئت يا أبتاه.

فقال علي(ع): أنا أمير المؤمنين، أنا لسان الصادقين، أنا وزير المصطفى، أنا مفتاح الهدى، حتى عدّ من مناقبه نيفاً وسبعين منقبة ثم سكت.

فقال رسول الله(ص) للحسين(ع): أسمعت يا أبا عبد الله وهو عشر معشار ما قاله من فضائله ومن ألف ألف فضيلة وهو فوق ذلك وأعلى.

فقال الحسين(ع): الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وعلى جميع المخلوقين، ثم قال: أما ما ذكرت يا أبة يا أمير المؤمنين فأنت فيه صادق أمين. فقال النبي(ص): أذكر أنت فضائلك يا ولدي. فقال(ع): أنا الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمي فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وجدي محمد المصطفى سيد بني آدم أجمعين، لا ريب فيه يا أبة، أمي أفضل من أمك عند الله وعند الناس أجمعين، وجدي خير من جدك وأفضل عند الله وعند الناس أجمعين، وأبي خير من أبيك عند الله وعند الناس أجمعين، وأنا ناغاني في المهد جبرائيل وتلقاني إسرافيل، يا أبة أنت عند الله أفضل مني وأنا أفخر منك بالآباء والأمهات والأجداد.

ثم أنه اعتنق أباه يقبله وعلي (ع) أيضاً يقبله ويقول: زادك الله شرفاً وتعظيماً وفخراً وعلماً وحلماً ولعن الله قاتليك يا أبا عبد الله[1].

إنزل عن منبر أبي

روي أن عمر بن الخطاب كان يخطب على منبر رسول الله(ص) فذكر في خطبته أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فقال له الحسين(ع) من ناحية المسجد: أنزل أيها

(١) شجرة طوبى، ص٣٩٩.

الكذّاب عن منبر أبي رسول الله(ص) لا منبر أبيك.

فقال له عمر: فمنبر أبيك لعمري يا حسين(ع) لا منبر أبي، من علمك هذا؟ أبوك علي بن أبي طالب؟

فقال له الحسين(ع): أن أطع أبي فيما أمرني فلعمري إنه لهاد وأنا مهتد به، وله في رقاب الناس البيعة على عهد رسول الله(ص)، نزل بها جبرئيل من عند الله تعالى لا ينكرها إلا جاحد بالكتاب، قد عرفها الناس بقلوبهم وأنكروها بألسنتهم وويل للمنكرين حقنا أهل البيت، ماذا يلقاهم به محمد رسول الله(ص) من إدامة الغضب وشدة العذاب.

فقال عمر: يا حسين من أنكر حق أبيك فعليه لعنة الله، أمرنا الناس فتأمرنا ولو أمروا أباك لأطعنا.

فقال له الحسين: يا بن الخطاب، فأي الناس أمرك على نفسه قبل أن تؤمر أبا بكر على نفسك ليؤمرك على الناس بلا حجة من نبي ولا رضا من آل محمد، فرضاكم كان لمحمد(ص) رضا؟ أو رضا أهله كان له سخطاً؟ أما والله لو أن للسان مقالاً يطول تصديقه وفعلاً يعينه المؤمنون، لما تخطأت رقاب آل محمد، ترقى منبرهم، وصرت الحاكم عليهم بكتاب نزل فيهم، لا تعرف معجمه، ولا تدري تأويله، إلا سماع الآذان، المخطئ والمصيب عندك سواء، فجزاك الله جزاك، وسألك عما أحدثت سؤالاً حفياً.

قال: فنزل عمر مغضباً فمشى معه أناس من أصحابه حتى أتى باب أمير المؤمنين(ع)، فاستأذن عليه فأذن له، فدخل فقال: يا أبا الحسن ما لقيت اليوم من ابنك الحسين، يجهرنا بصوت في مسجد رسول الله(ص) ويحرّض عليّ الطغام وأهل المدينة.

فقال له الحسن(ع) على مثل الحسين ابن النبي(ص) يشخب بمن لا حكم له، أو يقول بالطغام على أهل دينه؟ أما والله ما نلت إلا بالطغام، فلعن الله من حرّض الطغام.

فقال له أمير المؤمنين(ع): مهلاً يا أبا محمد فإنك لن تكون قريب الغضب ولا لئيم الحسب، ولا فيك ولا فيك عروق من السودان، اسمع كلامي ولا تعجل بالكلام.

فقال له عمر: يا أبا الحسن إنهما ليهمان في أنفسهما بما لا يرى بغير الخلافة.

فقال أمير المؤمنين(ع): هما أقرب نسباً برسول الله من أن يهما، أما فارضهما يا بن الخطاب بحقهما يرضى عنك من بعدهما.

قال: وما رضاهما يا أبا الحسن؟

قال: رضاهما الرجعة عن الخطيئة والتقية عن المعصية بالتوبة.

فقال له عمر: أدّب يا أبا الحسن ابنك أن لا يتعاطى السلاطين الذين هم الحكماء في الأرض.

فقال له أمير المؤمنين(ع): أنا أؤدب أهل المعاصي على معاصيهم، ومن أخاف عليه الزلة والهلكة، فأما من والده رسول الله(ص) ونحله أدبه فإنه لا ينتق إلى أدب خير له منه. أما فارضهما يا بن الخطاب[1].

من أين لك هذه الخشفة

روي في بعض الأخبار أن أعرابياً أتى الرسول(ص) فقال له: يا رسول الله(ص) لقد صدت خشفة غزالة وأتيت بها إليك هدية لولديك الحسن والحسين(ع)، فقبلها

(١) الإحتجاج، ج٢ ص١٣، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق مختصراً.

النبي(ص) ودعا له بالخير، فإذا الحسن(ع) واقف عند جدّه فرغب إليها فأعطاه إيّاها، فما مضى ساعة إلا والحسين(ع) قد أقبل ورأى الخشفة عند أخيه يلعب بها، فقال: «يا أخي من أين لك هذه الخشفة؟» فقال الحسن(ع): «أعطانيها جدّي رسول الله». فسار الحسين(ع) مسرعاً إلى جده فقال: يا أبة أعطيت أخي الخشفة يلعب بها ولم تعطني مثلها، وجعل يكرر القول على جدّه وهو ساكت لكنّه يسلّي خاطره ويلاطفه بشيء من الكلام حتى أفضى من أمر الحسين(ع) إلى أن همّ يبكي، فبينما هو كذلك إذ نحن بصياح قد ارتفع عند باب المسجد فنظرنا فإذا ظبية ومعها خشفها ومن خلفها ذئبة تسوقها إلى رسول الله(ص) وتضربها بأحد أطرافها حتى اتت بها إلى النبي.

ثم نطقت الغزالة بلسان فصيح وقالت: يا رسول الله(ص) قد كانت لي خشفتان احداهما صادها الصيّاد وأتى بها إليك، وبقيت لي هذه الأخرى وأنا بها مسرورة وأنّي كنت الآن أرضعها، فسمعت قائلاً يقول: أسرعي أسرعي يا غزالة بخشفك إلى النّبي محمّد وأوصليه سريعاً لأنّ الحسين(ع) واقف بين يدي جدّه وقد همّ أن يبكي والملائكة بأجمعهم قد رفعوا رؤوسهم من صوامع العبادة، ولو بكى الحسين(ع) لبكت الملائكة المقرّبون لبكائه، وسمعت أيضاً قائلاً يقول: أسرعي يا غزالة قبل جريان الدّموع على خدّ الحسين(ع)، فإن لم تفعلي سلطت عليك هذه الذئبة تأكلك مع خشفك فأتيت بخشفي إليك يا رسول الله(ص) وقطعت مسافة بعيدة ولكن طويت لي الأرض حتى أتيتك سريعة وأنا أحمد الله ربّي أن جئتك قبل جريان دموع الحسين(ع) على خدّه، فارتفع التّكبير والتّهليل من الأصحاب، ودعا النّبي(ص) للغزالة بالخير والبركة وأخذ الحسين(ع) الخشفة وأتى بها إلى أمه الزّهراء فسرت بذلك سروراً عظيما[1].

---

(١) عوالم العلوم والمعارف، ج١٧، ص٤١.

الأطفال الصائمون بلا سحور وإفطار

وفي مسامرات الشيخ الأكبر: أن عبد الله بن عباس قال في قوله: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا﴾(١): مرض الحسن والحسين(ع) وهما صبيان فعادهما رسول الله ومعه أبو بكر وعمر، فقال عمر لعلي(ع): يا أبا الحسن لو نذرت عن ابنيك نذراً أن الله عافاهما.

قال: أصوم ثلاثة أيام شكراً لله، وكذلك قالت فاطمة(ع): وأنا أصوم ثلاثة شكراً لله، وقال الصبيان: ونحن نصوم ثلاثة أيام شكراً لله وقالت جاريتهما فضه: وأنا أصوم ثلاثة أيام.

فألبسهما الله العافية فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعاما، فانطلق علي(ع) إلى جار له من اليهود يقال له شمعون يعالج الصوف، فقال: هل لك أن تعطيني جزة من صوف تغزلها لك ابنة محمد(ص) بثلاثة أصوع من شعير؟

قال: نعم، فأعطاه فجاء بالصوف والشعير فأخبر فاطمة فقبلت وأطاعت، ثم غزلت ثلث الصوف وأخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزته خمسة أقراص لكل واحد قرصاً، وصلى علي(ع) مع النبي(ص) المغرب ثم أتى منزله فوضع الخوان فجلسوا فأول لقمة كسرها على اذ مسكين واقف على الباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد(ص) أنا مسكين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة، فوضع علي اللقمة من يده ثم قال:

فاطم ذات المجد واليقين يا بنت خير الناس أجمعين

أما ترى ذا البائس المسكين جاء إلى الباب له حنين

كل امرئ بكسبه رهين

(١) سورة الإنسان، آية ١٠.

فقالت فاطمة (ع) من حينها:

أمرك سمع يا بن عم وطاعة مالي من لوم ولا ضراعة
باللب غذّيت وبالبراعة أرجو إذا أنفقت من مجاعة
أن ألحق الأبرار والجماعة وأدخل الجنة بالشفاعة

قال: فعمدت إلى ما في الخوان فدفعته إلى المسكين وباتوا جياعاً وأصبحوا صياماً لم يذوقوا إلا الماء القراح، ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته ثم أخذت صاعاً فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً، وصلى علي(ع) المغرب مع النبي(ص) ثم أتى منزله، فلما وضع الخوان وجلس فأول لقمة كسرها علي، إذ يتيم من يتامى المسلمين قد وقف على الباب فقال: السلام عليكم يا أهل البيت محمد(ص) أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون، أطعمكم الله من موائد الجنة، فوضع علي اللقمة من يده وقال:

فاطم بنت السيد الكريم قد جاءنا الله بذا اليتيم
من يطلب اليوم رضا الرحيم موعده في جنة النعيم

فأقبلت السيدة فاطمة(ع) وقالت:

فسوف أعطيه ولا أبالي وأُوثر الله على عيالي
أمسوا جياعاً وهمو أمثالي أصغرهم يقتل في القتال

ثم عمدت فأعطته جميع ما كان في الخوان وباتوا جياعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح وأصبحوا صياماً، وعمدت فاطمة إلى باقي الصوف فغزلته وطحنت الصاع الباقي وعجنته وخبزت خمسة أقراص لكل واحد قرصاً وصلى علي(ع) المغرب مع النبي (ص) ثم أتى منزله، فقرب إليه الخوان ثم جلس، فأول لقمة كسرها علي إذ أسير من أسراء المسلمين بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد أن الكفار أسرونا

وقيدونا وشدونا فلم يطعمونا، فوضع علي اللقمة من يده وقال:

فاطمة ابنة النبي أحمد بنت نبي سيّد مسود
هذا أسير جاء ليس يهتدي مكبل في قيده المقيّد
يكشو إلينا الجوع والتشدّد من يطعم اليوم يجده في غد
عند العلي الواحد الموحد ما يزرع الزارع يوماً يحصد

فأقبلت فاطمة(ع) وهي تقول:

لم يبق مما جاء غير صاع قد دبرت كفى مع الذراع
وابناي والله ثلاثاً جاعا يا رب لا تهلكهما ضياعا

ثم عمدت إلى ما كان في الخوان فأعطيته إياه فأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء. وأقبل علي(ع) بالحسن والحسين(ع) نحو رسول الله(ص) وهما يرتعشان كالفراخين من شدة الجوع، فلما أبصرهما رسول الله(ص) قال: يا أبا الحسن شدّ ما يسوءني ما أدرككم انطلقوا بنا إلى ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله(ص) ضمها إليه وقال: واغوثاه، فهبط جبرئيل وقال: يا محمد خذ ضيافة أهل بيتك. قال: وما آخذ يا جبرئيل؟ قال: ﴿يطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً وكان سعيكم مشكوراً﴾(١).

الحسنان(ع) على عضد النبي(ص)

وعن أبي عبد الله الصادق(ع) قال: مرض النّبي(ص) المرضة التي عوفي منها فعادته سيدة النساء ومعها الحسن والحسين(ع) وقد أخذت الحسن باليد اليمنى

(١) نور الأبصار، ص١٢٥، شجرة طوبى، ص٢٦٣ عن أمالي الصدوق، والآية في سورة الإنسان، ٨.

والحسين باليد اليسرى وهما يمشيان وفاطمة بينهما حتى دخلوا منزل عائشة، فقعد الحسن على جانب رسول الله(ص) الأيمن والحسين على جانب رسول الله(ص) الأيسر، فأقبلا يغمزان ما يليهما من بدن رسول الله(ص) فلمّا أفاق النبي(ص) من نومه فقالت فاطمة للحسن والحسين(ع): حبيبيّ أنّ جدّكما قد غشي فانصرفا ساعتكما هذه ودعاه حتى يفيق وترجعان إليه، فقالا: لسنا ببارحين في وقتنا هذا، فاضطجع الحسن على عضد النبي الأيمن والحسين على عضده الأيسر فغفيا وانتبها قبل أن ينتبه النبي(ص) وقد كانت فاطمة(ع) لمّا ناما انصرفت إلى منزلها.

فقالا لعائشة: ما فعلت أمنا؟

قالت: لما نمتما رجعت إلى منزلها، فخرجا في ليلة ظلماء مدلهمّة ذات رعد وبرق وقد أرخت السماء عزالها فسطع لهما نوراً فلم يزالا يمشيان في ذلك النور والحسن قابض بيده اليمنى على يد الحسين اليسرى وهما يتماشيان ويتحدثان حتى أتيا حديقة بني النجار، فلما بلغا الحديقة حارا، فبقيا لا يعلمان أين يأخذان.

فقال الحسن للحسين: أنّا قد حرنا وبقينا على حالتنا هذه وما ندري أن نسلك فلا علينا أن ننام في وقتنا هذا حتى نصبح.

فقال له الحسين(ع): دونك أخي فافعل ما ترى، فاضطجعا فاعتنق كل واحد منهما صاحبه وناما.

وانتبه النبي(ص) من نومته التي نامها وطلبهما في منزل فاطمة فلم يكونا فيه فافتقدهما، فقام النبي(ص) قائماً على رجليه وهو يقول[1]: اللهم احفظهما وسلّمهما، فهبط جبرئيل(ع) وقال: يا محمد لا تغتمّ فإنّهما سيدان في الدنيا والآخرة

(١) روضة الواعظين، ص١٥٨.

وأبوهما خير منهما، هما في حظيرة بني النّجار نائمان، وقد وكل الله بهما ملكاً يحفظهما، فقام رسول الله(ص) وأصحابه حتى أتى الحظيرة، فإذا الحسن معانق الحسين، وملك موكل بهما جاعل أحد جناحيه تحتهما وأظلّهما بالآخر.

فأكبّ النبي(ص) يقبّلهما حتى انتبها، فحمل الحسن(ع) على عاتقه اليمنى والحسين(ع) على عاتقه اليسرى وجبرئيل(ع) معه حتى خرجا من الحظيرة والنّبي(ص) يقول: لأشرفنّكما اليوم كما شرفكما الله تعالى، فتلقّاه أبو بكر بن أبي قحافة فقال: يا رسول الله(ص) ناولني أحدهما أحمله وأخفّف عنك.

فقال: نعم المطيّة مطيتهما ونعم الراكبان هما، وأبوهما خير منهما. حتى أتى(ص) المسجد فأمر بلالاً فنادى في الناس فاجتمعوا في المسجد، فقام(ص) على قدميه وهما على عاتقيه وقال: معاشر المسلمين ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟ قالوا: بلى يا رسول الله(ص).

فقال الحسن والحسين(ع)، جدهما محمد(ص) سيد المرسلين، وجدتهما خديجة بنت خويلد سيدة نساء أهل الجنة.

أيها الناس ألا أدلكم على خير الناس أباً وأماً؟

قالوا: بلى يا رسول الله(ص).

قال: الحسن والحسين(ع)، أبوهما علي بن أبي طالب(ع) وأمهما فاطمة(ع) سيدة نساء العالمين[1].

---

(١) عيون المعجزات، ص٦٠.

ما لك لا تزيّنينا؟

وفي البحار عن أمالي المفيد النيسابوري: قال الرضا(ع): عري الحسن والحسين(ع) وأدركهما العيد، فقالا لأُمّهما، قد زينوا صبيان المدينة إلا نحن، فمالك لا تزينينا؟

فقالت: ان ثيابكما عند الخياط، فإذا أتاني زينتكما، فلما كانت ليلة العيد أعادا القول على أُمهما فبكت ورحمتهما، فقالت لهما ما قالت في الأُولى فردّا عليها.

فلما أخذ الظلام قرع الباب قارع، فقالت فاطمة(ع): من هذا؟ قال: يا بنت رسول الله(ص) أنا الخياط جئت بالثياب، ففتحت الباب فإذا رجل ومعه من لباس العيد.

قالت فاطمة: والله لم أر رجلاً أهيب سيمة منه، فناولها منديلاً مشدوداً ثم انصرف.

فدخلت فاطمة ففتحت المنديل فإذا فيه قميصان ودراعتان وسراويلان ورداءان وعمامتان وخفّان أسودان معقّبان بحمرة فأيقظتهما وألبستهما، فدخل رسول الله(ص) وهما مزينان فحملهما وقبّلهما ثم قال: رأيت الخيّاط؟

قالت: نعم، يا رسول الله(ص) والذي أنفذته من الثياب قال: يا بنية ما هو خيّاط، إنّما هو رضوان خازن الجنّة. قالت فاطمة: فمن أخبرك يا رسول الله؟ قال: ما عرج حتى جاءني وأخبرني بذلك[1].

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٨٩.

صورة خالدة عن آخر لحظات الأم

نقل عن أسماء بنت عميس أنها لما حضرت فاطمة(ع) الوفاة قالت لأسماء: ان جبرئيل أتى النبي(ص) لما حضرته الوفاة بكافور من الجنة فقسمه أثلاثاً: ثلثاً لنفسه، وثلثاً لعلي، وثلثاً لي، وكان أربعين درهماً.

فقالت: يا أسماء ائتيني ببقية حنوط والدي من موضع كذا وكذا فضعيه عند رأسي، فوضعته، ثم تسجّت بثوبها وقالت: انتظريني هنيهة وادعيني فإن أجبتك وإلاّ فاعلمي أني قد قدمت على أبي(ص).

فانتظرتها هنيهة ثم نادتها فلم تجبها، فنادت: يا بنت محمد المصطفى، يا بنت أكرم من حملته النساء، يا بنت خير من وطأ الحصا، يا بنت من كان من ربه قاب قوسين أو أدنى، قال فلم تجبها، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الدنيا، فوقعت عليها تقبلها وهي تقول: فاطمة إذا قدمت على أبيك رسول الله فاقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام.

فبينا هي كذلك إذ دخل الحسن والحسين، فقالا: يا أسماء ما ينيم أُمّنا في هذه الساعة؟

قالت: يا إبني رسول الله ليست أُمكما نائمة، قد فارقت الدنيا، فوقع عليها الحسن يقبلها مرّة ويقول: يا أُماه كلّميني قبل أن تفارق روحي بدني، قالت: وأقبل الحسين يقبّل رجلها ويقول: يا أما أنا ابنك الحسين كلّميني قبل أن يتصدع قلبي فأموت.

قالت لهما أسماء: يا إبني رسول الله انطلقا إلى أبيكما علي فأخبراه بموت أُمكما، فخرجا حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء فابتدرهما جميع الصحابة

فقالوا: ما يبكيكما يا ابني رسول الله لا أبكى الله أعينكما لعلكما نظرتما إلى موقف جدكما فبكيتما شوقاً إليه؟

فقالا: لا أوليس قد ماتت أُمنا فاطمة(ع).

قال: فوقع علي(ع) على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد(ص): كنت بك أتعزّى ففيم العزاء من بعدك؟ ثم قال:

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكلّ الذي دون الفراق قليل[1]

الوداع مع جسد الأم

لما ماتت فاطمة بنت رسول الله(ص) وغسّلها على بالليل، ولما أراد أن يعقد أكفانها نادى بأولاده أن يودّعوها.

قال علي(ع): فلما هممت أن أعقد الرداء ناديت: يا أم كلثوم، يا زينب، يا سكينة، يا فضة، يا حسن، يا حسين، هلمّوا تزودوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء في الجنة.

فأقبل الحسن والحسين(ع) وهما يناديان: واحسرتاً لا تنطفئ أبداً من فقد جدنا محمد المصطفى(ص)، وأمنا فاطمة الزهراء(ع)، يا أم الحسن(ع)، يا أم الحسين(ع)، إذا لقيت جدّنا محمد المصطفى(ص) فاقرئيه منا السلام وقولي له: أنا قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا.

فقال أمير المؤمنين علي(ع): أني أشهد الله أنها قد حنّت وأنت ومدت يديها وضمتها إلى صدرها ملياً وإذا بهاتف من السماء ينادى يا أبا الحسن ارفعهما عنها فلقد أبكيا والله ملائكة السموات، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب قال: فرفعتهما عن

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٨٥.

صدرها وجعلت أعقد الرداء وأنا أنشد بهذه الأبيات:

فراقك أعظم الأشياء عندي   وفقدك فاطم أدهى الثكول
سأبكي حسرة وأنوح شجواً   على خلّ مضى أسنى سبيل
ألا يا عين جودي واسعديني   فحزني دائم أبكي خليلي[١]

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٧٩.

المعصوم السادس

الإمام الرابع

عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)

هويّة المعصوم السادس
الإمام الرّابع
عليّ زين العابدين(ع)

الاسم: عليّ(ع).

ألقابه المشهورة: السجّاد - زين العابدين.

الأب والأم: الإمام الحسين(ع)، شهر بانو بنت يزد جرد الثالث.

تاريخ ومحلّ الولادة: ولد(ع) يوم الخامس من شعبان سنة «٣٨ هـ. ق.» أو «١٥» جمادي الأول سنة «٣٦ هـ. ق.» في المدينة المنورة.

تاريخ ومحلّ الشهادة: استُشهِد(ع) مسموماً، في اليوم «١٢» أو «١٨» وعلى المشهور في «٢٥» من شهر محرّم سنة «٩٥ هـ. ق» في المدينة المنورة ودسّ له جلاوزة وليد بن عبد الملك السّمّ بتحريك من هشام بن عبد الملك منه، وهو ابن «٥٧» أو «٥٩» سنة تقريباً.

مرقده الشريف: في مقبرة البقيع في المدينة المنورة.

حياته الطاهرة إجتازت مرحلتين:

١ - «٢٢» أو «٢٤» سنة مع والده الإمام الحسين(ع).

٢ - «٣٥» سنة عصر إمامته(ع).

خلفاء زمانه: خمسة خلفاء من يزيد بن معاوية إلى سادس خلفاء بني أُميّة وليد بن عبد الملك. على الترتيب الآتي: ١ - يزيد بن معاوية. ٢ - معاوية بن يزيد. ٣ - مروان بن الحكم. ٤ - عبد الملك بن مروان. ٥ - وليد بن عبد الملك.

١ - دعاء الإمام علي زين العابدين(ع) في السّجدة:

عن طاووس اليمانّي قال:

مررت ذات ليلة من جانب الكعبة، فإذا عليّ بن الحسين(ع) قد دخل يُصلي، فصلّى ما شاء الله ثم سجد، فقلت في نفسي: رجلٌ صالحٌ من أهل بيت الخير، لأستمعنَّ إلى دعائه، فسمعته يقول في سجوده:

«عبدُك بِفَنائكَ، مسكينُكَ بفنائك، فقيرُك بفنائكَ، سائلُكَ بفنائِكَ».

قال طاووس: فحفظت الدعاء من الإمام(ع).

فما دعوت بهنَّ في كَرْبٍ إلا فُرّج عنّي[1].

٢ - حلم الإمام على بن الحسين زين العابدين(ع) وحمده:

دعا الإمام على بن الحسين زين العابدين(ع) ذات يوم مملوكاً له مرتين فلم يجبه

(١) إرشاد المفيد (ره): ج٢، ص ١٤٣ - كشف الغمّة: ج٢، ص ٢٧٣.

مع سماعه لكلام الإمام(ع)، فلما أجابه في الثالثة.

قال الإمام(ع): يا بني أما سَمِعْتَ صوتي؟

قال الغلام: بلى.

قال الإمام(ع): فمالَكَ لم تُجِبْنِي؟

قال الغلام: أمِنْتُكَ (كنت أعلم إن أنا لم أُجِبْك فإنك لا تغضب منّي).

قال الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع): «الحمدُ لله الذي جعلَ مَمْلُوكي يأمِنُني»(١).

٣ - الخوف من قصاص الآخرة:

حجّ الإمامُ عليّ بن الحسين زين العابدين(ع) من المدينة إلى بيت الله الحرام عشرين سنة وذلك على ناقة له ما ضَرَبها بسوطٍ والمسافة بين المدينة ما يقارب ثمانين فرسخاً.

فكلّما أبطأت السير وهمّ الإمام(ع) بضربِها رفع سوطه وأشار إلى النّاقة، ثم قال: «لولا خوفُ القصاصِ لفَعَلتُ»(٢).

روي: لما استشهد الإمام على بن الحسين زين العابدين(ع) ودفنوه خرجت تلك الناقة من الإصطبل حتى أتت قبره الشريف فبركت عليه، فدلّلت برأسها ورقبتها وهي ترغو.

فأخبروا الإمام محمّد بن عليّ الباقر(ع) فأتاها وقال: «مَهْ الآن قومي باركَ اللهُ فيك».

(١) أعيان الشيعة، ط إرشاد ج١، ص ٦٣٣ - بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٥٦.
(٢) أعيان الشيعة: ج١، ص ٦٣٤.

فقامت ودخلت موضعها، فلم تلبث أن خرجت حتى أتت القبر فضربت بجِرانِها ورَغَتْ وهَمَلَتْ عيناها. فاخبروا الإمام الباقر(ع) أنّ الناقة خرجت، فأتاها الإمام(ع) وأرجعها إلى موضعها، حتى خرجت ثالثة فأتاها الإمام الباقر(ع) فقال مه الآن قومي، فلم تفعل. فقال(ع)، دعوها فإنها مؤدعةٌ فلم تلبث ثلاثة أيام حتى نفَقَتْ[1].

٤ - ظبية تلتجئ بالإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع):

عن حمران بن أعين قال: كان الإمام على بن الحسين زين العابدين(ع) قاعداً في جماعة من أصحابه، إذ جاءته ظبية فبصبصت عنده[2] وضربت بيديها.

فقال الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) لأصحابه: أتدرون ما تقولُ هذه الظبية؟

ما تقول هذه الظبية؟

قالوا: لا.

قال الإمام(ع): تدعي هذه الظبية أن فلانَ بن فلانٍ من قريش اصطاد خَشْفاً[3] لها في هذا اليوم، وإنما جاءت أن أسأل القريشي أن يترك الخشف بين يديها فترضعه.

ثم قال الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع): قوموا بنا إلى الصيّاد، فقاموا بأجمعهم فأتوه فخرج إليهم فقال للإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع): فَدَاك أبي وأمي ما جاء بك؟

فقال الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع): أسألك بحقي عليك ألا أخرجت

---

(١) الأنوار البهية: ص ١٢٨.

(٢) بصبص الكلب: حرك ذنبه.

(٣) الخشف: ولد الظبي.

إليّ الخَشْفَ الذي اصطدته اليوم كي ترضعه أمه.

فأخرج الصّياد الخَشْفَ ووضعه بين يدي أمه فأرضعته.

فقال الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع): أسألك يا فلان لما وهبت لنا الخشف.

قال الصياد: قد فعلت.

فقام الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) عندئذ وأرسل الخشف مع أمها فحضت الظبية فبصبصت وحرّكت ذنبها.

فقال الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع): أتدرون ما قالت الظبية؟

قالوا: لا.

قال الإمام(ع): قالت: «ردَّ الله عليكم كُلّ غائبٍ لكمٍ، وغفر لعلي بن الحسين كما ردّ عليّ ولدي»[1].

٥ - تواضع الإمام زين العابدين(ع):

كان الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) لا يسافر إلى الحجّ إلا مع قافلة وأناسٍ لا يعرفونه، ويشترط عليهم أن يكون من خَدَمِ القافلة فيما يحتاجون إليه.

فسافر مرة لأداء مناسك الحجّ مع قوم فرآه رجلٌ فعرفه فقال للقوم: أتدرون من هذا؟

فقالوا: لا.

قال الرّجل: هذا علي بن الحسين(ع).

---

(١) الاختصاص: للشيخ المفيد (ره): ص ٢٩٧.

فوثب أصحابُ القافلة إلى الإمام(ع) فقبلوا يده ورجله وقالوا: يا إبن رسول الله أردت أن تصلينا نارَ جهنم لو بَدَرَتْ منّا إليك يدٌ أو لسانٌ أما كنّا قد هلكنا إلى آخر الدهر؟ فما الذي حَمَلَك على هذا؟

فقال الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع): إني كنت سافرتُ مرّةً مع قوم يعرفوني فأكرموني كما يكرمون رسول الله(ص)، وإني أخاف أن تُكْرِموني مثل ذلك فصار كتمانُ أمري أحب إلي[1].

٦ - إكرام الإمام زين العابدين(ع) لغلامه:

كان للإمام زين العابدين(ع) مملوكٌ يتولى عمارةَ مزرعتِه، فجاء الإمام(ع) يوماً ليتفقّدَ مزرعته فرأى أنّ فساداً كثيراً قد أصابها بسبب تساهل المملوكِ وعدم اهتمامه. فتألم الإمام(ع) من ذلك لما رآه وغمّه، فضرب المملوك بسوطٍ كان في يده. ثم ندم على ذلك.

فلمّا رجع إلى منزله أرسل في طلب مملوكه، فأتاه المملوك فوجد الإمام(ع) قد نزع قميصه والسوط بين يديه، فظنّ أنه(ع) يريد عقوبته فاشتد خوفه، فأخذ الإمام(ع) السّوط ومدّ يده إليه وقال:

«يا هذا قد كان منّي إليك ما لم يَتَقَدَّمْ - يصدر - مني مثله؟ وكانت هفوةً وزلةً، فدونك السوطُ واقتصّ منّي».

فقال المملوك: يا مولاي والله إن ظننتُ إلا أنك تريدُ عقوبتي وأنا مستحقٌّ للعقوبة، فكيف أقتصُّ منك؟

---

(١) أعيان الشيعة، ج١، ص ٦٣٥.

قال الإمام(ع): ويحك اقتصّ.

قال المملوك: معاذ الله أنتَ في حل وسعةٍ. فكرّر ذلك(ع) مراراً، والمملوكُ كلّ ذلك يتعاظم قوله ويجلّه.

فلمّا رأى الإمام(ع) إنه لا يريد الاقتصاص منه قال له:

«أمّا إذا أبَيْتَ فالضَّيعةُ - المزرعة - صَدقةٌ عليك» فأعطاه إياها(١).

٧ - نموذج من إنفاق الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع):

كان الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) عازماً إلى الحجّ فلمّا أراد الخروجَ من المدينة متوجّهاً إلى مكّة، أرسلت إليه أُخته سَكينة بنت الحسين(ع) ألف درهم كي ينفقها في موسم الحجّ.

ولمّا وصل الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) ظُهْرَ منطقة الحرّة التي تبعد عن المدينة مسافة كيلو مترين، استلم الدّراهم، فقبلها وفرّقها بين المساكين قبل أن يتجاوز هذه المنطقة، ولم يُبْقِ لنفسه شيئاً(٢).

٨ - نموذج من شجاعة الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع):

لمّا وردَ الإمامُ علي بن الحسين زين العابدين(ع) مع عمّاته وسبايا آل محمد إلى قصر الأمارة في الكوفة، التفت عبيد الله بن زياد السّفاح الطّاغي إلى الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) وقال: من أنت؟

(١) أعيان الشيعة: ج١، ص ٦٣٢ - بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٩٦.

(٢) الفصول المهمة: ط النجف الأشرف، ص ١٨٩.

فقال الإمام(ع): أنا عليُّ بنُ الحسين.

فقال إبن زياد: أليس قد قتل الله عليَّ بن الحسين؟

قال الإمام(ع): قد كان لي أخٌ يُسمّى علياً - عليّ الأكبر - قتله النّاس.

فقال له إبن زياد: بل الله قتله.

فقال الإمام(ع): «الله يَتَوفّى الأنْفُسَ حِينَ مَوْتِها».

فغضب ابن زياد خذله الله وقال: وبك جُرأةٌ لجوابي، وفيك بقيّة للرّدّ عليَّ؟ اذهبوا به فاضربوا عُنُقَهُ.

فتعلّقتْ به عمته زينب(ع) وقالت: يا ابن زياد حَسبُكَ من دمائنا، واعْتَنَقَتْه وقالت: والله لا أفارقُه، فإن قتلته فاقتلْني معه.

فصرخ الإمام علي بن الحسين بن زين العابدين(ع) في وجه إبن زياد وقال: أبالقتل تُهددني يا ابن زياد؟ أما عَلِمْتَ أن القتل لنا عادةٌ وكرامتنا من الله الشّهادة؟

ولما شاهد إبن زياد بوادر العظمة في الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) وزينب الحوراء(ع) قال: عجباً للرَّحم والله إني لأظنّها ودّت أنّي قتلتها معه، دعوة فأنّي أرأف لما به[1].

قالها ابن زياد متعجباً بالعلاقة الحميمة القويّة التي تربطها بالإمام الثوريّة بين الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع).

(١) مقتل الحسين: للمقرم، ص ٤٠٥ - ٤٠٦.

٩ - بكاء الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) لمصائب كربلاء:

شاهد الإمامُ علي بن الحسين زين العابدين(ع) أحداثَ كربلاء، واستشهادَ رجالها، وما جرى على سبايا آل محمد(ص) بروحه وجسده، وشاهد مشاهدِها المؤلمة بأُمّ عينه، وقد منعه المرضُ من الاستشهاد بين والده الكريم سيد الشهداء(ع)، ولكنّه بذل غايةَ الجهدِ في إيصال رسالة عاشوراء إلى مسامع الشّعوب، واستغلّ جميعَ الفرص المؤاتيةِ من الخطاب، والحديث، والحوار في الكوفة، والشّام، والمدينة لتذكير الناس بما ارتكبه بنو أميّة من جريمة نكراء، في قتل الإمام الحسين(ع).

وبذلك كشفَ القناعَ المزيَّفَ عن الوجه الكريه لحكومتهم الظّالمة، داعياً إلى بناء الأرضيّة الثّوريّة الصّلبة ضدّ يزيد وحكومته الجائرة.

ومما قام به الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) في المدينة هو إحياء لذكرى عاشوراء، وذكر مصائب شهداء كربلاء(ع) وذلك بالبكاء وتذكير النّاس بما جرى عليهم - وكان لهذا الأسلوب أثر بالغ في إثارة عواطف النّاس وإحساساتهم الطّاهرة ضدّ حكومة يزيد.

ألفِتُ نظركم هنا إلى هذه الحادثة.

حدَّثَ مملوك للإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) وقال: برز مولاي الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) يوماً إلى الصّحراء، فتبعتُه فوجدته قد سَجَد على حجارةٍ خشنةٍ فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه وأحصيت له ألف مرة يقول:

«لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا الله تَعَبُّداً ورِقّاً، لا إله إلا الله إيماناً وتصديقاً وصدقاً».

ثم رفع رأسه من سجوده، وأن لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه فقلت: يا سيّدي أما آن لحُزْنِكَ أن ينقضي، ولبكائِك أن يقلَّ.

فقال الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع): «ويحك، إنّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبيّاً ابن نبيّ له إثنا عشر إبناً، فغيَّب الله واحداً منهم فشاب رأسُه من الحزن واحدودبَ ظهرُه من الغم، وذهبَ بصَرُه من البكاء وابنه حيٌّ في دار الدّنيا، وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشرَ من أهل بيتي صرعى مقتولين فكيف ينقضي حُزْني ويقلَّ بكائي؟»[1].

١٠ - إعانة الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) للفقراء:

كان الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) إذ حلّت اللّيلةُ الظلماءُ خرج من بيته متنكراً يحمل الجرابَ من الدّقيق والخبز على ظهره حتى يأتي أبوابَ الفقراءِ يطرقها باباً، باباً، وبذلك يؤمن معاشَ مجموعةٍ من الفقراء في المدينة، ولكنّهم كانوا يجهلون صاحب الجراب، ولا يعلمون من أين تأتي المعاش وتأمنُ حياتُهم المادّية. فلّما توفّي الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) فقدوا من يستمدّهم بالغذاء وما كانوا يُؤْتَونَ به باللّيل فعرفوا أنّه الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع).

يقول الزّهري أحد المشهورين في تلك الأيام: رأيتُ الإمامَ عليّ بن الحسين(ع) في ليلةٍ باردةٍ مطيرة، وعلى ظهره دقيقٌ وهو يمشي قلت: يا ابن رسول الله ما هذا؟

قال الإمام(ع): أريد السّفرَ أُعِدُّ له زاداً أحمله إلى موضعٍ حريز.

فقلت: فهذا غلامي يَحْمِلُه عنك، فأبى، قلت أنا أحمله عنك فإنّي أرْفَعُك عن حَمْلِه.

(١) اللهوف: لابن طاووس، ص ٩٢ إلى ٩٣.

فقال الإمام(ع): لكنّي أرفعُ نفسي عمّا ينجيني في سَفري، ويحسن وِرْدي على ما أرِدُ عليه، أسألك بحق الله لمّا مضيت لحاجتك وتركتني.

فانصرفت عنه، فلمّا كان بعد أيّام رأيت الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) لم يسافِرْ، قلت له: يا إبن رسول الله لست أرى لذلك السّفر الذي ذكرته أثُراً.

قال(ع): بلى يا زُهْري! ليس ما ظننتَ ولكنه الموت وله أستعدُّ، إنما الاستعداد للموت تجنّبُ الحرامِ وبذلُ النّدى في الخير.

نعم، كان الإمامُ عليُّ بن الحسين زين العابدين(ع) يحمل الطّعام إلى منازل الفقراء ويستعدّ لسفر الآخرة[1].

كتاب يتداول يد بيد!!

قال الباقر(ع): إن الحسين بن علي (ع) لما حضره الذي حضره - الشهادة - دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين(ع) فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة، وكان علي بن الحسين(ع) مبطوناً معهم لا يرون إلا انه لما به - كونه في الاحتضار - فدفعت فاطمة - بعد ذلك - الكتاب إلى عليّ بن الحسين(ع).

قال الباقر(ع): ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا، يا زياد.

قال زياد: ما في ذلك الكتاب، جعلني الله فداك؟

قال (ع): فيه والله ما يحتاج إليه ولد آدم منذ خلق الله آدم(ع) إلى أن تفنى الدنيا، والله إن فيه الحدود حتى أن فيه أرش الخدش[2].

(١) أعيان الشيعة: ج١، ص ٦٢٣.
(٢) ج١: ٣٠٣(٣٦٠)ح١

هذا ابن الخيرتين!!

قال الباقر(ع): لمّا اقدمت بنت يزدجرد - سبية - على عمر بعدما فتحت ايران في أيامه - أشرف لها عذارى المدينة وأشرق المسجد بضوئها لما دخلته، فلمّا نظر إليها عمر غطت وجهها وقالت: «اف بيروج بادا هرمز».

فقال عمر: أتشمتني هذه؟ وهم بها.

فقال له أمير المؤمنين(ع): ليس ذلك لك، خيرها رجل من المسلمين وأحسبها بفيئة.

فخيرها فجاءت حتى وضعت يدها على رأس الحسين(ع)، فقال لها أمير المؤمنين(ع): ما اسمك.

فقالت: جهان شاه.

فقال لها أمير المؤمنين(ع): بل شهر بانويه.

ثم قال للحسين(ع): يا أبا عبد الله، لتلدنّ لك منها خير اهل الارض. فولدت علي بن الحسين(ع).

وكان يقال لعليّ بن الحسين (ع): « ابن الخيرتين» فخيرة الله من العرب هاشم، ومن العجم فارس.

وروي أن أبا الأسود الدؤلي قال فيه:

وإنّ غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نطيت عليه التمائم[1]

---

(١) ج١: ٤٦٧ (٥٣٩) ح١

اثنان وعشرون حجة ولا قرعة!

كان لعلي بن الحسين(ع) ناقه حج عليها اثنتين وعشرين حجة. ما قرعها قرعة واحدة.

مع انّ المسافة بين مكة والمدينة ذهابا وإياباً ١٦٠ فرسخ، فعلى هذا فالامام السجّاد ركبها ٣٥٢٠ فرسخ. ولما مات الامام السجاد(ع) خرجت الناقة فأتت قبر عليّ بن الحسين(ع) فانبركت عليه، فدلكت بجرانها القبر وهي ترغو[1].

قال الباقر(ع): لما مات أبي عليّ بن الحسين(ع) جاءت ناقة له من الرعي حتى ضربت بجرانها على القبر وتمرغت عليه، فأمرت بها فردت إلى مرعاها[2].

أقول: وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عظم نفسية الامام وإنسانيته.

يا سيدي، تعذّبني وحبّك في قلبي!!

قال أبو حمزة الثمالي: رأيت عليّ بن الحسين(ع) في فناء الكعبة في الليل وهو يصلّي، فأطال القيام حتى جعل مرّة يتوكّأ على رجله اليمنى، ومرّة على رجله اليسرى، ثمّ سمعته يقول بصوت كأنّه باك: «يا سيّدي، تعذّبني وحبّك في قلبي، أما وعزتك لئن فعلت لتجمعنّ بيني وبين قوم طالما عاديتهم فيك»[3].

(١) ج١: ٤٦٧ (٥٤٠)ح٢و٣.
(٢) (١و٢) المصدرح ٣و٤.
(٣) ج٢: ٥٧٩ (٥٤٤) ح ١٠.

بأبي أنت ما أحسن خلقك؟

روى الخزاز بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كنت عند الحسين بن علي(ع) إذ دخل علي بن الحسين الأصغر، فدعاه الحسين(ع) وضمه إليه ضماً وقبّل ما بين عينيه ثم قال: بأبي أنت ما أطيب ريحك وأحسن خلقك فيداخلني من ذلك.

فقلت: بأبي وأمي يا بن رسول الله إن كان ما نعوذ بالله أن نراه فيك فإلى من؟ قال: إلى عليّ ابني هذا. هو الإمام وأبو الأئمة.

قلت: يا مولاي هو صغير السن؟!

قال: نعم ابنه محمد يؤتم به وهو ابن تسع سنين ثم يطرق، قال: ثم يبقر العلم بقراً[1]...

نعم الزاد يا زين العابدين

وفي البحار: عن إبراهيم بن أدهم وفتح الموصلي قال كل واحد منهما: كنت أسيح في البادية مع القافلة، فعرضت لي حاجة فتنحّيت عن القافلة، فإذا أنا بصبيّ يمشي، فقلت: سبحان الله بادية بيداء وصبيّ يمشي! فدنوت منه وسلمت عليه، فرد عليّ السلام.

فقلت له: إلى أين؟

قال: أريد بيت ربّي.

فقلت: حبيبي إنك صغر ليس عليك فرض ولا سنة.

فقال: يا شيخ ما رأيت من هو أصغر سنّاً مني مات!

(١) كفاية الأثر، ص٢٣٤.

فقلت: أين الزاد والراحلة؟

فقال: زادي تقواي، وراحلتي رجلاي وقصدي مولاي.

فقلت: ما أرى شيئاً من الطعام معك؟

فقال: يا شيخ هل يستحسن أن يدعوك إنسان إلى دعوة فتحمل من بيتك الطعام؟

قلت: لا.

قال: الذي دعاني إلى بيته هو يطعمني ويسقيني.

فقلت: ارفع رجلك حتّى تدرك.

فقال: عليّ الجهاد وعليه الإبلاغ. أما سمعت قوله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهديتّهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين).

قال: فبينا نحن كذلك إذ أقبل شابّ حسن الوجه عليه ثياب بيض حسنة، فعانق الصبيّ وسلّم عليه، فأقبلت على الشابّ وقلت له: أسألك بالذي حسّن خلقك من هذا الصبيّ؟

فقال: أما تعرفه! هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(ع). فتركت الشابّ وأقبلت على الصبيّ وقلت: أسألك بآبائك من هذا الشّاب؟

فقال: أما تعرفه؟ هذا أخي الخضر يأتينا كلّ يوم فيسلّم علينا.

فقلت: أسألك بحق آبائك لما أخبرتني بما تجوز المفاوز بلا زاد؟

قال: بل أجوز بزادٍ وزادي فيها أربعة أشياء.

قلتُ: وما هي؟

قال: أرى الدّنيا كلّها بحذافيرها مملكة الله، وأرى الخلق كلّهم عبيد الله واماءه وعياله، وأرى الأسباب والأرزاق بيد الله، وأرى قضاء الله نافذاً في كلّ أرض الله.

فقلت: نعم الزّاد زادك يا زين العابدين، وأنت تجوز بها مفاوز الآخرة فيكف مفاوز الدّنيا(١).

لا يأنف من مجالسة الفقراء حتى المجذمين!

قال أبو عبد الله الصادق(ع): مرّ عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما على المجذمين - المصابين بمرض الجذام والبرص - وهو راكب على حماره وهم يتغدّون، فدعوه إلى الغداء. فقال: أمّا أنّي لولا أنّي صائم لفعلت.

فلمّا صار إلى منزله أمر بطعام فصنع وأمر أن يتنوّقوا فيه - أي يتأنّفوا في تجهيزه - ثمّ دعاهم فتغدّوا وتغدّى معهم(٢).

اصبر على الحقّ ولا تظلم أحداً!

قال أبو جعفر الباقر(ع): لمّا حضرت أبي عليّ بن الحسين(ع) الوفاة ضمّني إلى صدره وقال: يا بنيّ، أُوصيك بما أوصاني به أبي الحسين بن علي(ع) حين حضرته الوفاة وبما ذكر أن أباه الحسين(ع) أوصاه به: يا بنيّ، اصبر على الحقّ وإن كان مرّاً(٣).

وقال الباقر(ع): لما حضرت علي بن الحسين(ع) الوفاة ضمّني إلى صدره، ثم قال: يا بنيّ، أُوصيك بما أوصاني به أبي(ع) حين حضرته الوفاة وبما ذكر أن أباه أوصاه به قال: يا بنيّ، إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله(٤).

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٨.
(٢) ج٢: ١٢٣ (١٣١) ح ٨.
(٣) ج٢: ٩١ (٩٨) ح١٣.
(٤) ج٢: ٣٣١ (٣١٩) ح٥.

المعصوم السابع

الإمام الخامس

محمّد بن عليّ الباقر (عليه السلام)

هويّة المعصوم السابع
الإمام الخامس
محمد الباقر(ع)

الاسم: محمد(ع).

ألقابه المشهورة: الباقر(ع) الشاكر، الهادي، الأمين، الشّبيه (لأنه(ع) كان يشبه جدّه رسول الله(ص).

الكنية: أبو جعفر(ع).

الأب والأم: الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع)، فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبى(ع)، وعلى هذا الأساس كان الإمام الباقر(ع) منسوباً إلى بني هاشم من جانب الأب والأم.

تاريخ ومحل الولادة: ولد(ع) في اليوم الأول من شهر رجب المرجّب، أو اليوم الثالث من شهر صفر سنة «٥٧» في المدينة المنورة.

تاريخ ومحل الشهادة: أستشهد(ع) في المدينة مسموماً في يوم الأثنين السابع من شهر ذي الحجة سنة «١١٤ هـ ق» عن عمر ناهز الـ «٥٧» عاماً، بأمر من هشام بن عبد الملك «عاشر خلفاء بني أميّة.)

مرقده الشريف: مقبرة البقيع في المدينة المنورة.

أدوار عمره الشريف:

تنقسم أدوار عمر الشريف إلى ثلاثة أقسام:

١ - ثلاث سنوات وستّة أشهر وعشرة أيام مع جدّه الإمام الحسين(ع).

٢ - أربع وثلاثون سنة وخمسة عشر يوماً مع أبيه الإمام على بن الحسين زين العابدين(ع).

٣ - تسع عشرة سنة وعشرة أشهر وإثنا عشر يوماً مدّة إمامته، وكانت هذه الفترة فرصة سانحة للنهضة الفكريّة والثقافيّة، فاستغلها الإمام الباقر(ع) في تربية تلامذته وأصحابه واستطاع بثورته الفكريّة أن يرسّخَ قواعد التّشيّع في العالم الإسلامي.

خلفاء عصره(ع) وهم:

١ - الوليد بن عبد الملك. ٢ - سليمان بن عبد الملك. ٣ - عمر بن عبد العزيز. ٤ - بزيد بن عبد الملك. ٥ - هشام بن عبد الملك.

١ - سلام النّبيّ الأكرم(ص) على الإمام الباقر(ع):

كان جابرٌ بن عبد الله الأنصاري(رحمهما الله) من خيرة أصحاب النّبيّ الأكرم(ص)، قال جابر(رحمه الله): قال لي رسول الله(ص): «يُوشكُ أنْ تبقى حتّى تلقى ولداً من الحسين يُقالُ لهُ محمّدٌ يَبْقُرُ علم الدّين بَقْراً، فإذا لقيتهُ فأقْراهُ منّي السّلام»[1].

(١) أرشاد المفيد (ره): ج٢، ص ١٥٩.

وكان كما أخبره رسول الله(ص) فعاش جابر(رحمه الله) عمراً طويلاً حتى لقي الإمام الباقر(ع) فأبلغه سلام جدّه الأكرم رسول الله(ص).

ورد لقاء جابر(رحمه الله) مع الإمام الباقر على لسان الرّوايات مكرّرة ومختلفة، وقد جاء في أحد الرّوايات.

لقي جابر(رحمه الله) ذات يوم الإمام الباقر(رحمه الله) في بعض سكك المدينة وكان الإمام عندئذ طفلاً فقال له:

يا غلام من أنت؟

قال الإمام(ع): أنا محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ أبي طالب.

قال جابر(رحمه الله): يا بُني أقبل فأقبل، ثُم قال له: أدبر فأدبر فقال: شمائل رسول الله(ص) وربّ الكعبة.

ثم قال جابر(رحمه الله) يا بني رسول الله(ص) يقرئك السّلام.

فقال الإمام الباقر(رحمه الله): على رسول الله(ص) السّلام مادامت السّموات والأرض وعليك يا جابر بما بلّغت السّلام.

فقال له جابر(رحمه الله): يا باقر! يا باقر! يا باقر! أنت باقر حقاً أنتَ الذّي تبْقَرُ العلم بقراً.

كان جابر(رحمه الله)، يأتيه(ع) فيجلس بين يديه فيعلّمه ويستقي من علمه(ع)، فربّما إشتبه جابر(رحمه الله) فيما يحدث عن رسول الله(ص) فيرد عليه الإمام(ع) ويذكّره، فيقبل ذلك منه ويرجع إلى قوله وكان يقول:

«يا باقر يا باقر يا باقر أشْهَدُ بالله أنّك قد أُوتِيْتَ الحُكْم صبيّاً»[1].

(١) علل الشرايع: ج١، ص ٢٢٣ - بحار الأنوار: ج٤٦، ص ٢٢٥.

٢ - الإمام الباقر(ع) ينهى عن المنكر:

كان أبو الصّباح الكناني من أكابر فقهاء وأصحاب الإمام الباقر(ع)، جاء يوماً إلى باب الإمام(ع)، فطرق الباب فخرجت إليه جارية ناهدة فضرب أبو الصّباح بيده على رأس ثديها وقال لها: قولي لمولاك إني بالباب.

فصاح الإمام الباقر(ع) من آخر الدّار: أُدْخُل لا أُمَّ لك.

قال أبو الصبّاح: فدخلت وقلت والله ما أردت رَيْبَةً - لم أقصد الشّهوة - ولا قصدت إلا زيادة في يقيني (هل أنّ الإمام يعلم ما وراء الجدران أم لا)؟.

فقال الإمام(ع): صدقت لئن ظننتم أنّ هذه الجدران تحجب أبصارنا كما تحجب أبصاركم إذاً لا فرق بيننا وبينكم، فإيّاك أن تعود لمثلها[١].

٣ - النّهي عن المزاح مع إمرأة أجنبيّة:

عن أبي بصير قال: كنت في الكوفة أُقرئُ امرأةً القرآن فمازحتُها يوماً بشيء.

مضت أيّام حتى دخلت على الإمام الباقر(ع) في المدينة فعاتبني وقال(ع): من ارتكب الذّنبَ في الخلاء لم يعبأ الله به، أيَّ شيء قلت للمرأة؟

يقول أبو بصير: فغضضت وجهي حياءً وتبتُ.

فقال لي الإمام الباقر(ع): لا تَعُدْ[٢] (أي لا تمازح امرأة أجنبيّة).

(١) كشف الغمة: ج٢، ص ٣٥٣.
(٢) بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٢٤٧.

٤ - الجواب القاطع للإمام الباقر(ع) سؤال رجل مشبوه:

عن جابر الجُعفي(ره) قال: كنا عند الإمام الباقر(ع) نحواً من خمسين رجلاً إذ دخل عليه رجل مشهور بـ «كثير الثّوى»(١) وكان على مذهب «المغيرية» (أي كان من أتباع المغيرة بن سعيد القائل أنّ الإمام بعد الإمام الباقر(ع)، هو محمّد بن عبد الله بن الحسن المجتبى(ع)، وكان يتصوّر أن عبد الله حيّ لم يمت) فسلم وجلس، ثم قال للإمام(ع): «إن المغيرة بن عمران عندنا بالكوفة يزعم أنَّ معك مَلَكاً يُعرّفك الكافرَ من المؤمن، وشيعتك من أعدائك».

قال الإمام الباقر(ع): ما حرفتُك.

قال كثير الثّوا: أبيع الحنطة.

قال الإمام الباقر(ع): كذبت.

قال كثير الثّوا: وربّما أبيع الشّعير.

قال الإمام الباقر(ع): ليس كما قلت: بل تبيع الثّوا.

قال: من أخبرك بهذا؟

قال الإمام الباقر(ع): المَلَكُ الذي يعرّفني شيعتي من عدوّي، لست تموت إلا تائها(٢).

قال جابر الجعفي(ره): فلمّا إنصرفنا إلى الكوفة ذهبت في جماعة، نسأل منه فدللت على عجوز.

فقالت: مات كثير الثّوا تائهاً منذ ثلاثة أيام(٣).

---

(١) كثير النواء لقب لشخص الذي يملك نوا كثيراً.

(٢) التائة: داء يوجب دوران الرأس فيترك صاحبه كالمجنون.

(٣) كشف الغمة: ج٢، ص ٣٥٥.

٥ - فلاحة الإمام الباقر(ع):

كان محمّدُ بن المنكدر من علماء أهل السّنة في عصر الإمام الباقر(ع)، حدَّث يوماً أصحابَه فقال لهم: ما كنت أرى أن مثلَ عليّ بن الحسين يدعُ خَلَفاً - مثله في الفضل - حتى رأيت ابنه محمّدَ بن علي بن الحسين(ع) فأردت أن أعظه فوعظني فقال له أصحابه: بأيِّ شيء وعظك؟

قال محمّد بن المنكدر: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارّة، فلقيت محمّد بن عليّ الباقر(ع) - وكان رجلاً بديناً - وهو متكئ على غلامين له أسودين مشغولٌ بالفلاحة والزّراعة.

فقلت في نفسي: شيخ من شيوخ قريش في هذه السّاعة على هذه الحال في طلب الدّنيا لأعظنّه؟

فدنوت منه فسلّمتُ عليه، فسلّم علي ببهرٍ[١] وقد تصبّب عرقاً، فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قُريش في هذه الساعة على مثل هذه الحال في طلب الدّنيا! لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال؟!

قال المنكدر: فخلّى عن الغلامين من يده، ثم تساند وقال(ع):

«لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحال، جاءني وأنا في طاعةٍ مِنْ طاعات الله، أكف بها نفسي عنك وعن النّاس، وإنما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصيةٍ من معاصي الله».

ولما سمعت هذا الجواب الحكيم من الإمام الباقر(ع) قلت له:

«يَرْحَمُكَ الله أرَدْتُ أن أعظكَ فَوَعظتني»[٢].

(١) البهر: تتابع النفس.

(٢) إرشاد المفيد (ره): ج٢، ص ١٦٠.

٦ - قلّة الحجاج:

كان أبو نصير من أبرز تلاميذ أصحاب الإمام الباقر(ع) وكان(ره) بصيراً، إشترك في موسم الحجّ مع الإمام لأداء فريضة الحجّ.

سمع من جانب الحجّاج الصّياح والبكاء والعويل فقال للإمام(ع):

ما أكْثَرَ الحَجِيجُ، وأعْظَمَ الضَّجِيجُ؟

فقال الإمام الباقر(ع): بَلْ أكْثَرَ الضّجِيجُ وأقلّ الحجيجُ.

ثم قال الإمام(ع) لأبي بصير: أتُحبّ أن تعلم صدق ما أقوله وتراه عياناً؟

فمسح(ع) على عينيه ودعا بدعوات فأبصر ما حوله فقال(ع): أنظر يا أبا بصير إلى الحجيج.

قال أبو بصير: فنظرت فإذا أكثر النّاس قردة وخنازير والمؤمن بينهم كالكوكب اللاّمع في الظّلماء.

فقال أبو بصير لمّا شاهد بأُمّ عينيه ما قاله الإمام الباقر(ع): صدقت يا مولاي ما أقلّ الحَجِيج وأكثر الضّجيج.

ثم دعا الإمام الباقر(ع) بدعوات فصار أبو بصير ضريراً كالسّابق[1].

٧ - ظلم هشام للإمام الباقر(ع):

تقلّد الإمام الباقر(ع) أعباء الإمامة عشرين سنة تقريباً من سنة «٩٥ هـ ق» إلى «١١٤ هـ ق» وواجه خلال هذه الفترة من إمامته الكريمة أربعة من خلفاء بني أمية وهم:

١ - سليمان بن عبد الملك.

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص ١٨٤.

٢ - عمر بن عبد العزيز.

٣ - يزيد بن عبد الملك.

٤ - هشام بن عبد الملك.

وبالأخص الفترة الأخيرة من عمره الشّريف حيث عاش فيها عشر سنوات تقريباً في حكومة هشام بن عبد الملك عاشر خلفاء بني أميّة وحكومته الجائرة ولم يستسلم لسلطانه وقدرته. بل كان(ع) يستغل الفرصَ المناسبةَ ليعلن عن معارضته لدولة الطّاغي هشام. وكان(ع) كأجداده الطّاهرين في خندق مخالفةِ الطّواغيت، وإن لم تسمح له الإمكانات الماديّة والبشريّة في مواجهتهم بالكفاح المسلّح. ولكنه(ع) حمل لواء النّضال ضدّهم في ميادين الجبهات الثّقافيّة.

وعلى هذا الأساس، كانت هذه الفترة من حياة الإمام الباقر(ع) وأصحابه في أشدّ الرّقابة.

روى صفوان بن يحيى عن جدّه محمد قال: جئت إلى باب الإمام الباقر(ع) أستأذن عليه، فلم يأذن لي فأذن لغيري فرجعت إلى منزلي وأنا مغموم، فطرحت نفسي على سرير في الدّار وغرقت في التّفكير لماذا لم يأذن الإمام(ع) لي؟ فجعلت أفكرّ وأقول: أليس المرجئة تقول كذا؟ والقدريّة تقول كذا؟ والحروريّة تقول كذا؟ و ... فيدخلون على الإمام(ع) كي يقضون ساعات من أوقاتهم في محضر، وأنا من شيعتهم أُمْنَعُ هكذا من الدّخول عليه.

بينما كنت أُفكرّ في هذا حتى نادى المنادي، فإذا الباب يدقّ فقلت: من هذا؟

فقال: رسول الإمام الباقر(ع) يقول لك أبو جعفر الباقر(ع) أجب.

فأخذت ثيابي ومضيت معه فدخلت عليه فلمّا رآني(ع) قال:

«يا مُحمّد لا إلى المرجئة، ولا إلى القدريّة، ولا إلى الحروريّة، ولا إلى الزّيديّة، ولكن إلينا إنّما حجبتك - بسبب وجود أفراد من عيون الحكومة ومواليهم هنا - لكذا وكذا.

فقال صفوان: فقبلتُ قولَ الإمام(ع) وقلت بإمامته[1].

٨ - الإمام الباقر(ع) في منفاه وسجنه:

كان الإمام الباقر(ع) في وجوده وحركاته وأسلوبه في العمل في المدينة يشكّل خطراً ضدّ جهاز الحكم الأموي المتمثّل بالمجرم هشام بن عبد الملك، وإن تخلّى الإمام(ع) عن الكفاح المسلّح والمواجهة العلنية ضدّهم، مع ذلك كان الجهاز الحاكم يعتبر حركات الإمام(ع) نوعاً من الجهاد والمخالفة لهم. فعزم هشامٌ على نفي الإمامِ من المدينة إلى الشام، وإبعادِه عن الأمة.

حمل أفرادُ هشام الإمام الباقر(ع) مع إبنه الإمام الصادق(ع) من المدينة إلى الشّام. وتصغيراً لشأن الإمام(ع) حبسوهم ثلاثة أيّام عند باب قصر هشام ولم يأذنوا لهم بالدّخول عليه وأنزلوهم في دار الغلمان.

قال هشام لأصحابه وحاشيته: إذا رأيتموني قد وبّختُ محمّدَ بن عليّ - الإمام الباقر(ع) - ثم رأيتموني قد سكتُّ فليُقْبِل عليه كلُّ رجلٍ منكم فليوبّخه.

ثم أذِنَ هشام بدخول الإمام، فلمّا دخل الإمام(ع) أشار بيده قال: السلام عليكم فعمَّهم جميعاً بالسّلام ثم جلس.

ولما رأى هشام سلام الإمام(ع) وجلوسه بدون أذنه ازداد غضباً وحنقاً وقال:

«يا محمّد بن عليّ لا يزالُ الرجل مِنكُم قد شقَّ عصا المسلمين ودَعا إلى نفسهِ وزعم

(١) رجال الكشي (ره): ص ٢٣ - بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٢٧١.

أنّه الإمام سَفَهاً وقلة علمٍ». ووبّخه بما أراد أن يوبّخه، فلمّا سكت هشام أقبل عليه القومُ - الذين باعوا دينهم بدنياهم أو دنيا غيرهم - رجل بعد رجل يُوبِّخه حتى انقضى آخرُهم.

فلمّا سكت القوم نهض الإمام(ع) قائماً ثم قال:

«أيها النّاس أين تذهبون، وأين يراد بكم، بنا هدى الله أوّلكم، وبنا يُخْتَمُ آخرُكم، فإن يكن لكم مُلْكٌ معجّلٌ فإنّ لنا مُلْكاً مؤجّلاً وليّس بعد مُلْكِنا مُلْكٌ لأنا أهل العاقبة بقول الله عزّ وجلّ:

﴿والعاقِبةُ للمتقين﴾[1].

فأمر هشامٌ بسجن الإمام(ع)، لكن لم يَمْضِ وقتٌ طويلٌ حتى وصلت الأخبار إلى هشام أنّ الإمام الباقر(ع) عطف قلوب السّجان على نفسه فقالوا له: إنّا نخاف عليك من أهل الشّام أن ينقادوا إليه ويثوروا ضدّك، فأمر هشام صاغراً ومضطرّاً أن يعيد الإمام(ع) إلى المدينة [2].

٩ - إسلام راهب، ونموذج من علم الإمام(ع):

لّما نفى هشامُ بن عبد الملك الإمامَ الباقر وابنه الإمامَ الصادق(ع) من المدينة إلى الشّام، قال الإمام قال الصادق(ع): خرجنا ذات يوم من قصر هشام مع أبي(ع) وإذا قد اجتمع من الناس جمع غفير في ساحة الشّام فسأل أبي(ع) عنهم وعن شأنهم.

فقيل: «هؤلاء القسّيسون والرّهبان، وهذا عالم لهم يقعد إليهم في كل سنة يوماً

(١) القصص / ٨٣.
(٢) تلخيص من أصول الكافي: ج١ ، ص ٤٧١.

واحداً يستفتونه فيفتيهم، وموطنه فوق الجبل ينزل في السّنة مرة واحدة، والمسيحيون يأتون لزيارته، ويطرحون إليه ما أشكل من المسائل خلال السنّة فيجيبهم، فاجتماع الناس كان لهذا الهدف.

فشدَّ أبي رأسَه بفاضل ردائه كي لا يعرف، ثم ذهب إلى فوق الجبل ليرى العابد الكبير، وأنا كنت معه.

وقد أفترش القساوسة إلى جانب المعبد بساطاً كبيراً فخرج الرّاهب الكبير من صومعتِه وقد شدَّ حاجبيه بحريرة صفراء حتى توسّطَنا فقام إليه جميع القسّيسين والرّهبان مسلّمين عليه، فجاؤوا به إلى صدر المجلس فقعد فيه وتدور عينيه في حدقتها كالأفعى.

فأرسل هشام جاسوساً، كي يخبره على ما يجري بين أبي والرّاهب الكبير. فأدار الراهب نظره في الناس ووقع بصره على أبي. ثم دار بينه وبين أبي(ع) هذا الحوار.

الراهب: أمِنّا أمْ من هذه الأمّة المرحومة؟

فقال الإمام الباقر(ع): بل من هذه الأمّة المرحومة.

الراهب: من أيّهم أنت من علمائِها أم مِنْ جهّالِها؟

الإمام الباقر(ع): لستُ من جهّالها.

الراهب: أسألُك أم تسألُني؟

الإمام الباقر(ع): سَلْنِي.

فتعجَّب الرّاهب العجوز فقال للناس؟ عجباً في أُمّة محمّد(ص) من يقول سَلْنِي، فمن الجدير أن أسأله بعض المسائل ثم طرح خمسة أسئلة على الإمام الباقر(ع).

١ - أخبرني عن ساعةٍ لا من ساعات الليل ولا مِن ساعات النّهار.

الإمام الباقر(ع): هي الساعةُ التي بين طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس.

٢ - إذا لم تكن من ساعات الليل ولا من ساعات النهار فمن أي الساعات هي؟

الإمام الباقر(ع): من ساعات الجنّة وفيها تفيق مرضانا، وينجو المبتلى.

الراهب: أصبت.

٣ - أخبرني عن أهل الجنّة كيف صاروا يأكلون ولا يتغوّطون أعطني مثلهم في الدّنيا.

الإمام الباقر(ع): هذا الجنين في بطن أُمّه يأكل ممّا تأكل أُمّه ولا يتغوَّط.

الراهب: صدقت.

٤- أخبرني عن شجرة في الجنّة تدعى شجرة طوبى، لها أثمار مختلفة كلما أكل أهل الجنة منها لا ينقص شيئاً أعطني مثله في الدنيا.

الإمام الباقر(ع): هي كالقنديل كلّما استوقد منه قناديل أُخرى لا ينقص منه شيئاً.

٥ - أخبرني عن رجلٍ دنا من امرأة فحملت بإبنين جميعاً وضعتهما في ساعة واحدة، وماتا في ساعة واحدة، ودفنا في ساعة واحدة في قبر واحد، فعاش أحدهما خمسين ومائة سنة وعاش الآخر خمسين سنة من هما؟

الإمام الباقر(ع): هما الأخوان عُزير وعَزْرَة كانا حملت أُمّهما على ما وصفت، ووضعتهما أُمّهما على ما وصفت فعاش عزرة مع عُزير ثلاثين سنة ثم أمات الله عُزَيراً مائة سنة وبقي عزره حياً ثم بعث الله عُزيراً فعاش مع عزرة عشرين سنة. ثم ماتا في ساعة واحدة، فكان عمر عزير خمسين سنة في الدنيا، أما أخوه عزرة فمائة وخمسون سنة.

فبقي العابد متحيّراً فقام من محله وقال للحاضرين: جئتم بأعلم مني كي يَفْضَحَني، لعمري ما رأيتُ بعيني قطّ أعلمَ من هذا الرجل لا تسألوني عن حَرْفٍ وهذا بالشّام، فكل ما أردتم تجدوه عنده حاضراً.

وروي: لمّا حلّ الليل دخل العابدُ مع طائفة من النّصارى إلى الإمام الباقر(ع) وبعد رؤيتهم لمعجزات من الإمام(ع) أسلموا.

فبلغ نبأ هذه المناظرة العجيبة للإمام الباقر(ع) والرّاهب إلى مسامع هشام، وظهر علم الإمام(ع) وكمالاته المعنويّة للناس، فأحسّ هشام بالخطر المحدق له فأرسل بجوائز إلى الإمام(ع) وأرسله إلى المدينة.

وأرسل قبلهما من أعوانه ليبلّغوا الناس إنّه لا يحقّ لأحد أن يتحدث مع الإمام الباقر(ع) وابنه الإمام الصادق(ع)، إنّي دعوتهما إلى الشّام لأنّهما دخلا في الدّيانة المسيحيّة. ومن باع لهم شيئاً أو سلَّم عليهما هُدِرَ دمُه(١).

١٠ - *الإمام الباقر(ع) يَسُرُّ غلمانه:*

لمّا حضرت الإمام الباقر(ع) الوفاة، وحانت ساعةُ الرّحيل إلى الله تعالى جَمَعَ غلمانَه وقسَّمهم طائفتين. الخيّارُ والشّرارُ. فأعتق شرارَهم وأمسك أخيارَهم لنفسه.

فقال له الإمام الصّادق(ع): يا أبة تَعْتُقُ هؤلاء وتُمْسِكُ هؤلاء؟

(فَعِتْقُ العبيدِ لصالِحِهم ويعتبر تجليلاً لهم، فلماذا أعتقت الأشرار وأمسكت الأخيار)؟.

قال الإمام الباقر(ع): «إنهم قد أصابوا منّي ضرباً فيكون هذا بهذا»(٢).

---

(١) أقتبس من منتخب التواريخ: ص ٤٢٨ و ٤٢٩.

(٢) فروع الكافي: ج٧، ص ٥٦.

(أي الغلمان الذين بدرت منهم الإساءة فإني عاقبتهم فأريد أنْ أجازيَهم وأفرحُهم في مقابل تلك العقوبة).

وبعبارة أخرى: إنّي أريد أن أجبر خاطرهم، وأميل قلوبهم إليّ في هذه اللحظات حيث خفقت أجنحة الموت عند رأسي.

لا ريب أن جبر الخاطر هذا، يعبّر عن نظرة تربوية قيّمة، فلا تبقى في أنفسهم باقية من العُقَدِ والترسبات.

دفاع الإمام الباقر عن أبيه[ع] عند يزيد

لمّا تكلّم الإمام السّجاد(ع) في مجلس يزيد رادّاً على قوله، وحكم يزيد بقتل الإمام بعد ما أشار عليه جلساؤه بقتله، ابتدر أبو جعفر الباقر(ع) الكلام وله سنتان فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ليزيد: لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار جلساء فرعون عليه، حيث شاورهم في موسى وهارون، فإنّهم قالوا له: (أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكلّ سحّار عليم)[1]. وقد أشار هؤلاء عليك بقتلنا، ولهذا سبب.

فقال يزيد: وما السبّب؟

فقال: إن هؤلاء كانوا لرشده وهؤلاء لغير رشده، ولا يقتل الأنبياء وأولادهم إلا أولاد الأدعياء، فأمسك يزيد مطرقاً[2].

(١) سورة الشعراء، الآية٣٦ و٣٧.

(٢) معالي السّبطين، ج٢، ص١٦١ عن نفس المهموم.

شمائل رسول الله [ص] وربّ الكعبة

روى الخزّاز بسنده عن جابر بن يزيد قال: دخل جابر بن عبد الله على علي بن الحسين (ع) فبينا يحدثه إذ خرج محمد بن علي الباقر(ع) من عند نسائه وعلى رأسه ذؤابة وهو غلام، فلمّا بصر به جابر ارتعدت فرائصه وقامت كلّ شعرة على جسده ونظر إليه ملياً، ثم قال له: يا غلام أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر. فقال جابر: شمائل رسول الله (ص) وربّ الكعبة، ثم قام فدنا منه، ثم قال له: ما اسمك يا غلام؟

قال: محمد.

قال: ابن من؟

قال: ابن عليّ بن الحسين(ع).

فقال: يا بُنّي فداك نفسي فأنت إذاً الباقر.

قال: نعم فأبلغني ما حملك رسول الله(ص).

قال جابر: يا مولاي ان رسول الله (ص) بشرني بالبقاء إلى أن ألقاك وقال لي: إذا لقيته فاقرأه مني السلام، فرسول الله يا مولاي يقرأ عليك السلام.

فقال أبو جعفر(ع): يا جابر على رسول الله(ص) السلام ما قامت السموات والأرض، وعليك يا جابر بما بلغت السلام.

فكان جابر بعد ذلك يختلف إليه ويتعلم منه، فسأله محمد بن علي(ع) عن شيء، فقال جابر: والله لا دخلت في نهي رسول الله(ص) لقد أخبرني أنّكم الأئمّة الهداة من أهل بيته بعده، أحكم النّاس صغاراً وأعلم الناس كباراً.

فقال: لا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم.

قال أبو جعفر(ع): صدق جدّي(ص)، اني أعلم بما سألتك عنه والله أوتيت الحكم وذلك بفضل الله علينا ورحمته لنا أهل البيت[1].

التلميذ الذي كان يصحح أغلاط الأستاذ

وروى الصّدوق بسنده عن عمرو بن شمر قال: سألت جابر بن يزيد الجعفي فقلت له: لم سمي الباقر باقراً؟

قال: لأنّه بقر العلم بقراً أي شقه شقاً وأظهره إظهاراً، ولقد حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري أنه سمع رسول الله (ص) يقول: يا جابر أنّك ستبقي حتى تلقى ولدي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف في التوراة بباقر، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، فلقيه جابر بن عبد الله الأنصاري في بعض سكك المدينة. فقال له: يا غلام من أنت؟

قال: أنا محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

قال له جابر: يا بُنيّ أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، فقال: شمائل رسول الله(ص) ورب الكعبة، ثم قال: يا بُنيّ رسول الله(ص) يقرؤك السلام.

فقال: على رسول الله(ص) السلام ما دامت السموات والأرض وعليك يا جابر بما بلّغت السلام.

فقال له جابر: يا باقر يا باقر! أنت الباقر حقاً، أنت الذي تبقر العلم بقراً. ثم كان جابر يأتيه فيجلس بين يديه فيعلّمه وربّما غلط جابر فيما يحدّث به عن رسول

(١) كفاية الأثر. ص٥٥.

الله(ص) فيردّ عليه ويذكره فيقبل ذلك منه ويرجع إلى قوله وكان يقول: يا باقر يا باقر يا باقر أشهد بالله أنك قد أوتيت الحكم صبيّاً(١).

الإمام الباقر [ع] يسقط في البئر

روى المجلسي عن المناقب: إنّ الإمام عليّ بن الحسين(ع) كان قائماً يصلي حتى وقف ابنه محمد(ص) وهو طفل إلى بئر في داره بالمدينة بعيدة القعر فسقط فيها، فنظرت إليه أمه فصرخت وأقبلت نحو البئر تضرب بنفسها حذاء البئر وتستغيث وتقول: يا بن رسول الله(ص) غرق ولدك محمد، وهو لا ينثني عن صلاته وهو يسمع اضطراب ابنه في قعر البئر، فلمّا طال عليها ذلك قالت - حزناً على ولدها -: ما أقسى قلوبكم يا أهل بيت رسول الله(ص)؟

فأقبل على صلاته ولم يخرج عنها إلا عن كمالها وإتمامها، ثم أقبل عليها وجلس على أرجاء البئر، ومد يده إلى قعرها وكانت لا تنال إلا برشاء طويل، فأخرج ابنه محمداً على يديه يناغي ويضحك، لم يبتل له ثوب ولا جسد بالماء. فقال: هاك يا ضعيفة اليقين بالله، فضحكت لسلامة ولدها وبكت لقوله(ع): يا ضعيفة اليقين بالله.

فقال: لا تثريب عليك اليوم، لو علمت أني كنت بين يدي جبار لو ملت بوجهي عنه لمال بوجهه عني أفمن يرى راحماً بعده(٢).

مشياً على الأقدام إلى بيت الله الحرام

وقال المجلسي في البحار نقلاً عن الإربلي في كشف الغمّة: ونقلت من كتاب جمعه

(١) علل الشرائع، ج١، ص٢٣٣. وعنه البحار ج٤٦، ص٢٢٥ و٢٢٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤، عيون المعجزات، ص٧٤.

الوزير السعيد مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن محمد بن العلقمي، قال: ذكر الأجل أبو الفتح يحيى بن محمد بن حياة الكاتب، قال: حدّث بعضهم قال: كنت بين مكة والمدينة فإذا أنا بشبح يلوح من البرية يظهر تارة ويغيب أخرى حتى قرب منّي فتأملته فإذا هو غلام سباعي أو ثماني، فسلّم عليّ فرددت عليه وقلت: من أين؟

قال: من الله. فقلت: وإلى أين؟

فقال: إلى الله. قال: فقلت: فعلام؟

فقال: على الله. فقلت: فما زادك؟

قال: التقوى. فقلت: ممن أنت؟

قال: أنا رجل عربي، فقلت: أبن لي؟

قال: أنا رجل قرشي. فقلت: أبن لي؟

فقال: أنا رجل هاشمي. فقلت أبن لي؟

فقال: أنا رجل علوي، ثم أنشد:

فنحن على الحوض ذوّاده   نذود ويسعد ورّاده
فما فاز من فاز إلا بنا   وما خاب من حبّنا زاده
فمن سرّنا نال منّا السرور   ومن ساءنا ساء ميلاده
ومن كان غاصبنا حقّنا   فيوم القيامة ميعاده

ثم قال: أنا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

ثم التفتّ فلم أره، فلا أعلم هل صعد إلى السماء أم نزل في الأرض[1].

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٢٧٠، الفصول المهمّة، ص٢٠٢.

أنا جليس من ذكرني

قال الباقر(ع): مكتوب في التوراة التي لم تغيّر، أن موسى سأل ربّه فقال: يا ربّ، أقريب أنت منّي فاناجيك، أم بعيد فاناديك؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى، أنا جليس من ذكر لي.

فقال موسى: فمَنْ في سترك يوم لا ستر إلا سترك؟

فقال عزّ وجلّ: الذّي يذكرونني فأذكرهم ويتحابّون فيّ فأحبّهم، فأُولئك الّذين إذا أرت أنْ اُصيب أهل الأرض بسوء، ذكرتهم ، فدفعت عنهم بهم[١].

ما الغضب؟

دخل عمرو بن عبيد - أحد كبار المعتزلة - على الإمام الباقر(ع) فقال له: جعلت فداك، قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى﴾[٢]. ما ذلك الغضب؟

فقال أبو جعفر(ع): هو العقاب. يا عمرو، إنّه من زعم - وفسّر غضب الله بأنّه حالة عريضيّة تعرض على الله عزّ وجلّ وأن الله قد زال من شيء إلى شيء فقد وصفه صفة مخلوق، وإنّ الله تعالى لا يستفزّه شيء فيغيّره[٣].

(١) ج٢: ٤٩٦ (٤٦٥)ح٤.

(٢) طه: ٨١.

(٣) ج١: ١١٠(١٦٢)ح٥.

الله أعلم حيث يجعل رسالته

دخل رجل من الخوارج على الإمام الباقر(ع) فقال له: يا أبا جعفر، أي شيء تعبد؟

قال(ع): الله تعالى.

قال: رأيته؟

قال(ع): بل لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس، ولا يدرك بالحواسّ، ولا يشبّه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجوز في حكمه، ذلك الله، لا إله إلا هو.

فخرج الرجل وهو يقول: (اللهُ أعْلَم حَيْثُ يَجْعَل رِسَالتَه)[1].

الغرس الطيب

قال الباقر(ع): مرّ رسول الله(ص) برجل يغرس غرساً في حائط - بستان - له فوقف(ص) له وقال(ص): الا أدلّك على غرس أثبت أصلاً وأسرع إيناعاً - ثمراً - وأطيب ثمراً وأبقى؟

قال: بلى، فدلّني، يا رسول الله.

فقال(ص): إذا أصبحت وأمسيت فقل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

فقال(ص): فإنّ ذلك - إن قلته - بكلّ تسبيحة عشر شجرات في الجنّة من أنواع الفاكهة وهنّ من الباقيات الصالحات.

---

(١) ج١ : ٩٧(١٥١)ح٥

فقال الرجل وهو مندهش إلى كلام النبي(ص): فإنّي أشهدك يا رسول الله(ص) انّ حائطي هذا صدقة مقبوضة على فقراء المسلمين أهل الصداقة.

فأنزل الله عزّ وجلّ آيات من القرآن:

﴿فأمّا من أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى فسنيسّره لليسرى﴾[١].

اسألوني الدليل

قال الامام الباقر(ع): لأصحابه: إذا حدّثتكم بشيء فاسألوني أينهو من كتاب الله.

ثم قال(ع): في بعض حديثه: إنّ رسول الله(ص) نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال.

فقيل له: يابن رسول الله أين هذا - النهي النبويّ (ص) - من كتاب الله؟

قال(ع): إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾[٢]. وقال: ﴿لا تؤتؤا السفهاء أموالكم الّتي جعل الله لكم قياماً﴾[٣]، وقال: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم﴾[٤].

أقول: يستفاد من هذا الحديث ان الامام الباقر(ع) قد علمنا ضرورة الرجوع إلى القرآن والاستفادة منه.

---

(١) الليل:٥-٧. المصدرح٤.

أقول: لم يقصر شأن نزول هذه الآية بهذه القصة فقط.

(٢) النساء:١١٤

(٣) النساء:٥.

(٤) المائدة:١٠١. ج١:٦٠(١١٤)ح٥.

الامامة مفتاح الدعائم الاسلاميّة

كان الامام الباقر(ع) ذات يوم يعدّد دعائم الدين، فقال: بني الاسلام على خمسة أشياء:

١ - الصلاه.

٢ - الزكاة.

٣ - الحجّ.

٤ - الصوم.

٥ - والولاية والإمامة.

قال زرارة : وأيّ شيء من ذلك أفضل؟

فقال(ع): الولاية أفضل لأنها مفتاحهن - أي مفتاح باقي الدعائم - والوالي - أي الامام - هو الدليل عليهنّ.

قلت: ثمّ الّذي يلي ذلك في الفضل؟

فقال(ع): الصلاة، إنّ رسول الله(ص) قال: «الصلاة عمود دينكم»

قلت: ثمّ الّذي يليها في الفضل؟

قال(ع): الزكاة، لأنّه تعالى قرنها بها وبدأ بالصلاة قبلها.

وقال رسول الله (ص): «الزكاة تذهب الذنوب».

قلت: والّذي يليها في الفضل؟

قال(ع):الحجّ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين﴾[1] وقال رسول الله(ص): «لحجة مقبولة

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٧.

خير من عشرين صلاة نافلة، ومن طاف بهذا البيت طوافاً أحصى فيه أُسبوعه - أي أشواطه السبع - وأحسن ركعتيه - أي صلاة الطواف - غفر الله له، وقال في يوم عرفة ويوم المزدلفة ما قال - من الأدعية المأثورة عنهم(ع)...».

قلت: فماذا يتبعه - في الفضل؟

قال(ع): الصوم.

قلت: وما بال الصوم صار آخر ذلك أجمع؟

قال(ع): قال رسول الله(ص): «الصوم جنّة من النار».

ثمّ قال(ع): إنّ أفضل الأشياء ما إذا فاتك لم تكن منه توبة دون أن ترجع إليه فتؤدّيه بعينه، إنّ الصلاة والزكاة والحجّ والولاية ليس يقع شيء مكانها دون أدائها، وإنّ الصوم إذا فاتك أو قصرت أو سافرت فيه ادّيت مكانه أيّاماً غيرها وجزيت ذلك الذنب بصدقة ولا قضاء عليك، وليس في تلك الأربعة شيء يجزيك مكانه غيره.

ثم قال(ع): ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن، الطاعة للامام بعد معرفته إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولّى فما ارسلناك عليهم حفيظاً﴾[1]. أما لو أنّ رجلاً قام ليله - بالصلاة - وصام نهاره، وتصدّق بجميع ما له وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله جلّ وعزّ حقّ في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان.

ثم قال(ع): أُولئك المحسن منهم يدخله الله الجنّة بفضل رحمته[2].

(١) سورة النساء، الآية ٨٠.

(٢) ج٢: ١٨-١٩ (٢٢-٢٣)ح٥.

المعصوم الثّامن

الإمام السّادس

جعفر بن محمّد الصّادق (عليه السلام)

هويّة المعصوم الثّامن
هو الإمام السّادس
جعفر الصّادق(ع)

الاسم: جعفر(ع).

لقبه المشهور: الصّادق.

كنيته: أبو عبد الله.

الأب والأمّ: الإمام الباقر(ع)، أم فرّوة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر.

تاريخ ومحلّ الولادة: ولد(ع) في «١٧» ربيع الأوّل سنة «٨٣ هـ ق» في المدينة.

طواغيت عصر إمامته: هشام بن عبد الملك (عاشر خلفاء بني أميّة) إلى آخر أيّامهم والسّفاح العباسي، والمنصور الدّوانيقي.

تاريخ ومحل الشهادة: استُشهِد(ع) بأمر من المنصور الدّوانيقي بالسّم في المدينة في شوال سنة «١٤٨» عن سنّ ناهز الـ «٦٥» سنة.

مرقده الشريف: مقبرة البقيع، في المدينة المنورة.

أدوار عمره الشّريف تنقسم إلى مرحلتين:

١ -«٣١» سنة قبل إمامته (من ٨٣ إلى ١١٤ هـ. ق.)

٢ - أيام إمامته إلى آخر عمره الشريف: إستغل الإمام في هذا العصر إنشغال بني أميّة وبني العبّاس بالحروب، وأسّس حوزته العلميّة التاريخيّة على مستوى واسع جداً - كانت تضمّ أربعة آلاف من روّاد العلم، فكشف(ع) الظّلام الدّامس الذي خيّم على الإسلام المحمّدي، العلوي الأصيل، جرّاء سياسة وإرهاب بني أميّة وبني العبّاس.

١ - الإمام الصّادق(ع) يترك مائدة اعتراضاً على جلسائه:

نزل الإمام الصادق(ع) في إحدى رحلاته في مدينة الحيرة (بين الكوفة والبصرة) حين قَدِمَ على أبي جعفر المنصور، فختن بعض القواد ابناً له وصنع طعاماً ودعا الناس، وكان الإمام الصادق(ع) فيمن دُعِيَ، فبينا هو على المائدة يأكل ومعه عدّة على المائدة فاستسقى رجلٌ منهم ماءً فأُتيَ بقدحٍ فيه شرابٌ لهم، فلمّا أن صار القدحُ في يد الرّجل قام أبو عبد الله(ع)، فَسُئِل عن قيامه فقال(ع): قال رسول الله(ص):

«ملعونٌ من جَلَس على مائدة يُشْرَبُ عليها الخمر»[1].

٢ - جواب سؤال، ولزوم تمهيد الأرضية لظهور القائم(عج):

قال رجلٌ للإمام الصّادق(ع): أصلحك الله، ألم يكن عليّ(ع) قوياً في دين الله؟

قال الإمام(ع): بلى.

(١) فروع الكافي: ج ٦، ص ٢٦٨.

قال الرّجل: وكيف غَلَب على القومِ - المنافقين وغيرهم - ولم يَقتُلْهم؟ وما منعه من ذلك؟

قال الإمام(ع): منعته آيةٌ في كتاب الله عزّ وجلّ.

قال الرجل: وأي آية هي؟

قال الإمام(ع): قوله عزّ وجلّ:

﴿لو تَزَيَّلُوا لَعَذَّبنا الذينَ كَفَروا مِنْهُم عذاباً أليما﴾.

ثم قال(ع): إنّه كان لله عزّ وجلّ ودائعُ مؤمنون في أصلاب قومٍ كافرين ومنافقين ولم يكن عليٌّ(ع) ليقتل الأباء حتى تخرج الوادئع، فلمّا خرجت الودائع - الأولاد - ظهر على من ظهر فقاتله.

وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتى تظهر ودائع الله عزّ وجلّ[1].

بعبارة أخرى: إنّ ظهورَ الإمام صاحب العصر(ع) بحاجةٍ إلى مؤمنين أتقياء ولا تتهيّأ أسباب ظهوره(عج) بدونهم، فيجب الالتفات إلى ضرورة التمهيد لذلك.

٣ - الرّضا بالقضاء الإلهي:

عن قتيبة الأعشى قال: سمعتُ أن ابناً للإمام الصّادق(ع) مريضٌ، فأتيت إلى داره لعيادته فوجدت الإمامَ(ع) على الباب، فإذا هو مهمومٌ حزين فقلت: جُعِلْتُ فَداك كيف الصّبي؟

فقال الإمام(ع): والله إنّه لما به (أي أنه لازال مريضاً) ثم دخل الدار فمكث ساعةً

---

(١) نور الثقلين: ج٥، ص ٦٠.

ثم خرج إلينا وقد أسفر وجهُه، وذهب التغيرُ والحزن عنه.

قال قتيبة: فَطَمِعْتُ أن يكون الصبيُّ قد شُفِيَ، فقلت كيف الصّبيُّ جُعِلْتُ فداك؟

فقال الإمام(ع): لقد مضى لسبيله (أي مات)، فقلت: جُعِلْتُ فداك لقد كنتَ وهو حيٌّ مهموماً حزيناً، وقد رأيت حالك السّاعة، وقد مات، غير تلك الحال فكيف هذا؟

فقال الإمام(ع): إنّا أهلُ بيتٍ إنّما نجزع قبل المصيبة، فإذا وَقَع أمرُ الله رضينا بقضائِه، وسلَّمنا لأمره[1].

٤ - الإمام الصادق(ع) يرشد تلميذه المنحرف:

كان عمر بن مسلم من تلاميذ الإمام الصادق(ع) قد غاب عن الأنظار أيّاماً، فاستفسر الإمام(ع) من الأصحاب عنه وقال: ما فعل عمر بن مسلم؟

قال أحد الجالسين: جُعِلْتُ فَدَاك خبرُه عندي: أقبلَ على العبادة، وترك التّجارة، وترك كلَّ ما يَشْغَلُه عن التّوجه إلى العبادة.

فقال الإمام(ع): ويَحهُ! أما عَلِمَ أن تارك الطّلبِ لا يُسْتَجابُ لهُ.

ثم قال(ع): لما نزلت هاتان الآيتان:

﴿ومنَ يَتّقِ الله يَجْعَلْ لهُ مَخْرَجاً ❖ ويرزُقْهُ من حَيثُ لا يَحْتَسِبُ ... ﴾[2].

إن قوماً من أصحاب رسول الله(ص) أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا: «قَدْ كُفِينا».

(١) أعيان الشيعة: ج١، ص ٦٦٤ - أصول الكافي: ج٣، ص ٢٢٥.
(٢) سورة الطلاق، آية ٢ و ٣.

(أي أن الله كفانا معاشنا من حيث لا نحتسب، فلا حاجة إلى كسب الأرزاق والعمل لجلب المعاش).

فبلغ ذلك النبي(ص) فأرسل إليهم، فقال لهم: ما حَمَلكم على ما صَنَعْتم؟

قالوا: يا رسول الله تكفّلَ الله لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة.

فقال رسول الله(ص): إنه من فعل ذلك لم يُسْتَجَبْ له، عليكُمُ بالطلب (أي طلبِ الرزقِ والمعاش)[1].

وبهذه الصورة بيَّن رسول الله(ص) والإمام الصادق(ع) أن العبادَة والتقوى لا تنحصر بالصلاة والتّفرغ بالأذكار والانزواء عن المجتمع، بل أفضل ميادين العبادة السّعي في الرّزق، ومساعدَةَ المجتمع بالزيادة التّوليد والإنتاج، قاصداً في عمله وجه الله عزّ وجلّ والإخلاص والإفادة.

٥ - الثّيابُ الجميلة من النّعم الإلهيّة:

كان سفيان الثّوري من الصّوفيّة معاصراً للإمام الصادق(ع) دخل يوماً على الإمام(ع) فرآه قد لَبِسَ ثياباً بيضاً كأنها غرقئ أبيض (أي قشر البيض الرقيق).

فقال له الثّوري: إن هذا اللّبأس ليس مِنْ لباسِكَ (أي لا يتناسب مع الزّهد ونفي زينة الدنيا).

فقال الإمام الصادق(ع): إسمع مني وعِ ما أقول لك، فإنه خير لك عاجلاً وآجلاً إن أنت مِتَّ على السُّنة - النّبويّة الشّريفة - ولم تمت على بدْعةٍ، أخبرك أن رسول الله(ص) كان في زمانٍ مُقْفرٍ جدْب، فأما إذا أقبلت الدنيا، فأحقُّ الناس بها أبرارُها،

(١) فروع الكافي: ج٥، ص ٨٤.

لا فجارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفّارُها، فما أنكرت يا ثوريّ؟ فوالله إنني مع ما ترى، ما أتي عليَّ منذ عقلت صباح ولا مساء، ولله في مالي حق أمرني أضعه موضعاً إلا وضعته[1].

(فمن يؤدي ما عليه من المسؤوليّة بأحسن وجه. يجوز له الاستفادة من النعم الإلهية المشروعة من الملبس والمأكل إذا وسع الله عليه في رزقه).

٦ - *الجواب الدامغ:*

كتب ثاني طواغيت بني العبّاس المنصورِ الدّوانيقي كتاباً إلى الإمام الصادق(ع) جاء فيه: «لِمَ لا تَغْشَانا كَما يَغْشانا سائرُ النّاس؟»

فأجابه الإمام الصادق(ع):

١ - ليس لنا ما نخافُك من أجلهِ.

٢ - ولا عِنْدَك مِنْ أمْرِ الآخرةِ ما نَرجُوك له.

٣ - ولا أنَتْ في نِعْمَةٍ فَنُهنّئك.

٤ - ولا في نِقْمَةٍ فَنُعزّيك بِها، فما نصْنَعُ عِنْدكَ؟!

فكتب المنصور له(ع):

«تَصْحَبنا لتنْصَحَنا.»

فأجابه الإمام الصادق(ع):

«من أراد الدنيا لا يَنْصَحُك، ومن أراد الآخرة لا يَصْحَبُكَ»[2].

(لأنه من أراد الدنيا لا ينصحه خوفاً منه)

(١) أعيان الشيعة: ج١، ص ٦٦٠ - بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٢٣٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٢، ص ٤٣٨ - كشف الغمة: ج٢، ص ٤٤٨.

٧ - الإنذار الشديد:

كان لأبي عبد الله الصادق(ع) صديق لا يكاد يفارقه، قال هذا الصديق يوماً لغلامه: يا ابن الفاعلة أين كنت؟

فلما سمع الإمام الصادق(ع) من صديقه هذا القَذْفَ تألَّم كثيراً ورفع يَده فصكّ بها جبهته ثم قال: «سبحان الله تقذفُ أمه وقد كنت أرى أن لك ورعاً، (أن الأئمة(ع) غير مأمورين أن يستفيدوا دائماً من علم الغيب) فإذاً ليس لك ورع».

قال صديق الإمام(ع): جُعِلت فَداك أن أمَّه سنديّةٌ - يعني من بلاد الهند - ومشركةٌ (لا يضرُّ معها القذف).

قال الإمام الصادق(ع): «ألا تعلُم أن لِكُلّ أُمةٍ نكاحاً!، تنحَّ عنّي.»

قال الراوي: فما رأيت الإمام الصادق(ع) يمشي مع صديقه حتى فرق بينهما الموت(١).

٨ - إستاد الملحدين في مقابل الإمام الصادق(ع):

حلّ موسم الحجّ، وكان الإمام الصادق(ع) في مكّة، والمسلمون قد أحاطوا به في المسجد الحرام كما تحيط الحدقُة بالعين يسألونه عن مختلف العلومِ والمعارِف ويستفيدون من علمه الفيّاض، وهم يتعلمون الأحكام الإلهية، ومسائل الحج، وتفسير الآيات القرآنية.

فورد إلى المسجد جماعة من الملحدين - الذين يُنكرون وجَود الله - أمثال: إبن أبي العوجاء، إبن طالوت، إبن الأعمى، إبن المُقفّع في نفر من الزّنَادقة - فجلسوا مع الإمام

(١) وسائل الشيعة: ج١١، ص ٣٣١.

الصادق(ع) مَجْلساً خاصاً يريدون بذلك أن يسألوه ويحاجُّوه.

فقال الزنادقة لابن إبي العوجاء: هل لك في تغليظ هذا المجالس - وأشاروا إلى الإمام الصادق(ع) - وسؤاله عما يفضحه عند هؤلاء المحيطين به؟ فقد فُتِنَ الناسُ به، وهو علاّمة زمانِه.

فقال لهم: ياا إبن إبي العوجاء: نَعَمْ، نِعْمَ ما رأيتم، ثم تقدم ففرّق الناس وقال: يا أبا عبد الله، إن المجالس أماناتٌ، ولا بد لكل من كان به سؤال أن يسأل، أفتأذن في السؤال؟

فقال الإمام الصادق(ع): «سَلْ إن شئتَ؟»

فقال له إبن أبي العوجاء: إلى كم تدوسون هذا البَيْدرَ، وتلوذون بهذا الحجر - يريد الحجَر الأسود - وتعبدون هذا البيتَ المرفوع بالطُّوبِ والمدرِ، وتهرولون حولَهُ هرولةَ البعير إذا نَفَرَ؟! من فكرَّ في ذلك وقَدَّر، عَلِمَ أنه فِعْل غيرُ حكيم ولا ذي نظر، فقل فإنّك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أُسُّه ونظامُه.

فقال له الإمام الصادق(ع): «إن من أضله الله وأعمى قلبَهُ أستوخَم الحَقّ فلم يَسْتَعذبه، وصار الشيطانُ وليَّه وربَّه، يورده مناهل الهَلَكَةِ، وهذا بيتُ إستعبد اللهُ به خلقَه يختبرُ طاعتهم في إتيانه، فحثَّهم على تعظيمه وزيارته، وجعله قبلة للمصلين له، فهو شُعبةٌ من رضوانه، وطريقٌ يؤدي إلى غُفْرانِه، منصوبٌ على استواء الكمال ومجمع العظمة والجلال، خلقَهُ قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحق من أطيع فيما أمر وأنتهي عما زجر، الله عزّ وجلّ المُنْشئ للأرواح والصور».

فقال له ابن أبي العوجاء: ذكرْتَ فأحَلْت على غائبٍ (أي إنّك ذكرت من لا يرى ومن هو غائب عن الأنظار، وهذا الكلام غير مقنع للسائل».

فقال الإمام الصادق(ع): كيف يكون - يا ويلك - عنّا غائباً من هو مع خلقِه شاهد، وإليهم أقرب من حبل الوريد؟!

ثم ذكر الإمام(ع) آيات إلهية باهرة في الكون وفي أنفسهم فبقي إبنُ أبي العوجاء حائراً مبهوتاً لا يدري ما يقول.

ثم قال الإمام الصادق(ع): «والذي بعثه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة محمدٌ(ص) جاءنا بهذه العبادة، فإن شككْتُ في شيءٍ من أمرهِ فاسألْ عنه أوضحه لك».

فتحير ابن أبي العوجاء، ولم يَدْرِ ما يقول: فانصرفَ من بين يديه وقال لأصحابه: سألتُكم أن تلتمسوا لي خمرةً فألقيتموني على جمرةٍ.

(أي طلبت منكم أن تجدوا من أناظره وأتغلبُ عليه، ولكنّكم دفعتموني إلى هذا العالِم الحكيمِ الذي تغلب عليّ وقهرني).

قالوا له: أسكُتْ، فوالله لقد فَضَحْتنا بحيرتك وانقطاعِك، وما رأينا أحقر منك اليوم في مجلسه.

فقال إبن أبي العوجاء: ألي تقولون هذا؟! إنّه - إي الإمام الصادق(ع) إبنُ من خلَق رؤوسَ من ترون - أي الحجاج - وأومأ بيده إلى أهل الموسم[1].

٩ - الصّمود أمام الجبابرة:

لم يستسلم الإمام الصادق(ع) أمام طاغوت زمانه «المنصور الدّوانيقي» أبداً. ولم يؤيد خلافته وحكومته، بل كان يستغل الفرص المناسبة ويتحدّث عن إعماله وجرائمه.

(١) إرشاد المفيد: ج٢، ص ١٩٣ - ١٩٤ ملخصاً.

قدم المنصور الدّوانيقي في سنة «١٤٧ هـ ق» إلى الحجاز لأداء مناسك الحج، وبعد إتمامه لمناسك الحج سافر إلى المدينة. فأمر وزيرَه الرّبيعَ أن يبعث إلى جعفرِ الصادق(ع) وقال للربيع: إبعث إلى جعفر بن محمد(ع) من يأتينا به متْعَباً، قتلني الله إن لم أقتُلْه.

فجاءوا بالإمام الصادق(ع) إلى المنصور، فَقبل أن يُدْخلَ عليه قال الربيع للإمام(ع): يا أبا عبد الله أذكر الله فإنه قد أرسل إليك بما لا دافعَ له غير الله.

فقال الإمام(ع): لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله.

ثم إن الربيع أعلم المنصورَ بحضور الإمام(ع) فلما دخل الإمام الصادق(ع) عليه أوعده وأغلط له وقال: أي عدوّ الله إتخذَك أهل العراق إماماً، يجبون إليك زكاة أموالِهم، وتُلْحِدُ في سلطاني وتبغيه الغوائل، قتلني الله إن لم أقتلك.

فقال له الإمام الصادق(ع): وإن سليمَان(ع) أُعْطِيَ فَشكر، وإن أيوب إبتليَ فصبر، وإن يوسف ظُلِمَ فغفر، وأنت من ذلك السّنخ.

فهدأ المنصور الدّوانيقي لما سمع هذه الكلمات وتغير رأيه، فجلّل الإمام(ع) وأحترمه وأمر وزيره الربيع أن يرافق الإمام(ع) إلى داره مكرّماً معزّزاً.

قال الربيع: فلحقت الإمام الصادق(ع) فقلت: إني قد رأيتُ قبلك ما لم تره ورأيت بعدك ما لا رأيته فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت؟ وعاملك معاملة حسنة فما كنت تقول حين دخلت عليه؟

قال: قلت: «اللَّهُمَّ أحْرُسنِي بِعَيْنِكَ التي لا تنام، واكنِفْني بِرُكنِكَ الذي لا يُرامُ»(١).

(١) أقتبس من أعيان الشيعة: ج١، ص ٦٦٦.

١٠ - الإمام الصادق(ع) يوصي بالصّلاة وصلة الرحم:

تحقّق للمنصور في نهاية الأمر ما أراده من قتل الإمام الصادق(ع) بواسطة أياديه المشبوهة المجرمة وذلك في سمّ جعله في عنقود عنب، فاستشهد الإمام(ع) أثر ذلك السّم.

ولكنه سلام الله عليه ترك من بعده ثروةً علمية عظيمة وأسس حوزته العلمية الخالدة، تربى فيها أربعة آلاف تلميذ من أصحابه أمثال زرارة الذي حفظ من الإمام(ع) آلاف الأحاديث.

وكان زرارة بن أعين(رحمها الله) أحد تلاميذه وقد تعلم من الإمام آلاف الأحاديث.

وعندما حضره(ع) الموت أوصى بأمرين ١ - الصلاة / ٢ - صلة الأرحام.

هنا ألفت نظركم إلى هاتين الحكايتين.

١ - عن أم حبيبة جارية الإمام الصادق(ع) قالت: لما حضرته الوفاة فتح عينيه وقال(ع): «اجمعوا لي كلّ من بيني وبينه قرابة».

قالت: فلم نترك أحداً إلا جمعناه، فنظر إليهم ثم قال(ع): «إن شفاعَتنا لا تنالُ مُسْتَخِفاً بالصلاة».

٢ - وقالت جارية أخرى للإمام الصادق(ع) يقال لها سالمة: كنت عند أبي عبد الله(ع) حين حضرته الوفاة فأُغمي عليه فلما أفاق قال: أعطوا الحسن بن علي بن الحسين(ع) وهو «الأفطس» سبعين ديناراً، وأعطوا فلاناً كذا وكذا وفلاناً كذا وكذا فقلت أتعطي رجلاً حمل عليك بالشّفرة (أي تريد أن يقتلك).

فقال: وَيْحَكِ أما تقرئين القرآن؟

قلت: بلى

قال(ع): أما سمعت قول الله عزّ وجلّ.

﴿والذينَ يَصِلُونَ ما أمَرَ الله بِهِ أن يُوصَلَ ويَخْشَونَ رَبَّهم ويَخافُون سوءَ الحساب ... أولئك لهم عُقْبَى الدار﴾(١).

أتريدين عليَّ أن لا أكون من الذين قال الله تعالى فيهم هذه الآية.

نعم يا سالمة أن الله تعالى خَلَقَ الجنة وطيّبها وطيّب ريحها، وأن ريحها لتوجد من مسيرةِ ألفي عام، ولا يجد ريحها عاقٌ ولا قاطع رَحِمٍ(٢).

١٠ - ما العلم؟

قال أبو عبد الله الصادق(ع): جاء رجل إلى رسول الله(ص)، فقال: يا رسول الله، ما العلم؟

قال(ص): الإنصات.

قال: ثمّ مه؟

قال (ص): الاستماع.

قال: ثمّ مه؟

قال(ص): الحفظ.

قال: ثمّ مه؟

(١) الرعد: ٢١.

(٢) فروغ الكافي: ج٧، ص ٥٥.

قال (ص):العمل به.

قال: ثمّ مه، يا رسول الله؟

قال(ص): نشره(١).

فاسألوا أهل الذكر

عرض حمزة بن الطيّار على الإمام أبي عبد الله الصادق(ع) بعض خطب أبيه - الإمام الباقر(ع) - حتى إذا بلغ موضعاً منها قال(ع) له: كفّ واسكت.

ثمّ قال أبو عبد الله(ع): لا يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون إلا الكفّ عنه، والتثبت والردّ على أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد -الصراط الحقّ- ويجلّوا عنكم فيه العمى-والضلالة-ويعرّفوكم فيه الحقّ. قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(٢).

علم الكتاب كلّه عندنا

قال سدير الصيرفي - وهو من أصحاب الإمام الصادق(ع): كنت أنا و أبو بصير، ويحيى البزّار، وداود بن كثير، في مجلس أبي عبد الله(ع) إذ خرج إلينا وهو مغضب.

فلمّا أخذ مجلسه، قال(ع): يا عجباً لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عزّ وجلّ. فمن أين لي العلم بالمغيبات؟. لقد هممت بضرب جاريتي فلانة، فهربتْ مني، فما عملت في أي بيوت الدراهي ؟

قال سدير: فلما قام من مجلسه وصار في منزله، دخلت أنا، وأبو بصير، وميسّر،

(١) ج١:٤٨(٩٩)ح٤.

(٢) النحل: ٤٣،الانبياء٧. / ج١:٥٠(١٠٢)ح١٠.

وقلنا له: جُعِلنا فداك، سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك، ونحن نعلم أنّك تعلم علماً كثيراً، ولا ننسبك إلى علم الغيب.

فقال(ع): يا سدير ألم تقرأ القرآن قلت: بلى.

فقال(ع): فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ:

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(١).

قلت: جعلتُ فداك، قد قرأته.

قال(ع): فهل عرفت الرجل - آصف بن برخيا وزير النبي سليمان(ع)-؟

وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟

قلت: أخبرني به.

قال(ع): قد قطرة من الماء في البحر الاخضر، فما يكون ذلك من علم الكتاب؟

قلت: جعلت فداك، ما أقلّ هذا؟

فقال(ع): ما أكثر هذا أن ينسبه الله عز وجل إلى العلم الذي أخبرك به. يا سدير، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجلّ أيضاً:

﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدِهُ عِلْمُ الكِتَابِ﴾(٢).

قلت: قد قرأته، جعلتُ فداك.

قال(ع): أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم، أم من عنده علم الكتاب بعضه؟

قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كله.

---

(١) سورة النمل، الآية ٤٠.

(٢) سورة الرعد، الآية ٤٣.

فأومأ(ع) بيده إلى صدره، وقال: علم الكتاب والله كله عندنا، علم الكتاب والله كله عندنا[١].

اقول: لعلّ ثمّة أحد من المخالفين حاضر في المجلس الاول الذي خرج عليهم الامام أبو عبد الله الصادق(ع) بحالة الغضب فأتقى منهم تقية، وأما في المجلس الثاني، الّذي خلا فيه الامام مع أصحابه المخلصين، فأخبرهم بالحقيقة بأن الله عز وجل قد وهب الأئمة(ع) علم الغيب كما وهب آصف بن برخيا من قبل في حين أن علم آصف الى علمهم قدر قطرة من البحر.

ولاية الفقيه

قال عمر بن حنظلة: سألت أبا عبد الله الصادق (ع) عن رجلين من أصحابنا، بينهما منازعة في دَيْنٍ أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان، وإلى القضاة - الّذين نصبهم أئمة الجور - أيحل ذلك؟

قال(ع): مَن تحاكم إليهم في حقّ أو باطل فإنما يتحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ شحتاً، وإن كان حقاً ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾[٢].

قلت : فكيف يصنعان - هذان المتنازعان -؟

قال(ع): ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخفّ بحكم الله وعلينا ردّ.

(١) ج١ : ٢٥٧(٣١٢)ح٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٦٠.

والراد علينا الرادّ على الله، وهو على حد الشرك بالله.

قلت: فإن كان كل رجل اختار رجلاً من أصحابنا، فرضيا أن بكون الناظرين في حقهما، واختلفا فيما حكما، وكلاهما اختلفا في حديثكم، فما يصنعان؟

قال(ع): الحكم ما حكم به أعدلهما، وأفقههما، وأصدقهما في الحديث، وأورعهما، ولا يلتفت إلى ما يحكم به الآخر(١).

إذن فما الدليل عليه؟

كان عصر الامام الصادق(ع) ثنويّ يعتقد بإلهين اثنين إله الخير وإله الشرّ، فدخل يوماً على الإمام الصادق(ع) ليحاوره ويدافع عن عقيدته وإثبات الصحة اعتقاده.

وكان من قول أبي عبد الله (ع) للثنويّ: لا يخلو قولك إنهما اثنان:

١ - من أن يكونا قديمين قويّين.

٢ - أو يكونا ضعيفين.

٣ - أو يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً، فإن كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه، ويتفرّد بالتدبير وإن زعمت أن أحدهما قويّ والآخر ضعيف، ثبت أنه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني - لأن النظم المتقن في الوجود يدل على وجود حاكم قويّ واحد - وهذا ما نعتقده نحن -.

فإن قلت: إنهما اثنان لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مفترقين من كل جهة، فلمّا رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، والتدبير واحداً، والليل والنهار،

(١) ج١: ٦٧(١٢١)ح١٠ وأخرجه الحر العاملي في وسائل الشيعة ١٨: ٩٨، كتاب القضاء باب ١١ح١ وهذا الحديث مشهور عند علمائنا بمقبولة عمر بن حنظلة.

والشمس والقمر، دل صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر، على أنّ المدبّر واحد.

ثمّ يلزمك إن ادعيت اثنين فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنين، فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة، فإن ادّعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين حتى تكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة.

قال هشام: فكان من سؤال الزنديق - بعد أن ايقن ببطلان العقيدة الثنوية - أن قال: فما الدليل عليه؟

فقال أبو عبد الله(ع): وجود الأفاعيل دلّت على أنّ صانعاً صنعها، الا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبنى، علمت أن له بانياً، وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده؟

قال: فما هو؟

قال(ع):شيء بخلاف الأشياء، ارجع بقولي إلى إثبات معنى، وإنه شيء بحقيقة الشيئية، غير أنه لا جسم ولا صورة، ولا يُحَسّ ولا يُجَسّ، ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصة الدهور، ولا تغيره الأزمان[1].

لم أعبد رباً لم أره

قال الصادق(ع): جاء حبر إلى أمير المؤمنين(ع) فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك حين عبدته؟

قال(ع): ويلك، ما كنت أعبد رباً لم أره.

فقال: يا أمير المؤمنين، كيف رأيته؟

(١) ج١ : ٨٠(١٣٦)ح٥.

قال (ع): ويلك يا ذِعْلِب، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان(١).

والله إنّه لهو الصادق

روى الخزّاز القميّ بسنده عن محمد بن مسلم قال: كنت عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر(ع) إذ دخل جعفر ابنه وعلى رأسه ذؤابة وفي يده عصا يلعب بها، فأخذه الباقر (ع) وضمه إليه، ثم قال: بأبي أنت وأمي لا تلهو ولا تلعب.

ثم قال لي: يا محمد هذا إمامك بعدي فاقتدي به واقتبس من علمه، والله إنه لهو الصادق الذي وصفه لنا رسول الله (ص) وانّ شيعته منصورون في الدنيا والآخرة، وأعداءه ملعونون في الدنيا والآخرة على لسان كل نبي. فضحك جعفر (ع) واحمرّ وجهه، فالتفت إليّ أبو جعفر وقال لي: سله.

قلت له: يا بن رسول الله، من أين الضحك؟

قال: يا محمد العقل من القلب، والحزن من الكبد، والنفس من الرئة، والضحك من الطحال.

فقمت وقبّلت رأسه(٢).

(١) ج١:١٣٨(١٨٧)ح٤.
(٢) كفاية الأثر، ص٢٥٣.

المعصوم التاسع

الإمام السابع

موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)

هويّة المعصوم التاسع
الإمام السابع
موسى الكاظم(ع)

الاسم: موسى(ع).

ألقابه المشهورة: العبد الصالح، الكاظم، باب الحوائج، الصابر، الأمين، أبو الحسن الأول، أبو إبراهيم.

الأب والأم: الإمام الصادق(ع) وحميدة(ع).

تاريخ ومحل الولادة: ولد(ع) في فجر يوم الأحد «٧» صفر سنة «١٢٨ هـ ق» في قرية (الأبواء) الواقعة بين مكة والمدينة.

تاريخ ومحل الشهادة: استُشهِد(ع) بدسيسة من هارون الرشيد بالسم في «٢٥» رجب سنة «١٨٣ هـ ق» عن عمر ناهز «٥٥» سنة.

مرقدة الشريف: الكاظمية قرب بغداد.

أدوار حياته الشريفة:

تنقسم أدوار حياته الشريفة إلى قسمين:

١ - قبل إمامته من سنة «١٢٨ هـ » إلى «١٤٨ هـ» «٢٠» سنة تقريباً.

٢ - مدة إمامته من سنة «١٤٨ هـ » إلى «١٨٣ هـ » «٣٥» سنة تقريباً.

خلفاء عصر إمامته:

١ - المنصور الدوانيقي. ٢ - المهدي العباسي. ٣ - الهادي العباسي. ٤ - هارون الرشيد، وكانت أكثر أيامه في عصر خلافة هارون. - خامس خلفاء بني العباس - ما يقارب «١٥» سنة وفي هذا العصر قضى أكثر حياته في الزّنزانات المختلفة.

وكانت عشر سنوات من إمامته في عصر خلافة المنصور الدوانيقي، وعشر سنوات في عصر خلافة المهدي العباسي.

١ - عظمة الإمام الكاظم(ع) عند إمام المذهب الحنفي:

عن أبي حنيفة إمام المذهب الحنفي قال: أردت أن أسأل جعفرَ الصادق عن مسألة القضاء والقدر، فَدَخَلْتُ دارَه فرأيت موسى بن جعفر - الإمام الكاظم(ع) - وهو صغير السن في دهليز دار أبيه فقلت في نفسي: إن هؤلاء يدعون وراثة العلم عن رسول الله، لا ختبرنَّه، فقلت له: أين يُحْدِثُ الغريبُ منكم إذا أراد ذلك - أي قضاء الحاجة - فنظر إلي ثم قال: «يتوارى خَلْفَ الجِدارِ، ويَتوقّى أعيُن الجار، ويَتَجنّب شطوط الأنهار ومسامِطَ الثِّمار، وأفْنِيَة الدّور والطرق النافذة والمساجد ولا يَسْتَقْبِلُ القبلة ولا يَسْتَدْبِرُها، ويرفعُ ويضعُ بعد ذلك حيثُ شاء».

فلما سمعت هذا القول الحكيم والبيان الجميل منه نُبل في عيني، وعظم في قلبي، ووجدته فيه ذكاء خارقاً فقلت له: جُعِلْتُ فداك فممّن المعصية[1] (أي حينما يرتكب الإنسان معصية فمن العامل لمعصيته؟).

فقال الإمام الكاظم(ع): المعصية لا تكاد تخرج عن ثلاث حالات:

١ - من العبد. ٢ - من الله. ٣ - أو منهما.

فإن قلنا من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبدَه ويأخذَه بما لم يفعله.

وإن كانت المعصية منهما فالله تعالى شريك العبد والله سبحانه أقوى من عَبْده والقوي أولى بإنصاف الضعيف (وأن الله وعد العاصي بالعقوبة.)

وإن كانت المعصية من العبد وحده فعليه جاز أن يصدر الأمر إليه وتوجه النهي له، وله حق الثواب والعقاب ووجبت الجنة والنار.

فبقي أبو حنيفة مبهوتاً لهذا الاستدلال والبرهان المنطقي فقال له:

«ذريةٌ بَعْضُها من بعضٍ والله سميع عليم»[2].

يعني هذه زهرة من شجرة النبوة ورسالة الطيبة حيث ينطق بهذه الحكمة[3].

٢ - قضاء حاجة المؤمن:

عن محمد بن عبد الله البكري قال: قدمتُ المدينة ونَفَذَ عندي ما كنت أملكه من النقود فتحيرت كثيراً إلى من التجئ فعزمت أن أطلبه بها ديناً فقلت في نفسي: لو ذهبت إلى دار الإمام موسى الكاظم(ع) فشكوت إليه حالي.

(١) نظراً إلى رأي أبي حنفية القائل: إن الأعمال بيد الله، ونحن مجبرون عليها لا مختارين لها.
(٢) آل عمران / ٣٤.
(٣) مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص ٣١٤.

فأتيت الإمام(ع) في مزرعته الواقعة في قرية «نُقْمي»[١] من نواحي المدينة المنورة فخرج إليّ الإمام(ع) واستقبلني وتلطف عليّ كثيراً ثم أمر بإحضار المائدة فأكل وأكلتُ معه ثم سألني عن حاجتي، فذكرت له قصتي.

فدخل الإمام الكاظم(ع) ولم يمكث إلا يسيراً حتى خرج إليّ فقال لغلامه: «إذهب» (أراد الإمام(ع) أن لا يرى الخادم ذلّ السؤال في وجه السائل).

ثم مد(ع) يَده إليّ فدفع إلي صُرّة فيها ثلثمائة دينار. وتركني متوجهاً إلى داره، فقمت أنا وركبت دابتي ورجعت إلى المدينة[٢].

وبهذه الصورة استطاع هذا المؤمن المحتار أن يجهز لنفسه الزّاد والراحلة وعاد إلى أهله مسروراً.

٣ - نموذج من أخلاق الإمام الكاظم(ع):

كان أحدُ أحفاد عمر بن الخطاب رجلاً مبغضاً ومعادياً للإمام الكاظم(ع) في المدينة وكان كلما التقى بالإمام في الأزقة والطرقات يؤذي الإمام(ع) ويشتم علياً(ع) فقال له بعض أصحابه وحاشيته: دعنا نقتل هذا الرجلَ.

فنهاهم الإمام(ع) وحذرهم من أن يقدموا على عمل كهذا أو يخطر ببالهم، ثم سألهم(ع): عن العُمَري أي يسكن ويمكن اللقاء به.

فقيل له: إنه يزرع بناحية من نواحي المدينة.

فركب الإمام(ع) حمارَه متوجهاً إلى مزرعة العمري فوجده في زرعه فدخل المزرعة

---

(١) نقمي: موضع من ريف المدينة المنورة كان لآل أبي طالب(ع) «معجم البلدان: ج٥ / ٣٠٠.»

(٢) أرشاد المفيد: ج٢، ص ٢٣٢.

بحماره فصاح به العُمري:

لا تطأ زرعنا، فوطأ الإمام الكاظم(ع) بالحمار على زرعه حتى وصل إليه فنزل وجلس عنده وباسطه وضاحكه وسأله عن حاله وصحته ثم قال له: كم غَرُمْتَ في زرعك هذا؟

قال العمري: مائة دينار.

قال الإمام(ع): وكم ترجو أن تصيب؟ أي تربح.

قال العمري: لست أعلم الغيب.

قال الإمام(ع): إنما قلت لك: كم ترجو.

فقال العمري: أرجو أن أحصل على ثلاثمائة دينار.

فأخرج الإمام الكاظم(ع) صرةً فيها ثلاثمائة دينار وقال: هذا ثمن ما ترجوه من زرعك، وزَرْعُك لك، والله يرزقك فيه ما ترجو، فتأثر العمري من هذا الخلق الكريم فقام فقبّل رأس الإمام(ع) وسأله أن يصفح عن ذنبه وتقصيره.

فتبسم الإمام(ع) وانصرف من عنده، فمضت أيام على هذه الحكاية حتى ورد الإمام(ع) يوماً إلى المسجد وكان العمري جالساً فيه فلما نظر إلى الإمام الكاظم(ع) قال: «الله أعْلَمُ حيث يَجْعَلُ رِسالَتَهُ».

فوثب إلى العمري أصحابه فقالوا له: ما قصتك؟ فقد كنت تقول غير هذا، وكنت تؤذيه واليوم تحترمه؟

قال لهم العمري: قد سمعتم ما قلت الآن، وجعل يدعو للإمام الكاظم(ع) فطرحوا عليه أسئلة فأجابهم.

فقام الإمام(ع) وانصرف إلى داره قال لمن سألوه قتل العمري:

«أيما كان خيراً ما أردتُ أو ما أردتُمْ وإنني أصلحت أمرَه بالمقدار الذي عرفتم، وكفيت شره»[١].

٤ - الإمام الكاظم(ع) محطم الطواغيت:

لما سافر هارون الرشيد الطاغوتُ الأكبرُ لبني العباس إلى أداء مناسك الحج دخل المدينة ووقف إلى جانب المرقد الطاهر لرسول الله(ص). وقال مفتخراً ومتعالياً على الآخرين:

«السلام عليك يا ابن عمٍّ».

وكان الإمام الكاظم(ع) يرى هذا الخداع والتزييف من قبل هارون، فأراد أن يحطم طغيانه وكسر جبروته فتقدم نحو المرقد الطاهر فقال:

«السلام عليك يا أبَة»!.

وكأنه أراد أن يقول لهارون: إن كنت تفتخر على الناس بأنك إبن عم رسول الله(ص)، فأنا إبن رسول الله(ص).

فتغير وجهُ الرشيد وتبيَّن فيه الغضب[٢].

٥ - عقاب قاطع صلة الرحم:

كان علي بن أبي حمزة (ره) من أصحاب الإمام موسى الكاظم(ع) قال: قال لي أبو الحسن الكاظم(ع) مبتدءاً: يا عليُّ غداً يلقاك رجلٌ من أهل المغرب يسألك عني

(١) أرشاد المفيد: ج٢، ص ٢٢٢.
(٢) أعلام الورى: ص ٢٩٦.

فقل: هو والله الإمام الذي قال لنا أبو عبد الله الصادق(ع)، فإذا سألك عن الحلال والحرام فأجبه مني.

فقلت: جعلت فداك فما علامته؟

قال الإمام(ع): رجل طويلٌ جسيم يقال له: يعقوب بن يزيد، فإذا أتاك فلا عليك أن تجيبَه عن جميع ما سألك فإنه رائدُ قومِه، فإن أحب أن تدخله إليّ فأحضره عندي.

قال علي بن أبي حمزة (ره): فوالله إني لفي طوافي إذا أقبل إليَّ رجلٌ طويلٌ من أجسم ما يكون من الرجال فقال لي: أريد أن أسألك عن صاحبك.

فقلت: عن أي صاحب؟

قال يعقوب: عن موسى بن جعفر(ع).

قلت: ما إسمك؟

قال: يعقوب بن يزيد.

قلت: ومن أين أنت.

قال: رجل من أهل المغرب.

قلت: فمن أين عرفتني؟

قال: أتاني آت في منامي وقال لي:

ٱلْق عليَّ بن أبي حمزة فَسَلْهُ عن جميع ما تحتاج إليه، فسألتُ عنك فُدِللتُ عليكَ.

فقلت: إجلسْ في هذا الموضع حتى أفرَغَ من طوافي وآتيك إن شاء الله تعالى، فطفت ثم أتيتُه فكلمتهُ فوجدته رجلاً عاقلاً، ثم طلب إليّ أن أدخله على الإمام الكاظم(ع)، فأخذت بيده فاستأذنت على الإمام(ع) فأذَنَ لي.

فلما رآه الإمام الكاظم(ع) قال له: يا يعقوب بن يزيد قَدِمتَ أمس، ووقع بينك وبين أخيك شرٌ - نزاعٌ - في موضع كذا حتى شتم بعضُكم بعضاً، وليس هذا ديني ولا دين آبائي، ولا نأمرُ بهذا أحداً من الناس - شيعتنا - فاتقِ الله وحده لا شريك له، فإنكما ستفترقان عن قريب بموت - بسبب قطع صلة الرحم - أما إن أخاك سيموت في سفرهِ قبل أن يصل إلى أهله، وستندم أنت على ما كان منك، وذلك أنكما تقاَطَعتما فبتر الله أعماركما.

قال يعقوب: فأنا جُعِلتُ فداك متى أجلي؟

فقال الإمام(ع): أما إن أجلك قد حَضَر حتى وصلت عمتك بما وصلتها به في منزل كذا وكذا فزِيدَ في أجلك عشرون سنة.

قال علي بن أبي حمزة (ره): فلقيت يعقوبَ في العام المقبل حاجّاً فأخبرني أن أخاه لم يصل إلى أهله حتى دفنه في الطريق[١].

٦ - *هداية الفقير:*

ورد رجلٌ مسكينٌ إلى مجلس الإمام الكاظم(ع) وقال: مسكين أطلب سدَّ فاقتي، أطلب مائة درهم أجْعَلُها في بضاعة وأتعيَّش بها.

فاستقبله الإمامُ الكاظم(ع) بوجه باسم وقال له: أسألُك مسألةً فإن أصبتها أعطيتُك عشرةَ أضعاف ما طلبتَ.

فقال الرجل: سَلْ.

فقال الإمام الكاظم(ع): لو جُعِلَ إليك التّمنّي لنفسِك في الدنيا ماذا كنت تتمنى؟

(١) كشف الغمة: ج٣، ص ٥٢ - ٥٣.

قال الرجل: كنت أتمنى أن أُرْزَقَ التقيةَ في ديني وقضاء حقوق إخواني.

قال الإمام الكاظم(ع): ومالك لم تَسْأل الولايةَ لنا أهل البيت.

قال الرجل: ذلك أُعطيتُه وهذا لم أعطه، فأنا أشكر على ما أُعطيت، وأسأل ربي ما منعت.

فقال الإمام(ع): أحسنت أعطوه ألفي درهم (أعطاه الإمام عشرين ضعفاً مما طلب) وقال له: إصْرِفْها في العَفْص[1] فإنه قناعٌ يابس.

وفعل ما قال له الإمام الكاظم(ع): فتحسَّن حالهُ وعاش غنياً مسروراً[2].

٧ - الإمام الكاظم(ع) وعلو شأنه:

كان الإمام الكاظم(ع) ماراً بمِنى قربَ مكة ورأى امرأةً تبكي وصبيانُها حولَها يبكون وقد ماتّت لها بقرةٌ. فدنا الإمام(ع) منها وسألها: ما يبكيك يا أمة الله؟

قالت المرأة: يا عبد الله إن لي صبياناً يتامى وكانت لي بقرة منها معيشتي ومعيشة صبياني وقد ماتت وبقيتُ منقطعة بي وبولدي لا حيلة لنا.

فقال الإمام(ع): يا أمة الله هل لك أن أحييها لك؟ فألهمت أن قالت: نعم يا عبد الله.

فتنحى الإمام(ع) عنهم وصلى ركعتين، ثم رفع يده هنيئة وحرك شفتيه ثم قام فصاح بالبقرة فنخسها نخسة[3]. أو ضربها برجله، فاستوت على الأرض قائمة فلما

(١) العفص: مادة تأخذ من شجرة البلوط على شكل البندق - يستفاد منها في الأصباغ ودبغ جلود الحيوانات.
(٢) الأنوار البهية: ص ٢٩٢.
(٣) نخس الدابة غرز جنبها أو مؤخرها بعود ونحوه فهاجت.

نظرت المرأة إلى البقرة صاحت وقالت:

«عيسى بن مريم ورب الكعبة»

فاجتمع الناس ولما أزدحموا خرج الإمام من بيتهم ومضى إلى سبيله(ع)[١].

٨ - التواضع

مر الإمام موسى الكاظم(ع) برجل أسود دميم المنظر فسَلَّم عليه ونزلَ عنده وحادثه طويلاً ثم قال له: «إن كان لك حاجة أقوم بها قمت بها».

فقال شخص للإمام الكاظم(ع): «يا ابن رسول الله أتنزل إلى هذا، ثم تسأله عن حوائجه وهو إليك أحوج».

فقال الإمام الكاظم(ع): هذا الرجل عبد من عبيد الله وأخ في كتاب الله يعني أن الله جعله أخاً لي في القرآن الكريم - وجارى في بلاد الله يجمعنا وإياه خير الأباء آدم(ع)، وأفضل الأديان الإسلام، ولعل الدهر يرد من حاجتنا إليه فيرانا بعد الزهو متواضعين بين يديه ثم أنشد(ع) هذا الشعر:

نُواصِلُ من لا يستحق وصالنا   مخافة أن نبقى بغير صديق[٢]

٩ - كرم الإمام الكاظم(ع) للفلاح:

كان عيسى بن محمد بن مغيث القرطي فلاحاً مسناً في المدينة رُويَ إنه قال: زرعت بطيخاً وقِثّاءاً وقرعاً في مزرعتي في موضع بالجَوانيّة على بئرٍ يقال لها «أم غطام» فلما

(١) الأصول الكافي: ج١، ص ٤٨٤، (باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر(ع) الحديث ٦).
(٢) أعيان الشيعة: ج٢، ص ٧.

قَرُبَ الخيرُ واستوى الزرعُ، هجم الجرادُ وأتى على الزرع كله، وكنت غَرِمْتُ على الزرع ثمن جملين ومائة وعشرين ديناراً، فينما أنا جالس إذ جاءني الإمام الكاظم(ع) فسلم وقال: كيف حالك؟ وأين زرعتك؟

قلت: أصبحت كالصّريم، هجم الجراد فأكل زرعي.

قال الإمام الكاظم(ع): وكم غَرِمْتَ؟

قلت: مائة وعشرون ديناراً مع ثمن جملين.

قال الإمام الكاظم(ع) لغلامه: يا غرفة إعطِ لأبي الغيث مائَةَ وخمسين ديناراً فربحك ثلاثون ديناراً والجملان.

فقلت: يا مبارك أُدْخُلْ مزرعتي وادع لي كي تتبركَ الأرض بأقدامِك الميمونة فدخلَ الإمامُ(ع) ودعا له.

قال ابن الغيث: فعلفت الجملين وسقيته فجعل الله فيها البركة وزكت كثرتهما فبعت منهما بعشرة آلاف دينار[1].

١٠ - الإمام الكاظم(ع) والجارية الحسناء في السجن:

أعطى الإمام موسى الكاظم(ع) خلال أيام إمامته للأمور الاجتماعية والسياسية للأمة الإسلامية أهمية خاصة، وسعى دائباً في إنقاذ الأمة الإسلامية من ظلم الطواغيت، واسترجاع ما فقده من حقوقهم الشرعية، فتحمل هذا الإنسان الأبي مشاقاً كثيرة، وخاصة في أيام خلافة طاغية عصره هارون الرشيد حيث أمضى أكثر أيامه في السجون المظلمة وفي أشد الظروف وأقساها. حتى تجرع كأس الشهادة بأمر

(١) تاريخ الخطيب البغدادي، طبقاً لما أورده، أعيان الشيعة: ج٢، ص ٧.

مسموماً في سجن السندي بن شاهك.

ولما كان الإمام الكاظم(ع) ذلك السجن في بغداد أرسل هارون الرشيد جاريةً حسناء لها جمال وضّاء لتخدمه في السجن.

فرفض الإمام(ع) في الوهلة الأولى وقال للرسول: قل لهارون الرشيد.

«بل أنتم بهديّتِكُم تفرحون[1] لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالِها».

فرجع العامري وحكى قول الإمام(ع) لهارون الرشيد فاستطار هارون غضباً وقال: «إرجع إليه في السجن وقل لموسى بن جعفر(ع): ليس برضاك حبسناك ولا برضاك خدمناك واترك الجارية عنده وانصرف.»

وبهذه الصورة أقامت الجارية مع الإمام موسى الكاظم(ع) في السجن، وأنفذ هارون الرشيد جواسيسه يتسقطون أخبارَ الجارية، فوجدوها عندما لمست عظمة الإمام الكاظم(ع) المعنوية قد تأثرت به فأخذت تقضي أوقاتها في الصلاة.

ولما رآها جاسوس هارون ساجدةً لربها لا ترفع رأسها وهي تقول:

«قُدُّوسٌ، سُبحانَكَ سُبحانَكَ» رفع حكايتها إلى هارون الرشيد فقال هارون: سَحَرَها والله موسى بن جعفر بسحره، عليَّ بها.

فأتي بها وهي ترتعد شاخصةً ببصرها نحو السماء فقال لها هارون: ما شأنك.

قالت الجارية: شأني الشأن البديع إني كنت عنده واقفةٌ وهو قائم يصلي ليله ونهاره، فلما إنصرف من صلاته بوجهه وهو يسبح الله ويقدسه. قلت: يا سيدي هل لك حاجة أعطيكها؟

---

(١) النمل / ٣٦ - ورد هذا الكلام في القرآن عن لسان نبي سليمان(ع) لما أوتي بهدية ملكة لملكة سبأ، بلقيس التي كانت كافرة.

قال(ع): ما حاجتي إليك؟

قلت: إني أُدْخِلتُ عليك لحوائجك.

قال(ع): فما بال هؤلاء؟

فالتفت فإذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها من أولها بنظري ولا أولها من آخرها فيها مجالس مغروسة بالوشى والدّيباج وعليها وصايف لم أر مثل وجوههنَّ حسناً ولا مثل لباسهنَّ لباساً عليهنَّ الحرير الأخضر والإكاليل والدر والياقوت وفي أيديهنَّ الأباريق والمناديل ومن كل الطعام فخررت ساجدة حتى أقامني هذا الخادم.

فقال لها هارون: يا خبيثة لعلك سجدت فنمت فرأيت هذا في منامك؟

قالت: لا والله يا سيدي إلا قبل سجودي رأيت فسجدت.

فأمر هارون الرشيد أن يضعوها تحت مراقبة شديدة فلا يسمع منها أحد، فأقبلت على العبادة والصلاة حتى ماتت[1].

هذا المولود خير خلق الله جميعاً في زمانه!!

قال أبو بصير: حجبنا مع أبي عبد الله(ع) في السنة التي ولد فيها ابنه موسى(ع)، فلما نزلنا الأبواء - أحد المنازل بين مكة والمدينة وبها قبر آمنة بنت وهب أم النبي(ص) - وضع لنا - الإمام - الغداء، وكان إذا وضع الطعام لأصحابه أكثر وأطاب، فبينا نحن نأكل إذ أتاه رسول حميدة - زوجة الإمام الصادق(ع) وأم الإمام الكاظم - فقال له: إن حميدة تقول: قد أنكرت نفسي - أي تغيّرت - وقد وجدت ما كنت أجد إذا حضرت ولادتي، وقد أمرتني أنْ لا أستبقك بابنك هذا - حتى أعلمك -.

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص ٢٩٧.

فقام أبو عبد الله(ع) فانطلق مع الرسول، فلما انصرف - من عندها وعاد إلى أصحابه - قالوا له: سرّك الله وجعلنا فداك، فما أنت صنعت من حميدة؟

قال(ع): سلّمها الله، وقد وهب لي غلاماً، وهو خير من برأ وخلق الله في خلقه - في زمانه - ولقد أخبرتني حميدة عنه بأمر ظنّت أني لا أعرفه ولقد كنت أعلم به منها.

قال أبو بصير: جعلت فداك وما الذي أخبرتك به حميدة عنه؟

قال(ع): ذكرت - حميدة - أنه - أي الإمام الكاظم(ع) - سقط من بطنها حين سقط واضعاً يديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء، فأخبرتها أن ذلك أمارة رسول الله(ص) وأمارة الوصي من بعده.

قال أبو بصير: جعلت فداك وما هذا من أمارة رسول الله(ص) وأمارة الوصي من بعده؟

فقال(ع): إنه لما كانت الليلة التي علق فيها بجدي - الإمام السجاد(ع) - أتى آت جد أبي - الإمام الحسين(ع) - بكأس فيه شربة أرق من الماء، وألين من الزبد، وأحلى من الشهد، وأبرد من الثلج، وأبيض من اللبن، فسقاه إياه وأمره بالجماع فقام فجامع فعلق بجدي - الإمام السجاد(ع).

ولما أن كانت الليلة التي علق فيها بأبي - الإمام الباقر(ع) - أتى آت جدي - الإمام السجاد(ع) - فسقاه كما سقى جد أبي، وأمره بمثل الذي أمره فقام فجامع فعلق بأبي(ع)، ولمّا آن كانت الليلة التي علق فيها بي، أتى آتٍ أبي فسقاه بما سقاهم، وأمرهم به، فقام فجامع فعلق بي.

ولما أن كانت الليلة التي علق فيها بإبني، أتاني آت كما أتاهم ففعل بي كما فعل بهم، فقمت بعلم والله وإني مسرور بما يهب الله لي، فجامعت فعلق بإبني هذا المولود. فدونكم، فهو والله صاحبكم من بعدي، إن نطفة الإمام مما أخبرتك وإذا سكنت

النطفة في الرحم أربعة أشهر وأنشئ فيها الروح بعث الله تبارك وتعالى ملكاً يقال له حيوان فكتب على عضده الأيمن «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم»(١).

فإذا وقع من بطن أمه وقع واضعاً يديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء، فأما وضعه يديه على الأرض فإنه يقبض كل علم لله أنزله من السماء إلى الأرض وأما رفعه رأسه إلى السماء فإن منادياً ينادي به من بطنان العرش من قبل ربّ العزة من الأفق الأعلى باسمه واسم أبيه: يا فلان بن فلان أُثبت تُثَبّت فلعظيم ما خلقتك أنت صفوتي من خلقي، وموضع سري، وعيبة علمي، أميني على وحيي، وخليفتي في أرضي، لك ولمن تولاك أوجبت رحمتي، ومنحت جناتي، وأحللت جواري، ثمّ وعزّتي وجلالي لأُصلِيَنَّ من عاداك أشدّ عذابي، وإن وسعت عليه في دنياي من سعة رزقي.

فإذا انقضى الصوت - صوت المنادي - أجابه هو واضعاً يديه ورافعاً رأسه إلى السماء يقول: «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم»(٢).

فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الأول والعلم الآخر، واستحق زيارة الروح في ليلة القدر.

قال أبو بصير: جعلت فداك الروح ليس هو جبرائيل؟

قال أبو عبد الله(ع) الروح هو أعظم من جبرائيل، إن جبرائيل من الملائكة، وإن الروح هو خلق أعظم من الملائكة، أليس يقول الله تبارك وتعالى(٣): ﴿تنزّل الملائكة والروح﴾(٤).

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨.

(٣) سورة القدر، الآية ٤.

(٤) ج١: ٣٨٥ (٤٤٩) ح١.

هو عيسى ورب الكعبة!!

مرّ العبد الصالح - الإمام موسى الكاظم(ع) - بامرأة بمِنى وهي تبكي وصبيانها حولها يبكون، وقد ماتت لها بقرة، فدنا منها ثم قال لها: ما يبكيك يا أمة الله؟

قالت: يا عبد الله إنّ لنا صبياناً يتامى وكانت لي بقرة معيشتي ومعيشة صبياني كان منها، وقد ماتت وبقيت منقطعاً بي وبولدي لا حيلة لنا.

فقال(ع): يا أمة الله هل لك أن أحييها لك؟ فألهمت أن قالت: نعم يا عبد الله.

فتنحّى(ع) وصلّى ركعتين، ثم رفع يده هنيهة وحرّك شفتيه، ثم قام فصوّت بالبقرة فنخسها نخسة. أو ضربها برجله، فاستوت - البقرة - على الأرض قائمة، فلما نظرت البقرة صاحت وقالت: عيسى ابن مريم وربّ الكعبة. ففخالط الإمام(ع) الناس وصار بينهم ومضى(١).

إنه كان من المعارين!!

قال عيسى شلقان: كنت قاعداً، فمرّ أبو الحسن موسى(ع) - وهو طفل - ومعه بهمة - صغيرة الغنم - فقلت له: يا غلام ما ترى ما يصنع أبوك - الإمام الصادق(ع) -؟ يأمرنا بالشيء ثم ينهانا عنه، أمرنا أن نتولى أبا الخطاب - هو محمّد بن مقلاس الأسدي الكوفي - ثم أمرنا أن نلعنه ونتبرّأ منه؟

فقال أبو الحسن(ع) وهو غلام: إن الله خلق خلقاً للإيمان لا زوال له، وخلق خلقاً للكفر لا زوال له، وخلق خلقاً بين ذلك أعاره الإيمان يسمّون بالمعارين إذا شاء سلبهم، وكان أبو الخطّاب ممن أُعير الإيمان.

---

(١) ج١: ٤٨١ - ٤٨٤ (٥٥٤ - ٥٥٧) ح٥.

قال الشلقان: فدخلت على أبي عبد الله(ع) فأخبرته ما قلت لأبي الحسن(ع)، وما قال لي.

فقال أبو عبد الله(ع): إنه نبعة نبوّة - وإن كلام ابني نبع من هذه النبعة[1].

مالي إلى قتل هؤلاء سبيل!!

قال أبو أيوب النحوي: بعث إلي أبو جعفر المنصور العباسي في جوف الليل، فأتيته، فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب. فلما سلّمت عليه رمى بالكتاب إليّ وهو يبكي.

فقال لي: هذا كتاب محمد بن سليمان - والي المنصور على المدينة - يخبرنا أن جعفر بن محمد(ع) قد مات، فإنا لله وإنا إليه راجعون - ثلاثاً - وأين مثل جعفر؟ ثم قال لي: اكتب.

قال النحوي: فكتبت صدر الكتاب - إلى محمّد بن سليمان - ثم قال المنصور: اكتب إن كان - الصادق(ع) قد أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدمه واضرب عنقه قال النحوي: فرجع إليه الجواب أنه - أي الإمام الصادق(ع) - قد أوصى إلى خمسة، ١ - أبو جعفر المنصور. ٢ - محمد بن سليمان - والي المدينة. ٣ - عبد الله - ابن الإمام المعروف بالأفطح. ٤ - حميدة - زوجة الإمام الصادق(ع) وأم الإمام الكاظم(ع). ٥ - الإمام موسى الكاظم[2].

وفي رواية أخرى أن المنصور لما تسلّم رسالة واليه على المدينة قال: مالي إلى قتل

(١) ج٢: ٤١٨ (٢٩٧) ح٢.
(٢) ج١: ٣١٠ (٣٦٧) ح١٣.

هؤلاء سبيل[١].

والحق أن الإمام الكاظم(ع) هو الوصي الواقعي وإنما ذكر الإمام الصادق(ع) الأربع الأُخَر على سبيل التقية وعدم سلامة الأربع الأُخَر دون الإمام الكاظم(ع) حسب عقيدة شيعة أهل البيت(ع) واضح بيّن.

الإمام لا يلهو ولا يلعب!!

قال صفوان الجمّال: سألت أبا عبد الله(ع) عن صاحب هذا الأمر؟ - أي الإمام بعده.

فقال(ع): إن صاحب هذا الأمر - أي الإمام والخليفة والوصي - لا يلهو ولا يلعب.

وأقبل أبو الحسن موسى(ع) وهو صغير ومعه عناق مكية أنثى أولاد المعز التي لم تستكمل الحول - وهو يقول لها: أسجدي لربك.

فأخذه أبو عبد الله(ع) وضمّه إليه وقال: بأبي وأمي من لا يلهو ولا يلعب[٢].

لا يخفى أن العناق يتخذها الأطفال والصغار وسيلة للعبهم ولكن الإمام الكاظم(ع) تعامل معها على خلاف لعب الأطفال واتخذها وسيلة لذكر الله ويقول: اسجدي لربك.

حميدة في الدنيا محمودة في الآخرة!!

قال الإمام الصادق(ع) وهو يصف حميدة إحدى نسائه وأم الإمام الكاظم(ع): حميدة مصفّاة من الأدناس كسبيكة الذهب، ما زالت الملائكة تحرسها حتى أدّيت إليّ،

(١) المصدر ح ١٤.

(٢) المصدر ح١٥.

كرامة من الله لي والحجة من بعدي[١].

وأما قصة زواجه بها:

دخل ابن عُكّاشة - على وزن تُفّاحة - الأسدي على الإمام أبي جعفر الباقر(ع) وقال: لأي شيء لا تزوج أبا عبد الله(ع) فقد أدرك التزويج؟

وكان بين يدي الإمام الباقر(ع) صرّة مختومة. فقال(ع): أما إنه سيجيء نخّاس - بيّاع الرقيق والعبيد - من أهل بَرْبَرْ، فينزل دار ميمون، فنشتري له - أي للإمام الصادق(ع) بهذه الصرّة جارية.

قال ابن عكاشة: فأتى لذلك ما أتى - من الزمن -، فدخلنا يوماً على أبي جعفر(ع). فقال: ألا أخبركم عن النخاس الذي ذكرته لكم قد قدم فاذهبوا فاشتروا بهذه الصرة منه جارية.

قال ابن عكاشة: فأتينا النخاس.

فقال النخاس: قد بعت ما كان عندي إلى جاريتين مريضتين إحداهما أمثل من الأخرى - أي أفضل.

لنا: فأخرجهما حتى ننظر إليهما. فأخرجهما.

فقلنا: بكَمْ تبيعنا هذه المتماثلة - التي تقول أنها أفضل -.

قال: بسبعين دينار.

قلنا: أحسن - وخفّف -.

قال: لا أنقص من سبعين ديناراً.

قلنا له: نشتريها منك بهذه الصرة ما بلغت ولا ندري ما فيها.

(١) ج١: ٤٧٧ (٥٥٠) ح٢.

وكان عنده رجل أبيض الرأس واللحية. قال: فكّوا، وزنوا.

فقال النخاس: لا تفكّوا، فإنها إن نقصت حبة من سبعين ديناراً لم أبايعكم.

فقال الشيخ: أدنوا. فدنونا وفككنا الخاتم ووزنّا الدنانير، فإذا هي سبعين ديناراً، لا تزيد ولا تنقص، فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفر(ع) وجعفر الصادق(ع) قائم عنده، فأخبرنا أبا جعفر بما كان.

فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال لها: ما اسمك؟

قالت: حميدة.

فقال(ع): حميدة في الدنيا محمودة في الآخرة، أخبريني عنكِ أبِكْرٌ أنتِ أمْ ثيّب؟

قالت: بكر.

قال(ع): وكيف لا يقع في أيدي النخّاسين شيء إلا أفسدوه.

فقالت: سلط الله عليه رجل أبيض الرأس واللحية - فيحميني ويحرسني -.

فقال(ع): يا جعفر خذها إليك. فولدت خير أهل الأرض موسى بن جعفر(ع)[1].

بأبي أنت يا مستودع الأسرار

وعن محمد بن مسلم قال: دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله (ع) فقال له: رأيت ابنك موسى يصلي والناس يمرون بين يديه فلا ينهاهم وفيه ما فيه.

فقال أبو عبد الله (ع)، ادعوا لي موسى، فدعي، فقال له: يا بني، ان أبا حنيفة يذكر أنك كنت صليت والناس يمرون بين يديك فلم تنههم؟

(١) المصدر ح١.

فقال: نعم يا أبه ان الذي كنت أصلي له كان أقرب إليّ منهم، يقول الله عز وجل: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾(١).

قال: فضمه أبو عبد الله (ع) إلى نفسه، ثم قال: يا بنيّ بأبي أنت وأمي، يا مستودع الأسرار(٢).

ما منعك أن تسأل ابني؟

وعن محمد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن عيسى شلقان، قال: دخلت على أبي عبد الله (ع) وأنا أُريد أن أسأله عن أبي الخطاب، فقال لي مبتدئاً قبل أن أجلس: يا عيسى ما منعك أن تلقي ابني فتسأله عن جميع ما تريد؟

قال عيسى: فذهبت إلى العبد الصالح(ع) وهو قاعد في الكُتّاب وعلى شفتيه أثر المداد، فقال لي مبتدئاً: يا عيسى إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين على النبوة فلم يتحولوا عنها أبداً، وأخذ ميثاق الوصيّين على الوصيّة فلم يتحوّلوا عنها أبداً، وأعار قوماً الإيمان زماناً ثم يسلبهم إيّاه، وإنّ أبا الخطّاب ممّن أعير الإيمان ثم سلبه الله تعالى، فضممته إليّ وقبلتُ بين عينيه ثم قلتُ: بأبي أنت وأمّي ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم.

ثم رجعت إلى أبي عبد الله (ع)، فقال لي: ما صنعت يا عيسى؟

قلت له: بأبي أنت وأمّي أتيته فأخبرني مبتدئاً من غير أن أسأله عن جميع ما أردت أن أسأله عنه، فعلمت والله عند ذلك أنه صاحب هذا الأمر.

---

(١) سورة ق، الآية ١٦.

(٢) وسائل الشيعة، ج٣، ص٤٣٦، بحار الأنوار ج٤٨، ص١٧١.

فقال: يا عيسى ان ابني هذا الذي رأيت لو سألته عمّا بين دفّتي المصحف لأجابك فيه بعلمٍ.

ثم أخرجه ذلك اليوم من الكُتّاب فعلمتُ ذلك اليوم أنّه صاحب هذا الأمر(١).

أصبحت في كنف الله متقلّباً في رحمة الله

وفي الخرائج: أنّ داود بن كثير الرقّي قال: دخلت على أبي عبد الله(ع)، فدخل عليه ابنه موسى وهو ينتفض من البرد، فقال له أبو عبد الله(ع): كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في كنف الله متقلّباً في رحمة الله، أشتهي عنقود عنب جرشيّ ورمّانة خضراء.

قال داود: قلتُ: سبحان الله هذا الشتاء!!

فقال: يا داود ان الله تعالى قادر على كل شيء، أدخل البستان، فدخلته فإذا شجرة عليها عنقود من عنب جرشيّ ورمّانة خضراء.

فقلت: آمنت بسرّكم وعلانيتكم، فقطّعهما وأخرجهما إلى موسى فقعد يأكل فقال: يا داود والله لهذا فضل من رزق قديم، خصّ الله به مريم بنت عمران من الأُفق الأعلى(٢).

أذهب فغيّر اسم ابنتك

وعن إعلام الورى: روى محمد بن سنان، عن يعقوب السراج قال: دخلت على أبي عبد الله(ع) وهو واقف على رأس أبي الحسن وهو في المهد، فجعل يسارّه طويلاً فجلست حتى فرغ، فقمت، إليه فقال لي: ادن إلى مولاك فسلّم عليه.

(١) بحار الأنوار، ج٤٨، ص٢٤ و١١٦ بتفاوت.
(٢) الخرائج والجرائح، ج٢، ص٦١٧.

فدنوت فسلّمت عليه، فردّ عليّ بلسان فصيح، ثم قال لي: اذهب فغير اسم ابنتك التي سميتها أمس فإنه اسم يبغضه الله عزّ وجلّ، وكانت ولدت لي ابنة فسميتها بالحميراء.

فقال أبو عبد الله (ع): انته إلى أمره ترشد، فغيرت اسمها[1].

أمن بالحقّ لما عرفه!!

كان عبد الله بن هليل يقول بإمامة عبد الله بن جعفر الأفطح، فصار إلى العسكر - سامراء - فرجع عن ذلك - القول بإمامة عبد الله واستبصر -. فسأله أحمد بن محمد عن سبب رجوعه.

فقال: إن عرّضت لأبي الحسن(ع) أن أسأبه عن ذلك - الاعتقاد بإمامة عبد الله - فوافقني وصادفني في طريق ضيّق فمال نحوي حتى إذا حاذاني، أقبل نحوي بشيء من فيه فوقه على صدري فأخذته فإذا هو رقّ فيه مكتوب: ما كان هنالك ولا كذلك[2].

يعني أن الإمام أخبر عبد الله بن هليل عما كان يبطنه من إمامة عبد الله الأفطح فأخبر أنّ إمامته ليست صحيحة وليس في مقام تناله الإمامة والولاية.

أجوبة الإمام الكاظم(ع) عن أسئلة اليهود

روى معمّر بن خلاّد، عن الرّضا، عن أبيه موسى بن جعفر(ع) قال: كنت عند أبي يوماً وأنا طفل خماسي إذ دخل عليه نفر من اليهود، فقالوا: أنت ابن محمّد نبي هذه الأمّة والحجّة على أهل الأرض؟

قال لهم: نعم. قالوا: فإنّا نجد في التّوراة ان الله آتى إبراهيم وولده الكتاب والحكم والنّبوّة وجعل لهم الملك والإمامة، هكذا وجدنا ذرّية الأنبياء لا تتعداهم النّبوّة

(١) إعلام الورى، ص٢٩٥، وعنه بحار الأنوار، ج٤٨، ص١٩.
(٢) ج١: ٣٥٤ (٤١٦) ح١٤.

والخلافة والوصيّة فما بالكم قد تعداكم ذلك وثبت في غيركم ونلقاكم مستضعفين مقهورين لا ترقب فيكم ذمة نبيّكم؟! فدمعت عينا أبي عبد الله(ع) ثم قال: نعم، لم تزل أنبياء الله مضطهدة مقهورة مقتولة بغير حقّ، والظّلمة غالبة وقليل من عباد الله الشّكور.

قالوا: فإنّ الأنبياء وأولادهم عملوا من غير تعليم وأوتوا العلم تلقيناً وكذلك ينبغي لأئمتهم وخلفائهم وأوصيائهم فهل أوتيتم ذلك؟

قال أبو عبد الله(ع): ادن يا موسى، فدنوت فمسح يده على صدري، ثم قال: اللهم أيّده بنصرك بحقّ محمدٍ وآله. ثم قال: سلوه عمّا بدا لكم، قالوا: كيف نسأل طفلاً لا يفقه؟

فقلت: سلوني تفقهاً ودعوا العنت.

فقالوا: أخبرنا عن الآيات التّسع التي أوتيها موسى بن عمران.

قلت: العصا، وإخراجه يده من جيبه بيضاء والجراد والقمّل والضّفادع والدم ورفع الطّور والمنّ والسّلوى آية واحدة وفلق البحر.

قالوا: صدقت فما أعطي نبيّكم من الآيات التي نفت الشّك عن قلوب من أرسل إليه؟

قلت: آيات كثيرة أعدّها إن شاء الله فاسمعوا وعوا وافقهوا: أمّا أوّل ذلك فأنتم تدرون بأنّ الجنّ كانت تسترق السّمع قبل مبعثه، فمنعت في أوان رسالته بالرّجوم وانقضاض النّجوم وبطلان السّحرة والكهنة.

ومن ذلك: كلام الذئب بخبر نبوّته، واجماع العدوّ والصّديق على صدق لهجته وصدق أمانته، وعدم جهله أيّام طفوليته وحين أيفع وفتى وكهلاً، لا يعرف له شكل ولا يوازنه مثل.

ومن ذلك: أنّه كان دعا على مضر فقال: اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم كسنين يوسف. فأصابهم سنون، وعدّ معجزات كثيرة[١].

سلوا هذا الغلام

روي عن الرّضا، عن أبيه(ع) قال: كنت عند أبي يوماً وأنا طفل خماسي، إذ دخل عليه نفر من اليهود فسألوه عن دلائل رسول الله(ص) فقال لهم: سلوا هذا؟

فقال أحدهم: ما أعطي نبيكم من الآيات التي نفت الشك؟

قلت: آيات كثيرة، اسمعوا وعوا أنتم تدرون أن الجنّ كانت تسترق السّمع قبل مبعث نبيّ الله فمنعت في أوّل رسالته بالرّجوم وبطلان الكهنة والسّحرة. وأن أبا جهل أتاه وهو نائم خلف جدار ومعه حجر يريد أن يرميه، فالتصق بكفه. ومن ذلك كلام الذّئب وكلام البعير، وأن امرأة عبد الله بن مشكم أتته بشاة مسمومة، ومع النبي بشر بن البراء بن عازب فتناول النبي الذراع وتناول بشر الكراع، فأمّا النبي فلاكها ولفظها وقال: أنها لتخبرني أنها مسمومة وأمّا بشر فلاكها وابتلعها فمات، فأرسل إليها فأقرت.

قال: ما حملك على ما فعلت؟

قالت: قتلت زوجي وأشراف قومي.

فقلت: إن كان ملكاً قتلته وإن كان نبيّاً فسيطلعه الله على ذلك، وأشياء كثيرة فعدّها عليهم فأسلم اليهود وكساهم أبو عبد الله(ع) ووهب لهم[٢].

(١) الخرائج والجرائح، ج١، ص١١٥.
(٢) الخرائج والجرائح، ج٢، ص٥٠٨.

يا صفوان إنّه بلغ ما بلغه ذو القرنين

وفي البحار: عن البرسي، عن صفوان بن مهران قال: أمرني سيّدي أبو عبد الله(ع) يوماً أن أقدم ناقته إلى باب الدّار، فجئت بها، فخرج أبو الحسن موسى(ع) مسرعاً وهو ابن ست سنين، فاستوى على ظهر الناقة وأثارها وغاب عن بصري، قال: فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون وما أقول لمولاي إذا خرج يريد النّاقة؟

قال: فلمّا مضى من النّهار ساعةً إذا النّاقة قد انقضت كأنّها شهب وهي ترفض عرقاً، فنزل عنها ودخل الدّار فخرج الخادم وقال: أعد النّاقة مكانها وأجب مولاك، قال: ففعلت ما أمرني، فدخلت عليه.

فقال: يا صفوان إنما أمرتك بإحضار النّاقة ليركبها مولاك أبو الحسن.

فقلت في نفسي كذا وكذا، فهل علمت يا صفوان أين بلغ عليها في هذه الساعة؟

إنّه بلغ ما بلغه ذو القرنين وجاوزه أضعافاً مضاعفة، وأبلغ كلّ مؤمن ومؤمنة سلامي[1].

ذرّية بعضها من بعض

وفي المناقب، عن الإمام موسى بن جعفر(ع) قال: دخلت ذات يوم من المكتب ومعي لوحي قال: فأجلسني أبي بين يديه وقال: يا بُنّي اكتب:

تنحّ عن القبيح ولا تردّه، ثم قال: آجزه[2]، فقلت: ومن أوليته حسناً فزده، ثم قال:

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٨، ص٩٩.

(٢) قال الجوهري: الإجازة: إن تتم مصراع غيرك. الصّحاح، ج٢، ص٨٦٧.

ستلقى من عدوّك كلّ كيد، فقلت: إذا كاد العدوّ فلا تكده، قال: فقال: (ذريّة بعضها من بعض)[١].

جواب الإمام الكاظم إلى أبي حنيفة

وقال في الفصول المختارة: وأخبرني الشيخ أيّده الله أيضاً قال: قال أبو حنيفة: دخلت المدينة فأتيت جعفر بن محمد(ع) فسلمت عليه وخرجت من عنده فرأيت ابنه موسى في دهليز قاعداً في مكتب له وهو صبي صغير السن. فقلت له: يا غلام أين يحدث الغريب عندكم إذا أراد ذلك؟

فنظر إليّ ثم قال: يا شيخ اجتنب شطوط الأنهار ومسقط الثمار، وفيء النزال وأفنية الدور والطرق النافذة والمساجد، وارفع وضع بعد ذلك حيث شئت.

قال: فلما سمعت هذا القول منه نبل في عيني، وعظم في قلبي، فقلت له: جعلت فداك ممن المعصية؟

فنظر إليّ نظراً ازدراني به، ثم قال: اجلس حتى أخبرك، فجلست بين يديه فقال: إن المعصية لابد من أن تكون من العبد أو من خالقه أو منهما جميعاً، فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله، وإن كانت منهما فهو شريكه، والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف. وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر، وإليه توجه النهي، وله حق الثواب وعليه العقاب، ووجبت له الجنة والنار.

قال أبو جنيفة: فلما سمعت ذلك قلت: (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم)[٢].

(١) مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٣١٩، بحار الأنوار، ج٤٨، ص١٠٩.

(٢) الفصول المختارة، ص٤٣، والآية في سورة آل عمران /٤٣.

جواب آخر للكاظم[ع]

وعن الديلمي: روي عن أبي حنيفة أنه قال: أتيت الصادق(ع) لأسأله عن مسائل فقيل لي: أنه نائم، فجلست أنتظر انتباهه، فرأيت غلاماً خماسياً أو سداسياً جميل المنظر ذا هيبة وحسن سمت، فسألت عنه، فقالوا هذا موسى بن جعفر. فسلمت عليه وقلت له: يا بن رسول الله ما تقول في أفعال العباد، ممن هي؟

فجلس ثم تربع وجعل كمه الأيمن على الأيسر وقال: يا نعمان قد سألت فاسمع، وإذا سمعت فعه، وإذا وعيت فاعمل.

أن أفعال العباد لا تعدو من ثلاث خصال: أما من الله على انفراده، أو من الله والعبد شركة، أو من العبد بانفراده، فإن كانت من الله على انفراده فما باله سبحانه يعذب عبده على ما لم يفعله مع عدله ورحمته وحكمته! وان كانت من الله والعبد شركة فما بال الشريك القوي يعذب شريكه على ما قد شركه فيه وأعانه عليه ثم قال: استحال الوجهان يا نعمان؟

فقال: نعم.

فقال له: فلم يبق إلا أن يكون من العبد على انفراده. ثم أنشأ يقول:

لم تخل أفعالنا اللاتي نذمّ بها   إحدى ثلاث خصال حين نبديها
إما تفرّد بارينا بصنعتها   فيسقط اللوم عنا حين نأتيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه   ما كان يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنايتها   ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها[1]

---

(١) أعلام الدّين للدّيلمي، ص٣١٨، وعنه البحار، ج٤٨، ص١٧٥.

المعصوم العاشر

الإمام الثامن

علي بن موسى الرضا (عليه السلام)

هويّة المعصوم العاشر
الإمام الثامن
علي بن موسى الرضا(ع)

الاسم: علي(ع).

ألقابه المشهورة: الرضا، الصابر، الرضي، الوفي.

الكنية: أبو الحسن.

الأب والأم: الإمام موسى الكاظم(ع)، نجمه(ع).

تاريخ ومحل الولادة: ولد(ع) في المدينة يوم الخميس «١١» من ذي القَعْدة سنة «١٤٨ هـ ق».

تاريخ ومحل الشهادة: استُشهد(ع) في سناباد نوقان (اليوم حي من أحياء مدينة مشهد المقدسة) في آخر صفر سنة «٢٠٣ هـ ق» بيد المأمون العباسي مسموماً.

مرقده الشريف: مشهد المقدسة (إحدى المدن الإيرانية الكبيرة).

أدوار حياته في ثلاث مراحل:

١ - قبل إمامته «٣٥» سنة (من ١٤٨ هـ ق إلى ١٨٣ هـ ع)

٢ - أيام إمامته «١٧» سنة في المدينة.

٣ - أيام إمامته «٣» سنوات في خراسان عند المأمون وكانت أصعب أدوار حياته(ع) الاجتماعية والسياسية في هذه السنوات الثلاث.

طواغيت عصره هم:

١ - هارون الرشيد. ٢ - محمد الأمين. ٣ - عبد الله المأمون. أمضى(ع) عشر سنوات من عمره الشريف في عصر هارون الرشيد، وخمس سنوات في عصر خلافة محمد الأمين، والخمس السنوات الأخيرة في عصر خلافة المأمون.

١ - *اللقاء بالطاغوت معصية:*

قدم شخصان إلى خراسان فدخلا على الإمام علي الرضا(ع) وسألاه: نحن جئنا من بلد كذا هل نصلّي تماماً أم قصراً؟

قال الإمام(ع) أم لأحدهما: وجب عليك أن تَقْصَرُ لأنك قَصَدْتَني، وقال للأخر: وجب عليك التمام (مع أنهما قد أتيا من بلد واحد، دون أن يختلف حد السفر عندهما، فتعجبوا من جواب المسألة واختلافهما).

وأضاف الإمام(ع) للذي قال له أن يتم صلاته: لأنك قَصَدْتَ السلطان (المأمون الظالم) فسفرك سفر معصية، ومن كان سفره سفر معصية عليه أن يتم صلاته.

وبهذه الصورة كان الإمام(ع) يحذر الناسَ من الحاكم الظالم حتى في ذكر المسائل الشرعية(١).

٢ - الإمام الرضا(ع) ولجوء العصفور إليه:

عن سليمان الجعفري(ره) قال: كنت مع الإمام علي الرضا(ع) في بستانٍ له إذ جاء عصفور فوقع بين يديه وأخذ يصيح ويكثر الصياحَ ويَضْطرب.

فقال لي الإمام(ع): يا فلان أتدري ما يقول هذا العصفور؟

قلت: الله ورسوله وابن رسولهِ أعلم.

قال الإمام(ع): إنها تقول إن حية تريد أكل فراخي في البيت، فَقُمْ فخُذْ تلك النبعَة وأدخل البيت واقتل الحية.

قال الجعفري (ره): فأخذت النبعة وهي العصا، ودخلت البيت فإذا بحيةٍ تجول في البيت فقتلتها. وحفظت فراخ العصفور من شرِّ العدو(٢).

٣ - من هو الشيعي:

لما كان الإمام علي الرضا(ع) في خراسان، جاء إلى داره جَمْعٌ من الشيعة من البلاد البعيدة يريدون زيارَته. فدخل عليه خادمهُ وقال: إن قوماً بالباب يستأذنون عليك يقولون نحن شيعة علي(ع).

فقال الإمام(ع): أنا مشغول، فاصْرِفهم.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٥، ص ٥١٠.

(٢) كشف الغمة: ج٣، ص ١٤٠.

فخرج الخادم إليهم وقال لهم: أن الإمام مشغول انصرفوا فلما كان اليوم الثاني صرفهم أيضاً، واستمروا على هذه الحال شهرين حتى يئسوا من الوصول إليه فقالوا للحاجب: «قل لمولانا إنا شيعة أبيك علي بن أبي طالب(ع) وقد شمت بنا أعداؤنا في احتجابك عنا، فنحن ننصرف هذه المرة ونهرب من بلدنا خجلاً وأنفة مما لَحِقَنا، وعجزاً عن احتمال مضض ما يلحقنا من شماتة الأعداء».

فأبلغ الحاجب كلامهم إلى الإمام الرضا(ع).

فقال الإمام الرضا(ع): إئذن لهم ليدخلوا.

فدخلوا عليه فسلموا عليه فلم يرد عليهم ولم يأذن لهم بالجلوس، فبقوا قياماً فقالوا:

«يا ابن رسول الله ما هذا الجفاءُ العظيم والاستخفافُ بعد هذا الحجاب الصعب؟ أي باقية تبقى منا بعد هذا؟

فقال الإمام(ع): اقرؤا الآية «٣٠» من سورة الشورى.

«وما أصَابَكُم من مُصِيبةٍ فَبِمَا كَسَبَت أيديكم، ويَعفُو عن كَثيرٍ».

ما اقتديت إلا بربي عزّ وجلّ فيكم، وبرسول الله وبأمير المؤمنين ومن بعده من آبائي الطاهرين(ع)، عتبوا عليكم فاقتديت بهم.

قالوا: لماذا يا ابن رسول الله؟

قال الإمام الرضا(ع): لدعواكم أنكم شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) (وهذه دعوى كاذبة فهي عليكم).

«ويحكم إنما شيعته - أي أمير المؤمنين(ع) - الحسن والحسين وأبو ذر وسلمان

والمقداد وعمار ومحمد بن أبي بكر الذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره، ولم يركبوا شيئاً من فنون زواجره، فأما أنتم إذا قلتم إنكم شيعته، وأنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون مقصرون في كثير من الفرائض، متهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، وتتقون حيث لا يجب التّقيّة، وتتركون التقية حيث لا بد من التقية، فلو قلتم إنكم موالوه ومحبوه، والموالون لأوليائه، والمعادون لأعدائه، لم أنكره من قولكم ولكن هذه مرتبة شريفة ادعيتموها إن لم تصدّقوا قولكم بفعلكم هلكتم إلا أن تتداركّكم رحمة من ربكم».

قالوا: يا ابن رسول الله فإنا نستغفر الله ونتوب إليه من قولنا بل نقول كما علمنا مولانا: نحن محبوكم ومحبو أوليائكم ومعادوا أعدائكم.

قال الإمام الرضا(ع): فمرحباً بكم يا إخواني وأهل ودي إرتفعوا إرتفعوا إرتفعوا فما زال يرفعهم حتى ألصقهم بنفسه ثم قال لحاجبه: كم مرة حجبتهم؟

قال الحاجب: ستين مرة.

فقال الإمام(ع) لحاجبه: فاختلف إليهم ستين مرة متوالية، فسلم عليهم وأقرأهم سلامي فقد محوا ما كان من ذنوبهم باستغفارهم وتوبتهم، واستمتعوا بالكرامة لمحبتهم لنا وموالاتهم، وتفقد أمورهم وأمور عيالاتهم فأوسعهم بنفقات ومبرات وصلات، ورَفْعِ معرّات(١).

٤ - الجواب لسؤال المأمون:

سأل المأمون (سابع خلفاء بني العباس) ذات يوم الإمام الرضا(ع) وقال: أخبرني عن جدك علي بن أبي طالب(ع) بأي وجه هو «قَسِيمُ الجنّةِ والنّار؟»

(١) بحار الأنوار: ج٦٨ ص ١٥٧ - ١٥٩.

فقال الإمام الرضا(ع): ألم تَرْوِ عن أبيك، عن آبائه، عن عبد الله بن العباس أنه قال:

سمعت رسولَ الله(ص) يقول:

«حبّ علي إيمان وبغضه كفر؟»

فقال المأمون: بلى.

قال الإمام الرضا(ع): «فقسم الجنة والنار»(١).

فقال المأمون: لا أبقاني الله بعداً يا أبا الحسن، أشهد أنك وارثُ علمِ رسول الله(٢).

٥ - الإمام الرضا(ع) يداوي مريضاً:

كان أحد الشيعة مسافراً مع قافلة من خراسان إلى أطراف كرمان في أيام الإمام الرضا(ع) فاعترضهم اللصوص، وأسروا منهم ذلك الرجل، لظنهم أنه كثير الأموال وبقى في أيديهم مدة يعذبونه ليفتدي منهم نفسه، ووضعوه في الثلج ليدلهم على موضع أمواله دون جدوى فرأفت به امرأة من نسائهم فأطلقته وهرب فانعقد لسانه، حتى لم يقدر على الكلام ثم إنصرف راجعاً إلى خراسان وسمع بخبر علي بن موسى الرضا(ع) وأنه بنيسابور فرأى فيما يرى النائم أن قائلاً يقول له:

«إن ابن رسول الله(ص) قد ورد خراسان فسله عن علتك فربما يصف لك دواءً ما تنتفع به».

قال فرأيت كأني قد قصدته(ع) وشكوت إليه ما كنت وقعت فيه من الأذى.

فقال الإمام الرضا(ع): خذ الكمون والسعتر والملح ودقه وخذ منه في فمك مرتين

(١) بعبارة أخرى أن علياً(ع) مقياس الميزان - كل من كان محباً لعلي(ع) في الدنيا فتشد ميزان حبه إلى ميزان إيمانه فعليه يدخل الجنة. وكل من كان عدواً لعلي(ع) فتشد ميزان عداوته إلى ميزان كفره ولا شك أن نتيجة الكفر النار.

(٢) كشف الغمة: ج٣، ص ١٤٧.

أو ثلاثاً فإنك تُعافَ.

فلما استيقظ الرجل لم يفكر فيما كان رأى في منامه، ولا أعتد به حتى ورد باب نيسابور فقيل له: إن علي بن موسى الرضا (ع) قد إرتحل من نيسابور وهو برباط سعد.

فوقع في نفس الرجل أن يقصد الإمام(ع) ويشكو إليه أمره ليصف له ما ينتفع به من الدواء فقصده إلى «رباط سعد» فدخل عليه فقال: يا إبن رسول الله كان من أمري كيت وكيت، وقد انعقد عليّ فمي ولساني حتى لا أقدر على الكلام إلا بجهد فصف لي دواءً أنتفع به.

فقال الإمام الرضا (ع): ألم أخبرك؟ إذهب وتناول ما وصفته لك في منامك.

فقال له الرجل: يا إبن رسول الله إن رأيت أن تعيده عليّ.

فقال له(ع): «خذ من الكمون والسعتر والملح فدقه وخذ منه في فمك مرتين أو ثلاثاً فإنك ستعافى.

قال الشيعي: فاستعملت ما وصفه لي فعوفيت[1].

٦ - دفاع الإمام الرضا (ع) عن الحق:

روى محمد بن سنان (ره):

لما جاء الإمام الرضا (ع) إلى خراسان وقرر المأمون العباسي أن يُقْعدَه للناس يومي الإثنين والخميس، من كل أسبوع، وكان الإمام (ع) يجلس إلى يمين المأمون فجيء إليه يوماً برجل من الصوفية أتهم بالسرقة.

---

(١) كشف الغمة: ج٣، ص ١٥٤ - عيون أخبار الرضا: ج٢، ص ٢١١.

فلما نظر إليه وجده متقشفاً بين عينيه أثر السجود.

فقال له: آثار جميلة وفعل قبيح، أتنساق إلى السرقة مع ما أرى من حسن وظاهرك؟

قال العابد: فعلت ذلك اضطراراً لا اختياراً حين منعتني حقي من الخُمّس والفيء.

فقال المأمون: وأي حق لك في الخُمّس والفيء؟

قال العابد: إن الله عزّ وجلّ قسم الخمس ستة أقسام وقال:

«واعلَمُوا إنما غَنِمتُم من شيء فإن لله خُمّسُهُ وللرَّسُولِ ولذي القُربَى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان»[1].

(وكذلك ورد هذا الموضوع في موارد صرف بيت المال في الآية «٧» من سورة الحشر).

فعليه، لماذا منعتني حقي وأنا ابن سبيل تقطعت بي الأسباب، ومسكين لا أرجع إلى شيء ومن حملة القرآن.

فقال له المأمون: أعطل حداً من حدود الله وحكماً من أحكامه في السارق من أساطيرك هذه؟

فقال العابد: إبدأ بنفسك فطهرها ثم طهر غيرك وأقم حد الله عليها ثم على غيرك.

فالتفت المأمون هنا إلى الإمام الرضا(ع) فقال:

(١) سورة الأنفال، الآية ٤١.

ما تقول؟ (أراد بذلك أن يبدي الإمام(ع) برأيه).

فقال الإمام الرضا(ع): إنه يقول سُرِقْتَ فَسرقَ.

فغضب المأمون غضباً شديداً ثم قال للعابد: والله لأقطعنَّك. (يعني أقطع يدك جزاء سرقتك).

فقال العابد: أتقطعني وأنت عبدٌ لي؟

فقال المأمون: ويلك ومن أين صرت عبداً لك؟

قال العابد: لأن أمك اشتُرِيَتْ - من قبل هارون الرشيد - من مال المسلمين، فأنت عبد لمن في المشرق والمغرب حتى يعتقوك وأنا لم أعتقك ثم صادرت الخُمُس بعد ذلك فلا أعطيت آل الرسول حقاً، ولا أعطيتني ونظرائي حقنا.

والأخرى أن الخبيث لا يطهر خبيثاً مثله، إنما يطهره طاهر، ومن في جنبه الحد لا يقيم الحدود على غيره حتى يبدأ بنفسه أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول:

﴿أتأمُرُونَ الناس بالبرِّ وتنسون أنفُسكُم وأنتم تَتْلُون الكِتابَ أفلا تَعْقِلُون﴾[1].

فبهت المأمون أمام البراهين القاطعة للعابد فالتفت إلى الإمام الرضا(ع) وقال: ما ترى في أمره؟

فقال الإمام الرضا(ع): إن الله جل جلاله قال لمحمد(ص):

«قل فلله الحُجّة البالِغَةُ»[2].

(١) سورة البقرة، الآية ٤٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٤٩.

وهي التي تبلغ الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه، والدنيا والآخرة قائمتان بالحُجّة، وقد إحتج الرجل، فأمر المأمون عند ذلك باطلاق العابد.

ثم حول وجهه عن الناس واشتغل بالحديث مع الإمام الرضا(ع).

(وصب جميع أفكاره ومكره لقتل الإمام الرضا(ع)). حتى نفذ مؤامرته اللئيمة فسم الإمام الرضا(ع) وقتله(١).

كان هذا نموذجاً من دفاع الإمام الرضا(ع) عن حريم الحق ومواجهة الطاغوت. وندرك من هذا سبب استشهاد الإمام(ع) فما بعد.

٧ - *تعمير عين الماء:*

لما ورد الإمام الرضا(ع) نيسابور نزل في محله «غزيني» وكان فيها حمام وهو الحمام المعروف اليوم بحمام الرضا. وكانت هناك عين قد قل ماؤها، فعزم على تعميرها، فأقام عليها من أخرج ماءها حتى توفر وكثر، وبنى خارج الدرب حوضاً ينزل إليه بالمراقي إلى هذه العين فدخله الإمام الرضا(ع) وإغتسل فيه، ثم خرج منه فصلى خلف الحوض.

فأصبحت هذه سنة عند الناس أخذوا يتناوبون ذلك الحوض، ويغتسلون فيه ويشربون منه إلتماساً للبركة، ويصلون خلفه، ويدعون الله عزّ وجلّ في حوائجهم، فتقضى لهم.

وهذه العين المعروفة بعين كهلان يقصدها الناس إلى يومنا هذا(٢).

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) أعيان الشيعة: ج٢، ص ١٨. وطبقاً لبعض الروايات: إن الإمام الرضا(ع) بني في نيسابور في محله «فوزا» حماماً وحوضاً. وأمر أن تحفر قناة في هذه المنطقة (مناقب آل أبي طالب ج٤، ص ٣٤٨).

٨ - إعانة جميلة:

ورد شخص إلى مجلس الإمام الرضا(ع) قال له: «السلام عليك يا ابن رسول الله أنا رجل من محبيك ومحبي آبائك قدمت من مكة ولقد نفدت نفقتي وليس عندي ما أبلغ مرحلة فإن رأيت أن تهيئني إلى بلدي ولله علي إذا بلغت بلدي تصدقت بالذي تهبني عنك فلست موضع صدقة».

فقام الإمام الرضا(ع) فدخل الحجرة وبقي ساعة، ثم خرج ورد الباب وأخرج يده من أعلى الباب فقال(ع):

«هذه مئتا دينار خذها فاستعن بها في أمورك ونفقتك وتبرك بها ولا تتصدق بها عني أخرج لا أراك ولا تراني».

فخرج الرجل إلى بلده.

فسأل أحد الحاضرين الإمام الرضا(ع) عن علة إعطائه المال بهذه الصورة من وراء الباب، وأمره أن يخرج كي لا يراه؟

فقال الإمام الرضا(ع): مخافة أن أرى ذُلّ السؤال في وجهه لقضاء حاجته أما سمعت حديث رسول الله يقول:

«المستتر بالحَسَنَةِ تَعْدِلُ سَبعينَ حُجَّةً، والمُذيعُ بالسّيّئَةِ مَخْذُولٌ والمُسْتَتِرُ بها مَغْفُورٌ»(١).

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص ٣٦١ - فروع الكافي: ج٤، ص ٢٣ - ٢٤.

٩ - المنع من التبذير:

أكل غلمان للإمام الرضا(ع) ذات يوم فاكهة ولم يستقصوا أكلها - أي لم يتمّوا أكلها - ورموا بها.

فقال لهم الإمام الرضا(ع): «سبحان الله! إن كنتم استغنيتم فإن أناساً لم يستغنوا أطعموه من يحتاج إليه»[١].

١٠ - الإمام(ع) يحذّر الشرك في العبادة:

قال أحد أصحاب وتلاميذ الإمام الرضا(ع) المسمى بـ «الحسن الوشاء»: دخلت على الإمام الرضا(ع) وبين يديه إبريق، يريد أن يتهيأ للصلاة فدنوت منه لأصب على يده الماء كي يتوضأ فأبى وقال(ع):

«مه يا حسن» (أي لا تفعل).

فقلت له(ع): لِمَ تَنْهاني أن أصبّ على يدك وتكره أن أُؤجر؟

قال(ع): تُؤْجَرُ أنت وأوزر أنا؟

فقلت له: وكيف ذلك؟

فقال(ع): أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول:

«فمن كان يَرْجُو لِقَاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً»[٢].

وها أنا ذا أتوضأ للصلاة وهي العبادة فأكره أن يشركني فيها أحد[٣].

---

(١) فروع الكافي: ج٦، ص ٢٩٧.

(٢) سورة الكهف/ ١١٠.

(٣) فروع الكافي: ج٣، ص ٦٩

الفرق بين العقل والأدب:

أبو هاشم الجعفرىّ أحد فقهاء عصر الإمامين علىّ بن موسى الرضا ومحمد بن علي الجواد(ع).

قال أبو هاشم: كنا عند الرضا(ع) فتذاكرنا العقل والأدب.

فقال(ع): يا أبا هاشم، العقل حِباء_عطاء_من الله، والأدب كلفة، فمن تكلف الأدب قدر عليه، ومن تكلف العقل لم يزدد بذلك إلا جهلاً[1].

أقول: ومعناه أنّ العقل عطاء وموهبة ربانية، وليس اكتسابياً، يكتسبه الإنسان، بخلاف الأدب والقيم الخُلُقية والإنسانية فهي تكتسب بالرياضة والتروض، وعن طريقهما يمكن للانسان أن يرتقي سلالم الأدب وقللها.

الحق ليس كما تقولون:

دخل رجل من الزنادقة على أبي الحسن الرضا(ع) وعنده جماعة. فقال أبو الحسن(ع):أيها الرجل، أرأيت إن كان القول قولكم وليس هو كما تقولون، السنا وإياكم شرعاً سواء، لا يضرنا ما صلينا وصمنا وزكينا وأقررنا؟ فسكت الرجل.

ثم قال أبو الحسن(ع): وإنّ القول قولنا وهو قولنا ألستم قد هلكتم ونجونا؟ فقال الزنديق: رحمك الله، أوجدني وأفدني، كيف هو؟ وأين هو؟

فقال(ع): ويلك إنّ الّذي ذهبت إليه غلط، هو أين الأين بلا أين، وكيف الكيف بلا كيف، فلا يعرف بالكيفوفية ولا بأينونية، ولا يدرك بحاسّة ولا يقاس بشيء.

(١) ج١:٢٣(٦٧)ح١٨.

فقال الرجل: فإذاً انّه لا شيء، إذا لم يدرك بحاسّة من الحواسّ؟

فقال أبو الحسن(ع): ويلك لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته ؟ ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنا أنه ربنا بخلاف شيء من الأشياء.

قال الرجل: فأخبرني متى كان؟

قال أبو الحسن(ع): أخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان.

قال الرجل: فما الدليل عليه؟

فقال أبو حسن(ع): إني لما نظرت إلى جسدي، ولم يمكّنّي فيه زيادة ولا نقصان في العرض و الطول، ودفع المكاره عنه، وجرّ المنفعة إليه، علمت أنّ لهذا البنيان بانياً، فأقررت به مع ما ارى من دوران الفلك بقدرته، وإنشاء السحاب، وتصريف الرياح، ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الأيات البينات علمت أن لهذا مقدراً ومنشئاً[1].

سأل. فهدم

لمّا حلّ الإمام علي بن موسى الرضا(ع) خراسان جاء إليه رجل من وراء نهر بلخ فقال: إنّي أسألك عن مسألة فإن اجبتني فيها بما عندي قلت بإمامتك.

فقال أبو الحسن(ع): سل عمّا شئت.

فقال: أخبرني عن ربّك متى كان؟ وكيف كان؟ وعلى أيّ شيء كان اعتماده؟ فقال أبو الحسن(ع): إنّ الله تبارك وتعالى، أين الأين بلا أين، وكيّف الكيف بلا كيف، وكان اعتماده على قدرته.

(١) ج١: ٧٨(١٣٤)ح٣.

فقام إليه الرجل فقبّل رأسه وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله(ص) وأنّ علياً وصيّ رسول الله(ص) والقيّم بعده بما قام به رسول الله(ص)،وأنّكم الأئمة الصادقون(ع)، وأنّك الخلف من بعدهم(١).

الدعاء في الشدة والرخاء

قال أحمد بن محمد بن أبي نصر: قلت لأبي الحسن الرضا(ع): جعلت فداك، إنّي قد سألت الله حاجة منذ كذا وكذا سنة وقد دخل قلبي من إبطائها شيء.

قال الرضا(ع): يا أحمد، إياك والشيطان أن يكون له سبيل حتى يقنطك، إن أبا جعفر الباقر(ع) كان يقول: إنّ المؤمن يسأل الله عزّ وجلّ حاجة فيؤخر عنه تعجيل إجابته حباً لصوته واستماع نحيبه.

ثم قال الرضا(ع): والله ما أخر الله عز وجل عن المؤمنين ما يطلبون من هذه الدنيا خير لهم مما عجل لهم فيها. وأي شيء الدنيا. إنّ أبا جعفر الباقر(ع) كان يقول: ينبغي للمؤمن أن يكون دعاؤه في الرخاء نحواً من دعائه في الشدة، ليس إذا اعطي فتر، فلا تمل الدعاء، فإنه من الله عز وجل بمكان، وعليك بالصبر وطلب الحلال وصلة الرحم، وإياك ومكاشفة الناس، فإنا أهل البيت نصل من قطعنا ونحسن إلى من أساء إلينا فنرى والله في ذلك العاقبة الحسنة، إن صاحب النعمة في الدنيا إذا سأل فأعطي طلب غيره الذي سأل. وصغرت النعمة في عينه فلا يشبع من شيء، وإذا كثرت النعم كان المسلم من ذلك على خطر للحقوق التي تجب عليه وما يخاف من الفتنة فيها.

(١) ج١: ٨٨ (١٤٣)ح٢.

قال الرضا(ع): يا أحمد: أخبرني عنك لو أني قلت لك قولاً أكنت تثق به مني؟

قال أحمد: جعلت فداك، إذا لم أثق بقولك فيمن أثق وأنت حجة الله على خلقه.

قال(ع): فكن بالله أوثق فإنك على موعد من الله أليس الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعاني﴾[١]. وقال: ﴿لا تقطنوا من رحمة الله﴾[٢]. وقال: ﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾[٣]. فكن بالله أوثق منك بغيره ولاتجعلوا في أنفسكم إلا خيراً فإنّه مغفور[٤] لكم.

بم يعرف الامام؟

دخل أبو بصير على الامام الرضا(ع) وهو بخراسان فقال لأبي الحسن(ع): جعلت فداك، بم يعرف الامام الحق؟

فقال الرضا(ع): بخصال:

١ - أما أولها فإنه بشيء _ وصية وتصريح _ قد تقدم من أبيه إشارة إليه لتكون عليهم حجة.

٢ - ويسأل فيجيب عن الحلال والحرام بدون مكث.

٣ - وإذا سُكِتَ عنه ابتدأ الامام.

٤ - ويخبر بما يقع في غد.

٥ - ويكلم الناس بكل لسان.

---

(١) البقرة:١٨٦.

(٢) الزمرة:٥٣.

(٣) البقرة: ٢٦٨.

(٤) ج٢: ٥١٢(٤٨٠)ح٣

ثم قال(ع) لأبي بصير: يا أبا محمد، أعطيك علامة _ من علامات الإمام _ قبل أن تقوم _ وتخرج من المجلس._

قال أبو بصير: فلم ألبث أن دخل علينا رجل من أهل خراسان فكلّمه الخراساني بالعربية، فأجابه أبو الحسن(ع) بالفارسية.

فقال له الخراساني: والله جعلت فداك ما منعني أن اكلمك بالخراسانية غير أني ظننت أنك لا تحسنها.

فقال(ع): سبحان الله إذا كنت لا احسن اجيبك بالفارسية . فما فضلي عليك؟

قال أبو بصير: ثم قال لي: يا أبا محمد، إن الامام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه الروح فمن لم يكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام حق[١].

معمرة التقت ثمان حجج[ع]

حبابة الوالبيّة هي من بني أسد من اليمن، وهي من المعمّرات. وقال الشيخ الطوسيّ إنها كانت من العالمات الفاضلات، وقد أدركت ثمان من الأئمّة من أمير المؤمنين حتى الإمام الرضا(ع) وقد كفنها الإمام الرضا بثيابه.

وإليك قصّتها مع الإمام الرضا.

تقول حبابة الوالبية: رأيت أمير المؤمنين(ع) في شرطة الخميس في عسكره أو في مجلسهم - ومعه دِرّة- سوط - لها سبّابتان يضرب بها بيّاعي الجري والمارماهي والزمار - أنواع من السمك التي لا فلس لها-.

(١) ج١: ٢٨٥(٣٤١)ح٧.

ويقول لهم: يا بيّاعي مسوخ بني اسرائيل، وجند بني مروان[١]؟

فقام إليه فرات بن احنف فقال: يا أمير المؤمنين وما جند بني مروان؟

فقال(ع): أقوام حلقوا اللحى وفتلوا الشوارب فمسخوا.

قالت حبابة: فلم أر ناطقاً أحسن نطقاً منه ثم اتبعته فلم أزل اقفوا أثره حتى قعد في رحبة المسجد. فقلت له: يا أمير المؤمنين، ما دلالة الإمامة يرحمك الله؟

فقال(ع): ائتيني بتلك الحصاة وأشار بيده إلى الحصاة.

فأتيته بها فطبع لي فيه بخاتمه[٢].

ثم قال لي: يا حبّابة إذا ادّعى مدّع الإمامة، فقدر أن يطبع كما رأيت فاعلمي أنه إمام مفترض الطاعة، والإمام لا يعزب - لا يخفى- عنه شيء يريده.

قالت حبابة: ثم انصرفت حتى قُبض أمير المؤمنين(ع) فجئت إلى الحسن(ع) وهو في مجلس أمير المؤمنين(ع) والناس يسألونه.

فقال الحسن(ع): يا حبابة الوالبية.

فقالت: نعم، يا مولاي.

فقال(ع): هاتي ما معك.

---

(١) قال المجلسي في شرحه على الحديث: سميّت هذه الحيوانات مسوخاً لأنها تشبه المسوخات، وليس أنها من تلك، لأنّ المسوخات لا تبقى أكثر من ثلاث.

أقول: وبالنسبة إلى جند مروان يحتمل أن تكون إشارة لآتيتهم وعاقبتهم، وذلك ممّا دلت عليه رواية الإمام الصادق «إنّ بني مروان لم يموتوا حتى يموتوا ويمسخوا وزغاً.

وقد استدّل بعض الفقهاء على تحريمه حلق اللحية بهذه الرواية.

ب- ونقرأ في خلال زيارة يوم المولود للإمام علي(ع) تأملين: السلام عليكم يا خاتم الحصى ومبيّن المشكلات.

(٢) وجاء في زيارة أمير المؤمنين(ع) في يوم المولد: السلام عليك يا خاتم الحصى ومبين المشكلات.

قالت حبابة: فأعطيته فطبع فيها كما طبع أمير المؤمنين(ع). ثمّ - بعد أن قبض الحسن(ع)- أتيت الحسين(ع) وهو في مسجد رسول الله(ص)، فقرّب - أي أدناني - ورحّب بي، ثمّ قال لي: إنّ في الدلالة دليلاً على ما تريدين، أفتريدين دلالة الإمامة؟

فقلت: نعم، يا سيدي. فقال(ع): هاتي ما معك.

قالت حبابة: فناولته الحصاة فطبع لي فيها ثمّ - بعد أن استشهد الحسين(ع) - أتيت عليّ بن الحسين(ع). وقد بلغ بي الكبر إلى أن ارعشت وأنا أعد يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة، فرأيته راكعاً وساجداً ومشغولاً بالعبادة فيئست من الدلالة، فأومأ إليّ بالسبابة فعاد إليّ شبابي -: فقلت: يا سيدي، كم مضى من الدنيا؟ وكم بقي؟

فقال(ع): أما ما مضى فنعم - أي نحن نعلم كم مضى -، وأما ما بقي فلا - أي أنها من الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله -. ثمّ قال لي: هاتي ما معك.

فأعطيته الحصاة فطبع لي فيها، ثمّ بعد أن توفّي السجاد(ع) - أتيت أبا جعفر الباقر(ع) فطبع لي فيها، ثمّ أتيت أبا عبد الله الصادق(ع) فطبع لي فيها، ثم أتيت أبا الحسن موسى الكاظم(ع) فطبع لي فيها ثمّ أتيت الرضا(ع) فطبع لي فيها[1].

وعاشت حبابة الوالبيّة بعد ذلك تسعة أشهر على ما ذكر محمد بن هشام[2].

بأبي أنت ما أطيب ريحك

وفي عيون أخبار الرضا: عن المفضل بن عمر، قال: دخلت على أبي الحسن موسى جعفر(ع) وعلي(ع) ابنه في حجره وهو يقبله ويمص لسانه، ويضعه على عاتقه ويضمه

(١) ج١: ٣٤٦-٣٤٧(٤٠٧-٤٠٨) ح٣ وفي ح٤ من الباب نفسه ورد أم غانم وهي كنية حبابة الوالبية.

(٢) كان لحبابة في زمن الإمام السجاد(ع) ١١٣ سنة ثم شابت وعاشت بعد ذلك إلى زمان الرضا(ع) ١٢٣ سنة فعلى هذا فعمرها ٢٣٦سنة.

إليه ويقول: بأبي أنت وأمي ما أطيب ريحك وأطهر خلقك وأبين فضلك؟

قلت: جعلت فداك لقد وقع في قلبي لهذا الغلام من المودة ما لم يقع لأحد إلا لك.

فقال لي: يا مفضل هو مني بمنزلتي من أبي (ع) (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم).

قال: قلت: هو صاحب هذا الأمر من بعدك؟

قال: نعم، من أطاعه رشد، ومن عصاه كفر[1].

يدخل عليكم الساعة خير أهل الأرض

روى الطوسي عن ابن عقدة، عن علي بن الحسن بن فضال، عن محمد بن عمر بن يزيد وعلي بن أسباط جميعاً قالا: قال لنا عثمان بن عيسى الرواسي: حدثني زياد القندي وابن مسكان قالا: كنا عند أبي إبراهيم(ع) إذ قال: يدخل عليكم الساعة خير أهل الأرض, فدخل أبو الحسن الرضا(ع) وهو صبي، فقلنا: خير أهل الأرض؟!

ثم دنا فضمه إليه فقبله وقال: يا بُنيّ تدري ما قال ذان؟

قال: نعم يا سيدي هذان يشكّان فيّ[2].

أقول: لقد أخبر الإمام الرضا(ع) في صغر سنه بأن زياد القندي وابن مسكان سيشكان في إمامته في المستقبل وقد صدق هذا القول فيهما أنه لما استشهد الإمام موسى بن جعفر(ع) وقفا على إمامته ولم يعتقدا بإمامة الرضا(ع) لأخذ أموال الإمام موسى بن جعفر(ع) التي كانت عندهم[3].

(١) عيون أخبار الرضا (ع) ج١، ص٣٢، بحار الأنوار، ج٤٩، ص٢٠.

(٢) الغيبة، ص٤٥، بحار الأنوار، ج٤٨، ص٢٥٦.

(٣) راجع معجم رجال الحديث، ج٧، ص٣١٧.

يا بن نافع سلّم وأذعن له بالطّاعة

وعن بنان بن نافع قال: سألت عليّ بن موسى الرضا (ع) فقلتُ: جُعلت فداك من صاحب هذا الأمر بعدك؟

فقال لي: يا بن نافع يدخل عليك من هذا الباب من ورث ما ورثته من قبلي وهو حجّة الله تعالى من بعدي، فبينا أنا كذلك إذ دخل علينا محمد بن علي(ع)، فلمّا بصر بي قال لي: يا بن نافع ألا أحدثك بحديث، أنّا معاشر الأئمة إذا حملته أمّه يسمع الصّوت من بطن أمه أربعين يوماً فإذا أتى له في بطن أمه أربعة أشهر رفع الله تعالى له أعلام الأرض فقرّب له ما بعد عنه حتى لا يعزب عنه حلول قطرة غيث نافعة ولا ضارة، وإن قولك لأبي الحسن(ع) من حجّة الدّهر والزّمان من بعده فالذي حدّثك أبو الحسن(ع) ما سألت عنه، هو الحجّة عليك فقلت: أنا أوّل العابدين، ثم دخل علينا أبو الحسن(ع) فقال لي: يا بن نافع سلّم وأذعن له بالطّاعة فروحه روحي وروحي روح رسول الله(ص)[1].

(١) مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٣٨٨.

المعصوم الحادي عشر

الإمام التاسع

محمد بن علي الجواد (عليه السلام)

هويّة المعصوم الحادي عشر
الإمام التاسع
الإمام محمد الجواد(ع)

الاسم: محمد(ع).

ألقابه المشهورة: الجواد النقي(ع).

الكنية: أبو جعفر الثاني.

الأب والأم: الإمام الرضا(ع)، خيزران(ع).

تاريخ ومحل الولادة: ولد(ع) في «٩» أو «١٥» رمضان المبارك سنة «١٩٥ هـ ق» أو «١٠» من رجب المرجب سنة «١٩٥ هـ ق» بالمدينة.

تاريخ ومحل الشهادة: أستشهد(ع) في آخر ذي القعدة سنة «٢٢٠ هـ ق» وعمره الشريف «٢٥» سنة، أستشهد مسموماً بأمر من المعتصم العباسي وبيد زوجته أم الفضل بنت المأمون العباسي في بغداد.

مرقده الشريف: مدينة الكاظمية قرب بغداد.

أدوار حياته المباركة:

تنحصر في قسمين:

١ - سبع سنوات قبل إمامته(ع).

٢ - سبع عشرة سنة بعد إمامته، حيث عاصر فيها طاغوتين هما المأمون والمعتصم، السابع والثامن من خلفاء بني العباس.

تولى الإمام الجواد(ع) مقام الإمامة وهو إبن سبع سنوات واستشهد(ع) عن عمر ناهز «٢٥» سنة، ولذا كان أصغر الأئمة وأكثر شباباً حين شهادته، وإذا اعتبرنا تاريخ استشهاده سنة «٢٢٥» هـ ق، كما قال البعض فعلى هذا تكون مدة إمامته «٢٢» سنة، واستشهد عن عمر ناهز «٣٠» سنة.

١ - الأحزان المؤلمة للإمام الجواد(ع):

روي عن زكريا بن آدم إنه قال: كنت جالساً عند الإمام الرضا(ع) إذ جيء بالإمام الجواد(ع) وكان عمره الشريف أقلّ من أربع سنين، فضرب(ع) يده إلى الأرض ورفع رأسه إلى السماء فأطال الفكر.

فقال له الإمام الرضا(ع): بنفسي لِمَ طال تأملك؟

فقال الإمام الجواد(ع): «فيما صُنِعَ بأمي فاطمة، أما والله لأخرجنها ثم لأحرقنها ثم لأذرينهما ثم لأنسفنهما في اليم نسفاً».

فاستدعاه الإمام الرضا(ع) وضمه إلى صدره وقبّلَ بين عينيه، ثم قال:

«بأبي أنت وأمي أنت لها»(١).

(١) دلائل الإمامة للطبري نقلاً عن بيت الأحزان: ص ١٥٦.

٢ - الإمام الجواد(ع) في حزن فراق الأب:

كان قد انصرم عن عمر الإمام الجواد(ع) أربع سنوات وأشهر، صحبه أبوه الإمام الرضا(ع) إلى مكة لأداء مراسم العمرة. وكان يرافقهم خادم الإمام الرضا(ع) المسمى بـ «موفق» أيضاً. وكان ذلك في السنة التي أضطر الإمام الرضا(ع) أن يترك الحجاز إلى خراسان.

وقف الإمام الرضا(ع) بحالة ملكوتية خاصة وبعين باكية يودع البيت إلى جانب الكعبة، وبعد طوافه انحدر إلى مقام إبراهيم(ع) فصلى عنده.

قال موفق: ذهب الإمام الجواد(ع) إلى حجر إسماعيل(ع) فجلس فيه فأطال، فذهبت إليه وقلت له(ع): قم جُعِلْتُ فداك.

فقال(ع): ما أريد أن أبرح من مكاني هذا إلا أن يشاء الله. واستبان في وجهه الغم.

فأتيت إلى الإمام الرضا(ع) فقلت: جُعِلْتُ فداك قد جلس أبو جعفر الجواد(ع) في الحجر وهو يأبى أن يقوم.

فقام الإمام الرضا(ع) فأتى إلى الإمام الجواد(ع) فقال له: قم يا حبيبي.

فقال الإمام الجواد(ع): ما أريد أن أبرح من مكاني هذا.

فقال الإمام الرضا(ع): بلى يا حبيبي.

قال الإمام الجواد(ع): كيف أقوم وقد رأيتك ودّعت البيت وداعاً لا ترجع إليه.

فقال الإمام الرضا(ع): قم يا حبيبي، فقام الإمام الجواد(ع) وقد استولى عليه حزن شديد[١].

---

(١) كشف الغمة: ج٣، ص ٢١٥ و ٢١٦.

نعم، كان الإمام الجواد(ع) مع صغر سنه يدرك حالات أبيه، وعلم أن والده الكريم(ع) مستقبل إلى سفر لا يرجع منه وبذلك استولى عليه حزن الفراق واعتصر قلبه الطاهر فأراد أن يجلس ويطيل الجلوس إلى جانب الكعبة ويدعو لوالده الكريم(ع)، ولكن ما العمل؟ أمر طاغوت العصر «المأمون» أن يحمل الإمام الرضا(ع) إلى خراسان.

فوقع الفراق المؤلم بين الإمام الجواد(ع) وأبيه لمدة ثلاث سنوات حتى حضر جثمان والده الطاهر الذي أستشهد مسموماً. وكان عمره الشريف حينذاك سبع سنوات.

٣ - *التشيع ومعناه الحقيقي:*

دخل رجل من الشيعة مسروراً على الإمام محمد الجواد(ع) فقال الإمام(ع): مالي أراك مسروراً؟

قال الرجل: يإبن رسول الله(ص) سمعت أباك يقول:

«أحقّ يومٍ بأن يسرَّ العَبْدَ فيه يوم يرزقُه الله صدقات ومبرات ومدخلات من إخوان له من المؤمنين، فإنه قصدني في اليوم عشرة من إخواني الفقراء، لهم عيالات، فقصدوني من بلد كذا وكذا فأعطيت كل واحد منهم، فلهذا سروري».

فقال الإمام الجواد(ع): لعمري إنك حَقيقٌ بأن تسرّ إن لَمْ تكن أحْبَطتَهُ أو لم تُحْبِطْهُ فيما بعد.

فقال الرجل: فكيف أحبطته وأنا من شيعتكم الخُلَّص؟

قال الإمام الجواد(ع): هاه! قد أبطلت برّك بإخوانك وصدقاتك.

قال الرجل: وكيف ذاك يإبن رسول الله(ص)؟

قال الإمام الجواد(ع): إقرأ قول الله عزّ وجلّ.

«يا أيُّها الذين آمنوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُم بالمَنِّ والأذى»[١].

قال الرجل: يا ابن رسول الله ما مننت على القوم الذين تصدقت عليهم ولا آذيتهم.

قال الإمام الجواد(ع): إن الله عزّ وجلّ إنما قال:

﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تُبْطِلُوا صدقاتكم بالمَنِّ والأذى﴾ ولم يقل بالمَنِّ على من تتصدّقون عليه، وبالأذى لمن تتصدقون عليه وهو كل أذى، افترى أذاكَ القوم الذين تصدقت عليهم أعظم أم أذاك لحفظتك وملائكة الله المقربين حواليك أم أذاك لنا؟

فقال الرجل: بل أذى الملائكة المقربين وأذاكم؟

فقال الإمام الجواد(ع): لقد آذيتني وآذيتهم وأبطلت صدقتك.

قال الرجل: لماذا؟

قال الإمام الجواد(ع): لقولك، وكيف أحبطته وأنا من شيعتكم الخُلّص؟ (فادّعاؤك هذا عظيم).

ثم قال(ع):

«ويحك أتدري مَنْ شيعتُنا الخُلّص؟ فإن شيعتنا الخُلّص «حزبيل» مؤمن آل فرعون، و«حبيب النجّار» صاحب ياسين[٢] وسلمان (رحمها الله) وأبو ذر (رحمه الله) وعمار (رحمه الله) سوَّيت نفسك بهؤلاء أما آذيت بهذا الملائكة وآذيتنا؟»

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٤.

(٢) ورد في القرآن الكريم في الآية «٢٨» من سورة الغافر، الحديث عن مؤمن آل فرعون «حزبيل» وفي الآية «٢٠» من سورة ياسين عن صاحب ياسين «حبيب النجار» فراجع.

فأعترف الرجل بذنبه وتقصيره فقال: أستغفر الله وأتوب إليه، فكيف أقول؟

قال الإمام الجواد(ع): قل أنا من مواليك، ومحبيك ومعادي أعدائك، وموالي أوليائك.

قال الرجل: كذلك أقول، وكذلك أنا يا إبن رسول الله(ص) وقد تبت من القول الذي أنكرته وأنكره الملائكة، فما أنكرتم ذلك إلا لإنكار الله عزّ وجلّ.

فقال الإمام الجواد(ع): الآن قد عاد إليك مثوبات صدقاتك، وزال عنها الإحباط[1].

٤ - كرامة الإمام الجواد(ع) لشيعته:

عن محمد بن سهل القمّي(ره) قال: قصدت المدينة في سفر إلى مكة فدخلت على الإمام الجواد(ع) وأردت أن أسأله عن كسوة يكسونيها فلم أتوفق أن أسأله حتى ودعته وأردت الخروج فقلت أكتب إليه وأسأله - فكتبت إليه الكتاب فصرت إلى المسجد على أن أصلي ركعتين، وأستخير الله.

ففعلت فوقع في قلبي أن لا أبعث فخرقت الكتاب وخرجت من المدينة، فبينما أنا كذلك إذ رأيت رسولاً ومعه ثياب في منديل يتخلل القافلة، يسأل عن محمد بن سهل القمي حتى انتهى إلي.

فقال: مولاك بعث إليك بهذه. وإذا ملاءتان (ثوبان مرغوبان).

فأخذ محمد بن سهل(ره) الثوبين واحتفظ بهما إلى آخر عمره حتى رحل إلى ربه فغسله إبنه أحمد بن محمد وكفنه فيهما[2].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٨، ص ١٥٩.

(٢) مختار الخرائج: ص ٢٧٣.

٥ - الإمام الجواد(ع) يوصي بعمل لرفع الزلازل:

كان عليّ بن مهزيار(ره) من كبار فقهاء وعباد أيام الإمام الجواد(ع) والإمام الهادي(ع) - وكانت له الوكالة من طرفهما في الأهواز للقيام بإصلاح أمور الناس، وقبره الشريف في الأهواز محط رحال الزوار والمحبين، يقول علي بن مهزيار(ره):

كانت الزلازل تضرب مدينة الأهواز بين الحين والحين - فكتبت إلى الإمام الجواد(ع) وشكوت إليه كثرة الزلازل وقلت: ترى لي التحول عنها؟

(أي أخرج من الأهواز إلى مدينة أخرى).

فكتب الإمام الجواد(ع) في جوابي: «لا تتحوّلوا عنها، وصوموا الأربعاء والخميس والجمعة واغتسلوا وطهروا ثيابكم وابرزوا يوم الجمعة وادعوا الله فإنه يدفع عنكم».

قال علي بن مهزيار(ره) ففعلنا بما أمرنا الإمام الجواد(ع) فسكنت الزلازل[1].

٦ - إفشال المؤامرة الشيطانية للمأمون:

سعى المأمون العباسي بعد استشهاد الإمام الرضا(ع) أن يُقرّب الإمام الجواد(ع) إليه ويضمّه إلى حاشيته، ولذا حاول بطرق مختلفة وملتوية ليعرِّف الإمام الجواد(ع) للناس بأنه محب للدنيا. آملاً من ذلك أن يحط من منزلة الإمام الرفيعة في المجتمع الإسلامي، فباءت جميع تلك المؤامرات الشيطانية والحيلة والخداع بالفشل الذريع، حتى انتهى به الأمر إلى المؤامرة التالية:

لما أراد المأمون أن يزفّ بابنته أم الفضل إلى دار الإمام الجواد(ع) أقام حفلاً كبيراً دعا فيه مائتي وصيفة من أجمل ما يمكن من الجمال ودفع إلى كل واحدةٍ منهن

(١) بحار الأنوار: ج٥٠، ص١٠١.

كأساً فيه جواهر يستقبلن الإمام الجواد(ع) إذا جلس في موضع الأخيار فتقدمت الوصيفات إلى الإمام الجواد(ع) وعرضن عليه ما في أيديهن وما يحملن من جمال وألوان الألبسة وظروف.

ولكن الإمام(ع) لم يلتفت إليهن وما يحملن من الجواهر.

وكان في المجلس رجل يقال له «مُخارق» صاحب صوت وعود وضرب طويل اللّحية، فدعاه المأمون وطلب منه أن يقوم بحركات ويخرج أصواتاً، فيخرج الإمام(ع) من تلك الحالة الملكوتية المعنوية ويعطف قلبه على الأمور المادية.

فقال مُخارق: يا أمير المؤمنين إن كان في شيء من أمر الدنيا فأنا أكفيك أمره، ثم جاء مُخارق وجلس بين يدي الإمام الجواد(ع) فنهق نهقة الحمير حتى اجتمع عليه أهل الدار وجعل يضرب ويغني وفعل ذلك ساعة والإمام الجواد(ع) لا يلتفت إليه لا يميناً ولا شمالاً(١).

ثم رفع الإمام(ع) رأسه إليه وقال: «اتّقِ الله يا ذا العُثْنُون».

فسقط المضراب من يد مُخارق والعود واستولى عليه الخوف الشديد من صرخة الإمام(ع) وشلت يداه فلم ينتفع بهما إلى أن مات، فسأله المأمون عن حاله قبل موته.

قال مُخارق: لما صاح بي أبو جعفر الإمام الجواد(ع) - فزعت فزعة لم أفِقْ منها أبداً»(٢).

٧ - الإمام الجواد(ع) يجد عملاً للجمّال العاطل:

كان جَمّال يبحث عن عمل فلم يُوفَّق في الحصول ويأس من الناس إلا من باب

(١) سورة البقرة، الآية ٤٤.
(٢) سورة الأنعام، الآية ١٤٩.

الإمام الجواد(ع) حيث تعلقت آماله بها.

فتحدث في هذا الأمر مع أبي هاشم الجعفري(ره) الذي كان من معارف الإمام الجواد(ع) - وقال له: إذا حضرت عند الإمام(ع) قل له: أن جمّالاً حائراً يبحث عن العمل لعلك تجد له عملاً تخرجه من ضيقه وحيرته.

قال أبو هاشم الجعفري(ره): دخلت على الإمام الجواد(ع) لأكلمه فوجدت الإمام(ع) يأكل ومعه جماعة ولم يمكنني محادثته.

فقال الإمام الجواد(ع): يا أبا هاشم كل. ووضع الطعام بين يدي ثم قال ابتداء من غير أن أسأله ما أوصاني الجمال: يا غلام أنظر إلى الجمّال الذي أتانا به أبو هاشم فضمّه إليك (أي فليعمل معك).

ثم قال أبو هاشم الجعفري(ره): خرجنا مع الإمام(ع) إلى بستان فقلت له: جُعِلْتُ فداك إني لمولع بأكل الطين، فادعُ الله لي، فسكت ثم قال لي(ع) بعد ثلاثة أيام ابتداء منه.

«يا أبا هاشم قد أذهب الله عنك أكل الطين».

قلت: نعم، والآن ما من شيء أبغضُ إلي من الطّين[1].

٨ - الإمام الجواد(ع) وعيادة المريض:

مرض أحد أصحاب الإمام الجواد(ع) حتى أقعده عن العمل، بل يئس من الحياة، فلمّا سمع الإمام الجواد(ع) بخبره جاءَه عائداً مع جماعةٍ من أصحابه وجلس عنده والمريض يبكي ويجزع من الموت.

فقال له الإمام الجواد(ع): «يا عبد الله تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، أرأيتك إذا

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

اتسختَ وتقذرْتَ وتأذَّيْتَ من كثرة القَذَرِ والوسَخِ عليك وأصابك قروحٌ وجَرَبٌ وعلمت أن الغسل في حمّامٍ يزيل ذلك كله أما تريد أن تَدْخُله فتغسل ذلك عنك؟ أو ما تكره أن لا تدخله فبقي ذلك عليك؟»

قال الرجل: بلى، يا ابن رسول الله.

قال الإمام الجواد(ع): فذاك الموت هو ذلك الحمّام وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك فإذا وردت عليه وجاوزته فقد نجوت من كل غمّ وهمّ وأذىً، ووصلت إلى كل سرور وفرح.

فسكت الرجل لما سمع هذا الكلام المليء بالمحبة واللطف من الإمام الجواد(ع) وإستسلم ونشط وغمّض ومضى لسبيله[1].

٩ - *الشيعة يفرحون بإمامه الجواد(ع):*

لما أستشهد الإمام علي بن موسى الرضا(ع) كان الإمام الجواد(ع) إبن سبع سنين، فاجتمع أكابر الشيعة في الكوفة في دار «عبد الرحمن بن الحجّاج» وهم يبكون ويتوجعون من المصيبة، ثم أخذ الحديث مجراه إلى مسألة الإمامة بعد الإمام الرضا(ع)، فقال بعضهم: أن الإمام الجواد(ع) صبي، وأجاب الآخرون على هذا الإشكال.

ولما جاء موسم الحج اجتمع ثمانون رجلاً من فقهاء بغداد والكوفة وباقي الأمصار توجّهوا صوب المدينة ليقفوا على الواقع عن كثب.

فلمّا وصلوا لمدينة نزلوا في دار الإمام الصادق(ع) لأنها كانت خالية، ودخلوها

(١) معاني الأخبار: للشيخ الصدوق (ره)، ص ٢٩٠.

وجلسوا على بساط كبير، وخرج إليهم عبد الله بن الإمام موسى الكاظم(ع) - عمّ الإمام الجواد(ع) - فجلس في صدر المجلس وقام منادٍ وقال:

هذا ابن رسول الله فمن أراد السؤال فليسأله فسُئِلَ عن أشياء اجاب عنها جواباً خالياً من الصواب فورد على الشيعة والعلماء والفقهاء ما حيرهم وقاموا وهمّوا بالإنصراف.

وإذا بخادم الإمام الجواد(ع) «موفّق» دخل وقال: هذا أبو جعفر (يعني الإمام الجواد(ع)).

فجلس الإمام(ع) في صدر المجلس وأخذ علماء وفقهاء المجلس يطرحون على الإمام(ع) أسئلتهم والإمام(ع) يجيب على أسئلتهم واحداً تلو الآخر بأجوبة صحيحة وكاملة.

ففرح الحاضرون ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا له: إنّ عمّك عبد الله أفتى بِكَيْت وكَيْتَ.

فقال الإمام الجواد(ع): «لا إله إلا الله يا عم، إنّه عظيم عند الله أن تَقِفَ غداً بين يديه فيقول لك لم تَفْتِي ما لم تعلم وفي الأمّة من هو أعلمُ منك»[1].

وبهذه الصورة حصل العلماء والفقهاء على ما أرادوا وإطمئنوا على أحقية إمامة الإمام الجواد(ع) فعادوا إلى بلادهم فرحين.

١٠ - الصمود حتى الشهادة:

تزوج الإمام الجواد(ع) مضطراً بما أقترحه عليه المأمون العباسي من إبنته زينب المعروفة «بأُم الفضل» ولكنها كانت عقيماً.

(١) عيون المعجزات: طبقاً لما ورد في بحار الأنوار: ج٥٠، ص ٩٩ - ١٠٠.

فعليه تزوج الإمام الجواد(ع) بجارية تسمى سمانة المغربية فولدت له الإمام العاشر الهادي(ع).

فحملت أم الفضل بعد هذا الزواج الحقد والعداوة في قلبها للإمام الجواد(ع). ولما هلك المأمون العباسي تصدى لخلافة المسلمين المعتصم، ولم يستطيع هذا أن يتحمل وجود الإمام الجواد(ع)، ولذا تآمر مع جعفر بن المأمون في قتل الإمام الجواد(ع)، فاختاروا لتنفيذ مؤامرتهم المشؤومة أم الفضل لأنها كانت أنسب من غيرها.

فاقترحا عليها قتل الإمام الجواد(ع) فرضيت به فجعلت السمّ في العنب الرّازقي وأطعمته فاستشهد الإمام(ع) مسموماً.

ولما كان الإمام(ع) على بساط الشهادة ندمت أم الفضل من جريمتها وأخذت بالبكاء فقال لها الإمام الجواد(ع).

«ما بكاؤك؟ والله ليَضْرِبَنّك الله بفَقْرٍ لا يُنْجر، وبلاءٍ لا ينستر».

نعم وهكذا أستشهد الإمام الجواد(ع) في عنفوان شبابه، أما أم الفضل فإنها بُليت بمرض في أغمض المواضع من جوارحها وصارت «ناسوراً» ينتفض عليها في كل وقت فانفقت مالها وجميع ملكها وأموالها على نفسها لعلها تتخلص من هذا المرض ولكن دون فائدة حتى إحتاجت إلى مساعدة الناس إلى أن هلكت وذهبت إلى جهنّم وبئس المصير[1].

هذه آفاق على الحياة السياسية للإمام الجواد(ع) كيف ولم يستسلم الإمام(ع) أمام طاغية زمانه المعتصم أبداً. بل حاول كلما سنحت له الفرص المناسبة أن يحذر الناس من الجهاز ضد الحاكم الجائر، وتقدم في هذا المجال إلى حدود الاستشهاد في

(١) بحار الأنوار: ج٥٠، ص ١٧ - منتخب التواريخ: ص ٧٤٣.

سبيل الله حتى استشهد(ع) في عنفوان شبابه وهو ابن «٢٥» سنة وكانت شهادته المظلومة بيد زوجته المأمورة في تنفيذ مخطط الطاغية المعتصم عليه اللعنة.

من أثمر عصاه فهو الخليفة

قال بعض أصحابنا لأبي جعفر الثاني- الجواد-(ع): أنهم يقولون في حداثة سنّك - وأنّهم يستشكلون ذلك-.

فقال: إنَّ الله تعالى أوحى إلى داود(ع) أن يستخلف سليمان(ع) وهو صبيٌّ يرعى الغنم، فانكر ذلك عبّاد بني إسرائيل وعلماؤهم، فأوحى الله إلى داود(ع) أن خذ عصا المتكلمين وعصا سليمان واجعلهما في بيت واختم عليهما بخواتيم القوم، فإذا كان من الغد، فمن كانت عصاه قد أورقت وأثمرت فهو الخليفة.

فأخبرهم داود(ع) فقالوا: قد رضينا وسلّمنا[١].

قال علي بن حسان لأبي جعفر(ع): يا سيدي إنّ الناس ينكرون عليك حداثة سنّك.

فقال(ع): وما ينكرون من ذلك قول الله عز وجل؟ لقد قال الله عزّ وجلّ لنبيه(ص). (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)[٢] فوالله ما تبعه إلا عليّ(ع) وله تسع سنين وأنا ابن تسع سنين[٣].

(١) ج١: ٣٨٣ (٤٤٦)ح٣.

(٢) يوسف:١٠٨

(٣) ج١: ٣٨٤ (٤٤٧) ح٨.

أقول: يظهر للمتأمّل أن احتجاج الإمام الجواد(ع) واستدلاله باتباع الإمام علي وهو ابن تسع سنين للنبي(ص) اتباعاً تاماً وإيماناً كاملاً- وإيمان علي(ع) للنبي(ص) وهو صغيراً محل إجماع الشيعة والسنة. فلو كان ذلك صغر السن وحداثته دليل عدم الاستعداد لتلقى الدرجات العالية لما استطاع الإمام علي(ع) أن ينال كل تلك الدرجات الرفيعة الإيمانية والتبعية للنبي(ص) وهو حديث السن؟ وقد نصبه النبي(ص) خليفة له وهو صغيراً كما ورد في الأخبار.

أقول: تحدث العلماء في صحة إيمان علي(ع) وهو صغير وكذا ورد من الأقوال في ذلك وفي تقدم إيمان علي(ع) على =

أنا له عبد

قال محمد بن الحسن بن عمّار؟ كنت عند عليّ بن جعفر بن محمد(ع) جالساً بالمدينة، وكنت أقمت عنده سنتين أكتب عنه ما يسمع من ابن أخيه - يعني أبا الحسن الكاظم(ع)- فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبّل يده وعظّمه.

فقال له أبو جعفر(ع): يا عمّ أجلس رحمك الله.

فقال: يا سيدي كيف أجلس وأنتَ قائم، فلما رجع عليٌّ بن جعفر إلى مجلسه جعل

= سائر الصحابة حتى أبو بكر الذي يدعى أهل السنة في أنه اول من آمن ومن أحسن الأقوال وأجملها وأبلغها كلمة رواها ابن عبد ربه الاندلسي في العقد الفريد الجزء الخامس ص٩٤ عن الخليفة العباسي المأمون في مناظرته مع الفقهاء وهو يوجه حواره إلى اسئلته إلى اسحاق بن اسماعيل بن حماد بن زيد. واليك أيها القاري أحد فصول ذلك الحوار التاريخي والاحتجاج المأموني على الفقهاء في بيان فضل علي(ع).

قال المأمون: يا اسحاق أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله؟ قال اسحاق قلت: الإخلاص بالشهادة قال: أليس السبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم. قال: إقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول: (السابقون السابقون أولئك المقربون) إنما عني من سبق إلى الإسلام فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام؟ قلت: يا أمير المؤمنين بأن علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم وأبو بكر اسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم.

قال المأمون: أخبرني إيهما أسلم قبل؟ ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال. قلت: علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة فقال:نعم. فاخبرني عن إسلام علي حين أسلم لا يخلو من أن يكون رسول الله(ص) دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله قال اسحاق: فاطرقت. فقال لي: يا ساحاق لا تقل إلهاماً فتقدّمه على رسول الله(ص) لإن رسول الله(ص) لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرئيل عن الله تعالى. قلت: أجل بل دعاه رسول الله(ص) إلى الإسلام قال: يا اسحاق فهل يخلو رسول الله(ص) حين دعاه إلى الإسلام. من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه؟ قال اسحاق فاطرقت. فقال: يا اسحاق: لا تنسب رسول الله(ص) إلى التكلف فإن الله يقول: (وما أنا من المتكلّفين) قلت: أجل يا أمير المؤمنين بل دعاه بأمر الله. قال: فهل من صفة الجبار جل ذكره أن يكلّف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟ قلت أعوذ بالله. فقال: افتراه في قياس قولك يا اسحاق أن علياً أسلم صبيّاً لا يجوز عليه= = الحكم وقد كُلّف رسول الله(ص) دعاء الصبيان إلى مالا يطيقونه فهو يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء. ولا يجوز عليهم حكم الرسول(ص) أترى هذا جائز عندك أن تنسبه إلى الله عز وجل؟ قلت أعوذ بالله.

قال يا اسحاق فأراك إنما قصدت لفضيلة فضّل بها رسول الله(ص) علياً على هذا الخلق أبانه بها منهم ليعرف مكانه وفضله ولو كان الله تبرك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليّاً؟ قلت: بلى. قال: فهل بلغك أن الرسول(ص) دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته لئلا تقول أن علياً ابن عمه قلت: لا أدري.

أقول تلاحظ في المناظرة أن المأمون قد أبدع في الاستدلال على أفضلية الإمام علي واكمليته على القوم خاصة أبي بكر. وكذا في المناظرة بعض النقاط خاصة بما يمتّ إلى النبي حيث قال المأمون: أن النبي(ص) لم يعرف الإسلام حتى نزل عليه جبرئيل وهذا مخالف لما تعتقده الشيعة في عصمة النبي(ص)، كمالي.

أصحابه يوبّخونه ويقولون: أنت عمٌّ أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟

فقال: اسكتوا إذا كان الله عزّ وجلّ - وقبض على لحيته- لم يؤهّل هذه الشيبة وأهّل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه، أأنكر فضله؟ نعوذ بالله مما تقولون بل أنا له عبد(١).

بهت الذي كفر ونجا الذي أمر:

قال علي بن خالد: قال محمّد - وكان زيدياً كنت بالعسكر وهو مدينة سامراء فبلغني أنّ هناك رجل محبوس أتي به من ناحية الشام مكبولاً وقالوا إنه تنبّأ.

قال عليّ بن خالد: فأتيت الباب وداريت البوّابين والحجبة حتى وصلت إليه فإذا رجل له فهم، فقلت: يا هذا ما قصّتك وما أمرك؟

قال: إني كنت رجلاً بالشام أعبد الله في الموضع الذي يقال له: موضع رأس الحسين(ع) فبينا أنا في عبادتي إذ أتاني شخص فقال لي، قم بناء فقمت معه بينا أنا معه إذ أنا في مسجد الكوفة.

فقال لي: تعرف هذا المسجد؟

فقلت: نعم هذا مسجد الكوفة.

قال السجين: فصلّى وصلّيت معه، فبينا أنا معه إذ أنا في مسجد رسول الله(ص) في المدينة، فسلّم على رسول الله(ص) وسلّمت وصلّى وصلّيت معه وصلّى على رسول الله(ص)، فبينا أنا معه إذ أنا بمكة، فلم أزل معه حتى قضى مناسكه وقضيت مناسكي معه، فبينا أنا معه، إذا أنا في الموضع الذي كنت أعبد الله فيه بالشام عند مقام رأس الحسين(ع).

(١) ج١: ٣٢٢ (٣٧٩) ح١٢

فلما كان العام القابل إذا أنا به فعل فعلته الأولى فلما فرغنا من مناسكنا وردّني إلى الشام وهمّ بمفارقتي قلت له: سألتك بالحقّ الذي أقدرك على ما رأيت- من طيّ الأرض- إلاّ أخبرتني من أنت؟

فقال: أنا محمد بن علي بن موسى.

قال: فتراقى الخبر - واشتهر- حتى انتهى إلى محمد بن عبد الملك الزيّات - وزير الخليفة العباسي المعتصم- فبعث إليّ وأخذني وكبّلني في الحديد وحملني إلى العراق.

قال علي بن خالد: فقلت له: فارفع القصّة إلى محمد بن عبد الملك ففعل وذكر في قصّته ما كان، فوقّع في قصّته - واستهزأ بالإمام أهانه: - قل للذي أخرجك من الشام في ليلة إلى الكوفة ومن الكوفة إلى المدينة ومن المدينة إلى مكّة وردّك من مكة إلى الشام أن يخرجك من حبسك هذا.

قال علي بن خالد: فغمّني ذلك من أمره ورققت له وأمرته بالعزاء والصبر.

قال: ثم بكّرت عليه فإذا الجند وصاحب الحرس وصاحب السجن وخلقُ الله، فقلت ما هذا؟

فقالوا: المحمول من الشام الذي تنبّأ أفتقد البارحة فلا يُدرى أخسفت به الأرض أو أختطفه الطير(١).

وإنهم لا يعلمون أن ذلك كان إعجازاً من الإمام الجواد(ع) حيث نجّاه من السجن.

يغيّر اسلوبه حتى لا يُشرك الله به

قال عبد الله بن رزين: كنت مجاوراً بالمدينة - مدينة رسول الله(ص)- وكان أبو

(١) ج١: ٤٩٢ (٥٦٦) ح١.

جعفر(ع) يجيء في كل يوم مع الزوال إلى المسجد، فينزل في الصحن ويصير إلى رسول الله(ص) ويسلّم عليه، ويرجع إلى بيت فاطمة(ع) فيخلع نعليه ويقوم فيصلّي.

قال عبد الله: فوسوس إليَّ الشيطان، فقال: إذا نزل فاذهب حتى تأخذ من التراب الذي يطأ عليه، فجلست في ذلك اليوم انتظره لأفعل هذا، فلما أن كان وقت الزوال أقبل(ع) على حماره له، فلم ينزل في الموضع الذي كان ينزل فيه، وجاء حتى نزل على الصخرة التي على باب المسجد ثم دخل فسلّم على رسول الله(ص). ثمّ رجع إلى المكان الذي كان يصلّي فيه، ففعل هذا أياماً، فقلت: إذا خلع نعليه جئت فأخذت الحصا الذي يطأ عليه بقدميه، فلمّا أن كان من الغد جاء عند الزوال فنزل عند الصخرة ثم دخل فسلم على رسول الله(ص) ثم جاء إلى الموضع الذي كان يصلي فيه فصلى في نعليه ولم يخلعهما، حتى فعل ذلك أياماً، فقلت في نفسي: لم يتهيّأ لي هاهنا ولكن إذهب إلى باب الحمّام فإذا دخل إلى الحمّام أخذت من التراب الذي يطأ عليه، فسألت عن الحمّام الذي يدخله.

فقيل لي: إنه يدخل حمّاماً بالبقيع لرجل من ولد طلحة، فتعرّفت اليوم الذي يدخل فيه الحمّام وصرت إلى باب الحمّام وجلست إلى الطلحي أحدثه وأنا أنتظر مجيئه(ع).

فقال الطلحيَّ: إن اردت دخول الحمام، فقم فادخل فإنه لا يتهيّأ لك بعد ساعة.

قلت: ولم؟

قال: لأن ابن الرضا(ع) يريد دخول الحمّام.

قلت: ومن ابن الرضا؟

قال: رجل من آل محمد(ع) له صلاح وورع.

قلت له: ولا يجوز أن يدخل معه الحمّام غيره؟

قال: نخلّي له الحمام إذا جاء.

قال: فبينا أنا كذلك إذ أقبل(ع) ومعه غلمان له وبين يديه غلام معه حصير حتى أدخله، المسلخ فبسطه، ووافى فسلّم ودخل الحجرة على حماره ودخل المسلخ ونزل على الحصير.

فقلت للطلحيّ: هذا الذي وصفته بما وصفت من الصلاح والورع؟

فقال: يا هذا لا والله ما فعل هذا قطّ إلا في هذا اليوم.

فقلت في نفسي: هذا من عملي أنا جنيته، ثم قلت: انتظره حتى يخرج فلعلي أنال ما أردت إذا خرج، فلما خرج وتلبّس دعا بالحمار فأدخل المسلخ وركب من فوق الحصير وخرج(ع) فقلت في نفسي، قد والله آذيته ولا أعود ولا أروم ما رمت منه أبداً، وصحّ عزمي على ذلك. فلما كان وقت الزوال من ذلك اليوم أقبل على حماره حتى نزل في الموضع الذي كان ينزل فيه في الصحن فدخل وسلّم على رسول الله(ص) وجاء إلى الموضع الذي كان يصلّي فيه في بيت فاطمة(ع) وخلع نعليه وقام يصلّي[١].

ردّ الباطل على أهله بصيحة واحدة

قال محمد بن الريّان: احتال المأمون على أبي جعفر(ع) بكل حيلة - في أن يسوقه إلى ما هو عليه من اللهو ويجعله أحد زملائه- فلم يمكنه في شيء، فلما اعتلّ وأراد أن يبني عليه ابنته دفع إليَّ مائتي وصيفة من أجمل ما يكون، إلى كل واحدة منهنّ جاماً فيه جوهر يستقبلن أبا جعفر(ع) إذا قعد في موضع الأخيار فلم يلتفت إليهنّ - وكان

(١) ج١: ٤٩٣ (٥٦٧-٥٦٨) ح٢.

دخوله في ذلك المجلس قهراً وكرهاً ومع ذلك فلم يترك الأمر بالمعروف حتى أن البساط الخليفي اضطرب.

وكان رجل يقال له: مخارق صاحب صوت وعود وضرب، طويل اللّحية، فدعاه المأمون فقال: يا أمير المؤمنين إن كان في شيء من أمر الدُّنيا فأنا أكفيك أمره، فقعد بين يدي أبي جعفر(ع) فشهق مخارق شهقة اجتمع عليه أهل الدار وجعل يضرب بعوده ويغني.

فلمّا فعل ساعة وإذا أبو جعفر(ع) لا يلتفت إليه لا يميناً ولا شمالاً، ثم رفع إليه رأسه وقال: اتق الله يا ذا العثنون - يا صاحب اللحية الطويلة-.

قال: فسقط المضراب من يده والعود فلم ينتفع بيديه إلى أن مات.

فسأله المأمون عن حاله.

قال: لما صاح بي أبو جعفر(ع) فزعتُ فزعة لا أفيق منها أبداً[1].

الإمامة أمر إلهي يعطيها من يشاء صغيراً أم كبيراً

قال عليّ بن اسباط: خرج الإمام الجواد(ع) - وهو حديث السن- عليّ فنظرت إلى رأسه ورجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر فبينا أنا كذلك حتى قعد وقال: يا عليّ إنّ الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج في النبوّة فقال ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾[2].

وقال: ﴿ولما بلغ أشدّه آتيناه حكماً وعلماً﴾[3]. و﴿لما بلغ اشدّه وبلغ أربعين سنة﴾[4] فقد تجوز أن يؤتي الحكم صبياً ويجوز أن يعطاها وهو ابن أربعين سنة[5].

(١) ج١: ٤٩٤-٤٩٥ (٥٦٩) ح٤.
(٢) مريم:١٣.
(٣) يوسف: ٢٢.
(٤) أحقاف: ١٥.
(٥) المصدر ح٣و٥.

كيف أقوم وقد ودّعت البيت

وفي كشف الغمة عن دلائل الحميري، عن أمية بن علي قال: كنت مع أبي الحسن(ع) بمكّة في السّنة التي حجّ فيها ثمّ صار إلى خراسان ومعه أبو جعفر وأبو الحسن(ع) يودع البيت، فلمّا قضى طوافه عدل إلى المقام فصلّى عنده، فصار أبو جعفر(ع) على عنق موفق يطوف به، فصار أبو جعفر(ع) إلى الحجر فجلس فيه فأطال، فقال له موفّق: قم جعلت فداك.

فقال: ما أريد أن أبرح من مكاني هذا إلا أن يشاء الله، واستبان في وجهه الغمّ، فأتى موفّق أبا الحسن(ع) فقال: جعلت فداك قد جلس أبو جعفر(ع) في الحجر وهو يأبى أن يقوم، فقام أبو الحسن(ع) فأتى أبا جعفر(ع) فقال له: قم يا حبيبي.

فقال: ما أريد أن أبرح من مكاني هذا قال: بلى يا حبيبي، ثمّ قال: كيف أقوم وقد ودّعت البيت وداعاً لا ترجع إليه؟

فقال: قم يا حبيبي، فقام معه[1].

بأبي أنت وأمي أنت لها

وعن زكريّا بن آدم قال: أنّي لعند الرضا إذ جيء بأبي جعفر (ع) وسنّه أقلّ من أربع سنين فضرب بيده إلى الأرض ورفع رأسه إلى السّماء فأطال الفكر، فقال له الرّضا(ع): بنفسي فلم طال فكرك؟

فقال: فيما صنع بأُمي فاطمة، أما والله لأخرجنّهما ثم لأحرقنّهما ثم لأذرينّهما ثم

(١) كشف الغمة، ج٣، ص٢١٥، بحار الأوار، ج٤٩، ص١٢٠.

لأنسفتّهما في اليمّ نسفاً، فاستدناه وقبّل بين عينيه، ثمّ قال: بأبي أنت وأُمي أنت لها - يعني الإمامة -(١).

يا محمد ما حال بصرك؟

وعن محمد بن ميمون أنّه كان مع الرّضا(ع) بمكة قبل خروجه إلى خراسان قال: قلت له: أنّي أريد أن أتقدّم إلى المدينة، فاكتب معي كتاباً إلى أبي جعفر(ع)، فتبسّم وكتب، فصرت إلى المدينة وقد كان ذهب بصري.

فأخرج الخادم أبا جعفر(ع) إلينا يحمله من المهد، فناولته الكتاب، فقال لموفّق الخادم: فضّه وانشره، ففضّه ونشره بين يديه، فنظر فيه، ثم قال لي: يا محمد ما حال بصرك؟

قلت: يا بن رسول الله(ص) اعتلّت عيناي، فذهب بصري كما ترى. فقال: ادن منّي، فدنوت منه، فمدّ يده، فمسح بها على عيني فعاد إليّ بصري كأصحّ ما كان، فقبّلت يده ورجله، وانصرفت من عنده، وأنا بصير(٢).

بأبي أنت وأمّي يا شبيه صاحب فطرس

وعن الكشي بسنده عن محمد بن سنان، قال، شكوت إلى الرضا(ع) وجع العين فأخذ قرطاساً فكتب إلى أبي جعفر(ع) وهو أقل من يدي، فدفع الكتاب إلى الخادم وأمرني أن أذهب معه، وقال: اكتم فأتيناه وخادم قد حمله.

قال: ففتح الخادم الكتاب بين يدي أبي جعفر(ع)، قال: فجعل أبو جعفر(ع) ينظر

(١) بحار الأنوار، ج٥٠، ص٥٩.
(٢) الخرائج والجرائح، ج١، ص٣٧٢.

في الكتاب ويرفع رأسه إلى السماء، ويقول: ناج، ففعل ذلك مراراً، فذهب كل وجع في عيني، وأبصرت بصراً لا يبصره أحد.

قال: فقلت لأبي جعفر(ع) جعلك الله شيخاً على هذه الأمة كما جعل عيسى بن مريم شيخاً على بني إسرائيل قال: ثم قلت له: يا شبيه صاحب فطرس قال: فانصرفت وقد أمرني الرضا(ع) أن أكتم، فما زلت صحيح البصر حتى أذعت ما كان من أبي جعفر(ع) في أمر عيني، فعاودني الوجع.

قال: قلت لمحمد بن سنان: ما عنيت بقولك يا شبيه صاحب فطرس؟

فقال: إن الله تعالى غضب على ملك من الملائكة يدعى فطرس، فدقّ جناحه ورمى به في جزيرة من جزائر البحر، فلما ولد الحسين(ع) بعث الله عزّ وجلّ جبريل إلى محمد(ص) ليهنئه بولادة الحسين(ع)، وكان جبريل صديقاً لفطرس فمر به وهو في الجزيرة مطروح، فخبره بولادة الحسين(ع) وما أمر الله به، فقال له: هل لك أن أحملك على جناح من أجنحتي وأمضي بك إلى محمد(ص) ليشفع لك؟

قال: فقال فطرس نعم، فحمله على جناح من أجنحته حتى أتى به محمداً(ص)، فبلغه تهنئة ربه تعالى ثم حدثه بقصة فطرس، فقال محمد(ص) لفطرس: امسح جناحك على مهد الحسين وتمسّح به، ففعل ذلك فطرس، فجبر الله جناحه وردّه إلى منزله مع الملائكة[1].

كتاب الإمام الرّضا إلى ابنه الجواد

روى العياشي: عن محمد بن عيسى بن زياد قال: كنت في ديوان أبي عبّاد فرأيت كتاباً ينسخ، فسألت عنه فقالوا: كتاب الرضا إلى ابنه (ع) من خراسان، فسألتهم أن

(١) رجال الكشي، ص٥٨٣، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٦٦.

يدفعوه إليّ فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أبقاك الله طويلاً وأعاذ من عدوّك يا ولد، فداك أبوك، قد فسّرت لك ما لي وأنا حيّ سويّ رجاء أن ينمّيك الله بالصّلة لقرابتك ولموالي موسى وجعفر رضي الله عنهما.

فأمّا سعيدة فإنّها إمرأة قويّة الحزم في النّحل، وليس ذلك كذلك قال الله: (﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾[1]، وقال: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق ممّا أتاه الله﴾[2]، وقد أوسع الله عليك كثيراً، يا بنى، فداك أبوك، لا تستر دوني الأمور لحبّها فتخطىء حظّك، والسلام[3].

قولي لهم يتهيّأون للمأتم

روى الطبرسي: عن محمد بن أحمد بن يحيى في كتاب نوادر الحكمة، عن موسى بن جعفر، عن أُمية بن علي قال: كنت بالمدينة وكنت أختلف إلى أبي جعفر(ع) وأبو الحسن(ع) بخراسان، وكان أهل بيته وعمومة أبيه يأتونه ويسلمون عليه، فدعا يوماً الجارية فقال: قولي لهم يتهيّأون للمأتم، فلما تفرقوا قالوا: لا سألناه مأتم من؟ فلما كان من الغد فعل مثل ذلك، قالوا: مأتم من؟ قال: مأتم خير من على ظهرها، فأتانا خبر أبي الحسن(ع) بعد ذلك بأيام فإذا هو قد مات في ذلك اليوم[4].

لا تسأل عمّا لا تحتاج إليه

وعن أبي الصّلت الهروي خادم الرضا(ع) في حديث طويل روى فيه كيفية وفاة الرضا(ع) قال فيه: أن الرضا(ع) قال له يوماً:

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٥.
(٢) سورة الطلاق، الآية ٧.
(٣) تفسير العياشي، ج١، ص١٣١، تفسير البرهان ج١، ص٢٣٤، بحار الأنوار، ج٥٠، ص١٠٣.
(٤) إعلام الورى، ص٢٥٠ وعنه البحار، ج٤٩، ص٣١٠.

الساعة يجيء رسوله فاتبعني، فإن قمت من عنده مكشوف الرأس فكلمني بما تشاء، وإن قمت من عنده مغطى الرأس فلا تكلمني بشيء.

قال: فوافاه رسول المأمون، فلبس الرضا(ع) ثيابه وخرج وتبعته، فلما دخل إلى المأمون وثب إليه فقبل بين عينيه وأجلسه معه على مقعده وبين يديه طبق صغير فيه عنب، فأخذ عنقوداً قد أكل نصفه ونصفه باق وقد كان شرّبه بالسم، وقال للرضا(ع): حمل إليَّ هذا العنقود فاستطبته فأكلت منه وتنغّصت به أن لا تأكل منه فأسألك أن تأكل منه.

قال: أو تعفيني من ذلك؟

قال: لا والله فإنّك تسرني بما تأكل منه.

قال: فاستعفاه ثلاث مرات وهو يسأله بمحمد وعلي(ع) أن يأكل منه، فأخذ منه ثلاث حبات فأكلها وغطى رأسه ونهض من عنده فتبعته ولم أكلمه بشيء حتى دخل منزله، فأشار إليّ أن أغلق الباب فأغلقته وصار إلى مقعد له فنام عليه وصرت أنا في وسط الدار فإذا غلام عليه وفرة ظننته ابن الرضا(ع) ولم أكن قد رأيته قبل ذلك.

فقلت: يا سيدي الباب مغلق فمن أين دخلت؟

فقال: لا تسأل عمّا لا تحتاج إليه[1] وقصد إلى الرضا(ع)، فلما بصر به الرضا(ع) وثب إليه وضمه إلى صدره وجلسا جميعاً على المقعد.

ومدّ الرضا(ع) الرداء عليهما فتناجيا طويلاً بما لم أعلمه.

---

(١) في عيون أخبار الرضا: فقلت له: من أين دخلت الدّار والباب مغلق؟
فقال: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق.
فقلت له: ومن أنت؟
فقال لي: أنا حجّة الله عليك يا أبا صلت، أنا محمد بن علي (ج٢، ص٢٤٣).

ثم امتد الرضا(ع) على المقعد وغطاه محمد بالرّداء وصار إلى وسط الدار.

فقال: يا أبا الصلت.

قلت: لبيك يا ابن رسول الله (ص).

قال: أعظم الله أجرك في الرضا فقد مضى فبكيت.

قال: لا تبك، هات المغتسل والماء لنأخذ في جهازه.

فقلت: يا مولاي الماء حاضر ولكن ليس في الدار مغتسل إلا أن يحضر من خارج الدار.

فقال: بل هو في الخزانة، فدخلتها فوجدت فيها مغتسلاً لم أره قبل ذلك، فأتيته به وبالماء.

ثم قال: تعال حتى نحمل الرضا (ع)، فحملناه على المغتسل، ثم قال: اغرب عني فغسّله هو وحده.

ثم قال: هات أكفانه والحنوط. قلت: لم نعد له كفناً.

فقال: ذلك في الخزانة، فدخلتها فرأيت في وسطها أكفاناً وحنوطاً لم أره قبل ذلك، فأتيته به فكفنه وحنطه.

ثم قال لي: هات التابوت من الخزانة، فاستحييت منه أن أقول: ما عندنا تابوت، فدخلت الخزانة فوجدت فيها تابوتاً لم أره قبل ذلك، فأتيته به فجعله فيه.

فقال: تعال حتى نصلّي عليه وصلّى بي، وغربت الشمس، وكان وقت صلاة المغرب، فصلّى بي المغرب والعشاء، وجلسنا نتحدث فانفتح السقف ورفع التابوت.

فقلت: يا مولاي ليطالبني المأمون به فما تكون حيلتي؟

قال: لا عليك فإنه سيعود إلى موضعه فما من نبي يموت في مغرب الأرض ولا يموت وصي من أوصيائه في مشرقها إلا جمع الله بينهما قبل أن يدفن.

فلما مضى من الليل نصفه أو أكثر إذا التابوت قد رجع من السقف حتى استقر

مكانه، فلما صلّينا الفجر قال لي: افتح باب الدار فإن هذا الطاغية يجيئك الساعة فعرّفه أن الرضا(ع) قد فرغ من جهازه.

قال: فمضيت نحو الباب فالتفتّ فلم أره فلم يدخل من باب، ولم يخرج من باب، قال: وإذا المأمون قد وافى، فلما رآني قال: ما فعل الرضا(ع)؟

قلت: أعظم الله أجرك في الرضا(ع)، فنزل وخرّق ثيابه وسفى التراب على رأسه وبكى طويلاً، ثم قال: خذوا في جهازه، قلت: قد فرغ منه.

قال: ومن فعل به ذلك؟ قلت: غلام وافاه لم أعرفه إلا أنّي ظننته ابن الرضا(ع)(١).

يا محمد، اصمت كما صمت آباؤك

وفي البحار عن البرسي: روي أنّه جيء بأبي جعفر(ع) إلى مسجد رسول الله(ص) بعد موت أبيه وهو طفل وجاء إلى المنبر ورقى منه درجة، ثم نطق.

فقال: أنا محمد بن علي الرضا، أنا الجواد، أنا العالم بأنساب الناس في الأصلاب، أنا أعلم بسرائركم وظواهركم، وما أنتم صائرون إليه، علم منحنا به من قبل خلق الخلق أجمعين، وبعد فناء السماوات والأرضين، ولولا تظاهر أهل الباطل ودولة أهل الضلال ووثوب أهل الشك لقلت قولاً يعجب منه الأوّلون والآخرون، ثم وضع يده الشريفة على فيه وقال: «يا محمّد اصمت كما صمت آباؤك من قبل»(٢).

---

(١) الخرائج والجرائح، ج١، ص٣٥٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٥٠، ص١٠٨.

خطبة الإمام الجواد[ع] في عهد الطفولة

قال ابن شهر آشوب: وكان عليه السلام شديد الأدمة فشكّ فيه المرتابون وهو بمكة فعرضوه على القافة، فلما نظروا إليه خروا لوجوههم سجداً، ثم قاموا فقالوا: يا ويحكم أمثل هذا الكوكب الدّري والنور الزاهر، تعرضون على مثلنا؟! وهذا والله الحسب الزّكي والنسب المهذّب الطاهر ولدته النّجوم الزّواهر والأرحام الطّواهر، والله ما هو إلا من ذرّية النبي(ص) وأمير المؤمنين(ع) وهو في ذلك الوقت ابن خمس وعشرين شهراً.

فنطق بلسان أرهف من السيف، يقول: «الحمد لله الذي خلقنا من نوره، واصطفانا من بريّته، وجعلنا أمناء على خلقه ووحيه: أيّها الناس، أنا محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي سيد العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ابن فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى(ع) أجمعين.

أفي مثلي يشك وعلى الله تبارك وتعالى وعلى جدي يفترى وأعرض على القافة؟

إني والله لأعلم ما في سرائرهم وخواطرهم، وإني والله لأعلم الناس أجمعين، بما هم إليه صائرون، أقول حقاً وأظهر صدقاً علماً قد نبأه الله تبارك وتعالى قبل الخلق أجمعين وبعد بناء السماوات والأرضين.

وأيمُ الله لولا تظاهر الباطل علينا وغواية ذرية الكفر، وتوثّب أهل الشرك والشك والشقاق علينا، لقلت قولاً يعجب منه الأوّلون والآخرون.

ثم وضع يده على فيه، ثم قال: يا محمد اصمت كما صمت آباؤك» ﴿فاصبر كما

صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعةً من نهارٍ بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾[١] ثم أتى إلى رجل بجانبه فقبض على يده فما زال يمشي يتخطى رقاب الناس وهم يفرجون له.

قال: فرأيت مشيخة أجلائهم ينظرون إليه ويقولون: الله أعلم حيث يجعل رسالته. فسألت عنهم، فقيل: هؤلاء قوم من بني هاشم من أولاد عبد المطلب، فبلغ الرضا(ع) وهو في خراسان ما صنع ابنه.

فقال: «.... الحمد لله الذي جعل في ابني محمد أسوة برسول الله(ص) وابنه إبراهيم (ع)»[٢].

لماذا تفتي من دون علم؟

وفي عيون المعجزات: أنه لمّا قبض الرضا(ع) كان سنّ أبي جعفر(ع) سبع سنين فاختلفت الكلمة من الناس ببغداد وفي الأمصار، واجتمع الريان بن الصلت وصفوان بن يحيى ومحمد بن حكيم وعبد الرحمن بن الحجاج ويونس بن عبد الرحمن وجماعة من وجوه الشيعة وثقاتهم في دار عبد الرحمن بن الحجاج في بركة زلول، يبكون ويتوجعون من المصيبة.

فقال لهم يونس بن عبد الرحمن: دعوا البكاء، من لهذا الأمر وإلى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا؟ يعني أبا جعفر(ع).

فقام إليه الرّيان بن الصلت ووضع يده في حلقه ولم يزل يلطمه ويقول له: أنت تظهر الإيمان لنا وتبطن الشك والشرك، ان كان أمره من الله جل وعلا فلو أنه كان ابن يوم

(١) سورة الأحقاف، ص٣٥.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٠، ص٩، عن ابن شهر آشوب.

واحد لكان بمنزلة الشيخ العالم وفوقه، وإن لم يكن من عند الله فلو عمر ألف سنة فهو واحد من الناس هذا مما ينبغي أن يفكر فيه. فأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبّخه.

وكان وقت الموسم، فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً، فخرجوا إلى الحجّ وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر(ع)، فلمّا وافوا أتوا دار جعفر الصادق(ع) لأنها كانت فارغة، ودخلوها وجلسوا على بساط كبير وخرج إليهم عبد الله بن موسى فجلس في صدر المجلس وقام منادٍ وقال: هذا ابن رسول الله(ص) فمن أراد السؤال فليسأله. فسئل عن أشياء أجاب عنها بغير الواجب، فورد على الشيعة ما حيّرهم وغمّهم، واضطربت الفقهاء، وقاموا وهمّوا بالانصراف، وقالوا في أنفسهم: لو كان أبو جعفر(ع) يكمل لجواب المسائل لما كان من عبد الله ما كان، ومن الجواب بغير الواجب.

ففتح عليهم باب من صدر المجلس ودخل موفّق وقال: هذا أبو جعفر(ع)، فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه وسلّموا عليه، فدخل صلوات الله عليه وعليه قميصان وعمامة بذؤابتين وفي رجليه نعلان وجلس وأمسك الناس كلهم.

فقام صاحب المسألة فسأله عن مسائله فأجاب(ع) عنها بالحقّ، ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا له: أن عمّك عبد الله أفتى بكيت وكيت.

فقال: لا إله إلا الله يا عم، إنه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يديه فيقول لك: لم تفتي عبادي بما لم تعلم وفي الأمة من هو أعلم منك[1]؟

(١) بحار الأنوار، ج٥٠، ص٩٩، عيون المعجزات، ص١١٩.

الإمام الجواد(ع) والخليفة العبّاسي

وفي المحجة البيضاء أن أبا جعفر محمد بن علي(ع) لمّا توفي والده علي الرضا(ع) وقدم الخليفة المأمون بعد وفاته بغداد بسنة اتّفق أنّه خرج يوماً إلى الصيد فاجتاز بطرف البلد في طريقه والصّبيان يلعبون ومحمد واقف معهم وكان عمره يومئذ إحدى عشرة سنة فما حولها، فلمّا أقبل المأمون انصرف الصّبيان هاربين ووقف أبو جعفر(ع) فلم يبرح مكانه، فقرب منه الخليفة فنظر إليه وكان الله عزّ وعلا قد ألقى عليه مسحة من قبول، فوقف الخليفة وقال: يا غلام ما منعك من الانصراف مع الصبيان؟

فقال له محمد مسرعاً: يا أمير المؤمنين(ع) لم يكن بالطريق ضيق لأوسعه عليك بذهابي، ولم يكن لي جريمة فأخشاها، وظنّي بك حسن أنك لا تضرّ من لا ذنب له.

فوقف فأعجبه كلامه ووجهه فقال له: ما اسمك؟

قال: محمد.

قال: ابن من أنت؟

قال: أنا ابن علي الرضا؟

فترحّم على أبيه وساق إلى وجهته وكان معه بزاة، فلمّا بعد عن العمارة أخذ بازياً فأرسله على درّاجة فغاب عن عينه غيبة طويلة، ثم عاد من الجود وفي منقاره سمكة صغيرة وبها بقايا الحياة، فتعجّب الخليفة من ذلك غاية العجب. ثم أخذها في يده وعاد إلى داره في الطريق الذي أقبل منه، فلمّا وصل إلى ذلك المكان وجد الصّبيان على حالهم فانصرفوا كما فعلوا أوّل مرّة وأبو جعفر(ع) لم ينصرف ووقف كما وقف أولاً، فلمّا دنا منه الخليفة قال: يا محمد. قال: لبيك.

قال: ما في يدي؟

فألهمه الله عز وجل أن قال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى خلق بمشيته في بحر قدرته سمكاً صغاراً تصيدها بزاة الملوك والخلفاء فيختبرون بها سلالة أهل بيت النبوة.

فلمّا سمع المأمون كلامه عجب منه، وجعل يطيل نظره إليه، وقال: أنت ابن الرضا(ع) حقاً وضاعف إحسانه إليه[1].

جواب الإمام عن صعاب المسائل

وفي تحف العقول: أنّه لمّا عزم المأمون على أن يزوّج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر محمد بن علي الرضا(ع) اجتمع إليه أهل بيته الأدنون منه، فقالوا له: يا أمير المؤمنين ناشدك أن تخرج عنا أمراً قد ملكناه وتنزع عنّا عزّاً قد لبسناه وتعلم الأمر الذي بيننا وبين آل علي قديماً وحديثاً.

فقال المأمون: أمسكوا والله لا قبلت من واحد منكم في أمره.

فقالوا: يا أمير المؤمنين أتزوّج ابنتك وقرّة عينك صبياً لم يتفقّه في دين الله ولا يعرف حلاله من حرامه ولا فرضاً من سُنّة، ولأبي جعفر(ع) إذ ذاك تسع سنين، فلو صبرت له حتى يتأدّب ويقرأ القرآن ويعرف الحلال من الحرام.

فقال المأمون: إنه لأفقه منكم وأعلم بالله ورسوله وسنّته وأحكامه، وأقرأ لكتاب الله منكم وأعلم بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وظاهره وباطنه وخاصّه وعامّه وتنزيله وتأويله منكم، فاسألوه فإن كان الأمر كما وصفتم قبلت منكم، وإن كان الأمر

(١) المحجة البيضاء، ج٤، ص٢٩٥.

على ما وصفت علمت أن الرجل خلف منكم فخرجوا من عنده وبعثوا إلى يحيى بن أكثم وهو يومئذ قاضي القضاة فجعلوا حاجتهم إليه وأطمعوه في هدايا على أن يحتال على أبي جعفر(ع) بمسألة في الفقه لا يدري ما الجواب فيها.

فلما حضروا وحضر أبو جعفر. قالوا: يا أمير المؤمنين هذا القاضي إن أذنت له أن يسأل.

فقال المأمون: يا يحيى سل أبا جعفر(ع) عن مسألة في الفقه لتنظر كيف فقهه. فقال يحيى: يا أبا جعفر(ع) أصلحك الله ما تقول في محرم قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر(ع): قتله في حلٍّ أم حرم، عالماً أو جاهلاً، عمداً أو خطأً، عبداً أو حُرّاً، صغيراً أو كبيراً، مبدئاً أو معيداً، من ذوات الطير أو غيره، من صغار الطير أو كباره، مُصرّاً أو نادماً، بالليل في أوكارها أو بالنهار وعياناً، محرما للحج، أو للعمرة؟

قال: فانقطع يحيى انقطاعاً لم يخف على أحد من أهل المجلس انقطاعه وتحيّر الناس عجباً من جواب أبي جعفر(ع).

فقال المأمون: أخطب أبا جعفر(ع).

فقال(ع): نعم يا أمير المؤمنين، فقال: الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إجلالاً لعظمته، وصلى الله على محمد وآله عند ذكره، أما بعد: فقد كان من قضاء الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال جلّ وعزّ: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾[1].

(١) سورة النور، الآية ٣٢.

ثم إن محمد بن علي خطب أم الفضل ابنة عبد الله وقد بذل لها من الصداق خمسمائة درهم فقد زوّجته فهل قبلت يا أبا جعفر؟

فقال(ع): قد قبلت هذا التزويج بهذا الصداق، فأولم المأمون وأجاز الناس على مراتبهم أهل الخاصة وأهل العامة والأشراف والعمّال، وأوصل إلى كل طبقة بِرّاً على ما يستحقّه.

فلمّا تفرّق أكثر الناس قال المأمون: يا أبا جعفر(ع) إن رأيت أن تعرفنا ما يجب على كل صنف من هذه الأصناف في قتل الصيد؟

فقال(ع): إنّ المحرم إذا قتل صيداً في الحلّ وكان الصّيد من ذوات الطير من كبارها فعليه شاة فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإن قتل فرخاً في الحلّ فعليه حمل قد فطم، فليست عليه القيمة لأنه ليس في الحرم وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش فعليه في حمار الوحش بقرة وإن كان نعامة فعليه بدنة فإن لم يقدر فإطعام ستّين مسكيناً فإن لم يقدر فليصم ثمانية عشر يوماً وإن كان بقرة فعليه بقرة فإن لم يقدر فليطعم ثلاثين مسكيناً فإن لم يقدر فليصم تسعة أيام وإن كان ظبياً فعليه شاة فإن لم يقدر فليطعم عشرة مساكين فإن لم يجد فليصم ثلاثة أيام وإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة حقّاً واجباً أن ينحره إن كان في حجٍّ بمنى حيث ينحر الناس وإن كان في عمرة ينحره بمكة في فناء الكعبة ويتصدق بمثل ثمنه حتى يكون مضاعفاً، وكذلك إذا أصاب أرنباً أو ثعلباً فعليه شاة، ويتصدق بمثل ثمن شاة وإن قتل حماماً من حمام الحرم، فعليه درهم يتصدق به ودرهم يشتري به علفاً لحمام الحرم وفي الفرخ نصف درهم، وفي البيضة ربع درهم، وكل ما أتى به المحرم بجهالة أو خطأ فلا شيء عليه إلا الصيد فإن عليه

فيه الفداء بجهالة كان أم بعلم، بخطأ كان أم بعمدٍ، وكل ما أتى به العبد فكفّارته على صاحبه، مثل ما يلزم صاحبه وكل ما أتى به الصغير الذي ليس ببالغ فلا شيء عليه فإن عاد فهو ممن ينتقم الله منه، وإن دل على الصيد وهو محرم وقتل الصيد فعليه فيه الفداء والمُصرّ عليه يلزمه بعد الفداء العقوبة في الآخرة والنادم لا شيء عليه بعد الفداء في الآخرة، وإن أصابه ليلاً أو كارهاً خطأ فلا شيء عليه إلا أن يتصيّد فإن تصيّد بليلٍ أو نهارٍ فعليه فيه الفداء، والمحرم للحج ينحر الفداء بمكة.

قال: فأمر أن يكتب ذلك عن أبي جعفر(ع) ثم التفت إلى أهل بيته الذين أنكروا تزويجه، فقال: هل فيكم من يجيب بهذا الجواب؟

قالوا: لا والله ولا القاضي.

فقالوا: يا أمير المؤمنين كنت أعلم به منا.

فقال: ويحكم أما علمتم أن أهل هذا البيت ليسوا خلقاً من هذا الخلق؟ أما علمتم أن رسول الله(ص) بايع الحسن والحسين(ع) وهما صبيّان ولم يبايع غيرهما طفلين؟ أو لم تعلموا أن أباهم علياً(ع) آمن برسول الله(ص) وهو ابن تسع سنين فقبل الله ورسوله إيمانه ولم يقبل من طفل غيره ولا دعا رسول الله(ص) طفلاً غيره أو لم تعلموا أنها ذرية بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأولهم[1]؟

اسأل يحيى كما سألك

ثم إن المأمون العباسي التفت إلى الجواد (ع) وقال: فإن رأيت ان تسأل يحيى عن مسألة كما سألك.

(١) تحف العقول، ص٤٥١.

فقال أبو جعفر ليحيى: أسألك.

قال: ذلك إليك جُعلت فداك فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك.

فقال له أبو جعفر (ع): خبّرني عن رجل نظر إلى امرأة في أوّل النّهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلّت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلّت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلّت له، فلمّا كان انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له ما حال هذه المرأة؟ وبماذا حلّت له وحرمت عليه؟

فقال له يحيى بن أكثم: لا والله ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال ولا أعرف الوجه فيه فإن رأيت أن تفيدناه.

فقال له أبو جعفر(ع): هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبي في أوّل النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلما كان الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلّت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظهار فحلّت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلّت له.

قال: فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحدٌ يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟

قالوا: لا والله إن أمير المؤمنين أعلم وما أرى. فقال لهم: ويحكم إن أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أن رسول الله(ص) افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)

وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام وحكم له به ولم يدع أحداً في سنه غيره وبايع الحسن والحسين (ع) وهما ابنا دون الستّ سنين ولم يبايع صبياً غيرهما أفلا تعلمون الآن ما اختصّ الله به هؤلاء القوم وأنّهم ذريّة بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟

قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين، ثم نهض القوم(١).

أحاديث يحيى بن أكثم وأجوبة الإمام(ع)

وروى الطبرسي في الاحتجاج قال: روي أن المأمون بعدما زوج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر(ع) كان في مجلس وعنده أبو جعفر(ع) ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة فقال له يحيى بن أكثم: ما تقول يا بن رسول الله(ص) في الخبر الذي روي أنه نزل جبرئيل(ع) على رسول الله(ص) وقال: يا محمد(ص) إن الله عزّ وجلّ يقرؤك السلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عني راض فإني عنه راض.

فقال أبو جعفر(ع): لست بمنكر فضل أبي بكر ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله(ص) في حجة الوداع قد كثرت علي الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنّتي فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾(٢) فالله عزّ وجلّ خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره هذا مستحيل في العقول.

---

(١) الإرشاد، ج٢، ص٢٨٦.

(٢) سورة ق، الآية ١٦.

ثم قال يحيى بن أكثم: وقد روي أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء فقال: وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عز وجل وإن أسلما بعد الشرك فكان أكثر أيّامهما الشرك بالله فمحال أن يشبههما بهما.

قال يحيى: وقد روي أيضاً أنّهما سيدا كهول أهل الجنة فما تقول فيه؟

فقال(ع): وهذا الخبر محال أيضاً لأن أهل الجنة كلّهم يكونون شباباً ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قاله رسول الله(ص) في الحسن والحسين(ع) بأنهما سيّدا شباب أهل الجنة.

فقال يحيى بن أكثم: وروي أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة.

فقال(ع): وهذا أيضاً محال، لأن في الجنة ملائكة الله المقربين وآدم ومحمد وجميع الأنبياء والمرسلين لا تضيء الجنة بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر؟

فقال يحيى: وقد روي أن السّكينة تنطق على لسان عمر.

فقال(ع): لست بمنكر فضل عمر ولكن أبا بكر أفضل من عمر، فقال على رأس المنبر: إن لي شيطاناً يعتريني فإذا ملت فسدّدوني.

فقال يحيى: قد روي أن النبي (ص) قال: لو لم أبعث لبعث عمر.

فقال (ع): كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقل الله في كتابه: ﴿وإذا أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾[1] فقد أخذ الله ميثاق النّبيّين فكيف يمكن أن يبدل

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧.

ميثاقه وكل الأنبياء(ع) لم يشركوا بالله طرفة عين فكيف يبعث بالنّبوة من أشرك وكان أكثر أيّامه مع الشّرك بالله، وقال رسول الله(ص): نُبئت وآدم بين الروح والجسد.

فقال يحيى بن أكثم: وقد روي أيضاً أن النبي(ص) قال: ما احتبس عنّي الوحي قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب.

فقال(ع): وهذا محال أيضاً، لأنه لا يجوز أن يشك النبي(ص) في نبوّته.

قال الله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾[1] فكيف يمكن أن تنتقل النّبوة ممن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به؟!

قال يحيى: روي أن النبي(ص) قال: لو نزل العذاب لما نجا منه إلا عمر.

فقال(ع): وهذا محال أيضاً، لأن الله تعالى يقول: ﴿ما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم ما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون﴾[2] فأخبر سبحانه أنّه لا يعذّب أحداً ما دام فيهم رسول الله(ص) وما داموا يستغفرون[3].

---

(١) سورة الحج، الآية ٧٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٣٣.

(٣) الإحتجاج، ج٢، ص٤٤٦، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٨١.

المعصوم الثاني عشر

الإمام العاشر

علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

هويّة المعصوم الثاني عشر
الإمام العاشر
علي الهادي(ع)

الاسم: علي(ع).

ألقابه المشهورة: الهادي، النّقي.

الكنية: أبو الحسن الثالث(ع).

الأب والأم: الإمام الجواد(ع)، سمانة المغربية(ع).

تاريخ ومحل الولادة: ولد(ع) في اليوم «١٥» من ذي الحجة سنة «٢١٢ هـ ق» في قرية صريّا، قرب المدينة المنوّرة.

الشهادة: استشهد(ع) في اليوم الثالث من شهر رجب في سنة «٢٥٤ هـ ق» عن عمر ناهز «٤١» سنة في مدينة سامراء أثر سمّ دسّه إليه المعتز (ثالث عشر خلفاء بني العباس) بيد المعتمد العباسي.

مرقده الشريف: مدينة سامراء الواقعة في العراق.

أدوار حياته الشريفة في ثلاث مراحل:

١ - ثماني سنوات قبل إمامته من ذي الحجة سنة «٢١٢ هـ ق» إلى سنة «٢٢٠ هـ ق».

٢ - عصر إمامته في عصر خلفاء ما قبل المتوكل «١٣» سنة تقريباً من سنة «٢٢٠ هـ ق» إلى سنة «٢٣٢ هـ ق».

٣ - في عصر إمامته ومع أصعب الظروف في عصر خلافة الدكتاتور الطاغي المتوكل (عاشر خلفاء بني العباس) «١٥» سنة تقريباً، ثم الخلفاء بعد المتوكل وهم: المنتصر، المستعين، المعتز.

وقد تصدى(ع) «٣٣» سنة لمقام الإمامة والولاية.

١ - *منزلة الإمام الهادي في المدينة، وحلّه مشاكل الناس:*

كان الإمام الهادي(ع) هو الإمام الحق بعد أبيه الإمام الجواد(ع)، وكان له أصحاب ومريدون كثيرون في المدينة والحجاز، ويقيم صلاة الجماعة في أحد مساجد المدينة، ويسعى جاداً بما أوتي من قوة إلى حل مشاكل الناس الدينية والدنيوية، بل كان عارفاً بتدبير الأمور، وهادياً محباً للناس، يتقدم عليهم في جميع الأمور الحسنة، وإقامة الشعائر الدينية، بالأخص في رفع حاجة المحتاجين والمستضعفين.

احتلّ الإمام الهادي(ع) في قلوب الناس مكانة جليلة، ولذا لما سمع أهل المدينة أن المتوكل يسعى بجلاوزته حمل الإمام(ع) من المدينة إلى سامراء ضجوا ضجة واحدة بالبكاء والعويل، بشكل لم تشهد له المدينة مثيلاً.

فنحاول هنا أن نعطف أنظاركم إلى نموذج من أخلاق الإمام الهادي(ع) وكرامته

فيما يخصّ الحفاظ على الشعائر الدينية.

يحدثنا إسحاق الجلاب عن شهر ذي الحجة يوم عرفة قائلاً: أمرني الإمام الهادي(ع) أن أشترى له غنماً كثيرة فنفذتُ ما أمرني به واشتريت له(ع) غنماً كثيرة، فدعاني فأدخلني من إصطبل داره إلى موضع واسع لا أعرفه، فجعلت أفرق تلك الغنم فيمن أمرني به من أقاربه والناس يستعدون لإقامة الشعائر الدينية في يوم عيد الأضحى وتقديم القرابين.

ويقول خيران الأسباطي: ذهبت إلى الإمام الهادي(ع) في المدينة فقال لي: ما خبر الواثق عندك؟ (التاسع من خلفاء بني العباس).

قلت: جُعِلْتُ فِداكَ خلَّفْته في عافية، أنا من أقرب الناس عهداً به، عهدي به منذ عشرة أيام.

ثم قال(ع): ما فعل جعفر - يعني المتوكل؟

قلت: تركته أسوأ الناس حالاً في السجن.

ثم قال: ما فعل ابن الزيات؟

قلت: جُعِلْت فداك الناس معه والأمر أمره.

قال(ع): أما الواثق فقد مات، وأما المتوكل فإنه صاحب الأمر جلس مكان الواثق، وأما إبن الزيات فقد قُتِل.

فقلت: متى جُعِلْت فداك؟

قال(ع): بعد خروجك بستة أيام[1].

(١) أعيان الشعية: ج٢، ص ٣٧ - أصول الكافي: ج ١، ص ٤٩٩ - إرشاد المفيد (ره): ج٢، ص ٣٠١.

٢ - الإمام الهادي(ع) في المنفى:

لما تولى المتوكل في سنة «٢٣٢ هـ ق» الخلافة، اتخذ مدينة سامراء عاصمة له، فسعى مرتزقته وعيونُه، بعد فترة على الإمام الهادي(ع) وأخذوا يخوّفونه من وجوده الشريف.

فأخبره عبد الله بن محمد أميرُه عليّ المدينة، أن على بن محمد الهادي(ع) قد أحتل مكانةً مرموقةً في المدينة بين أصحابه ومحبيه وهم يترددون على منزله.

وورد أيضاً: أن شخصاً يقال له «بريحة العباسى» كتب إلى المتوكل:

«إن كان لك في الحرمين حاجةٌ فأخرِجْ عليَّ بن محمد منها، فإنه قد دعا الناسَ إلى نفسه واتّبعه خلقٌ كثير».

وكان المتوكل ذاته يحمل عداوة شديدة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) وآل علي(ع). ولم يستطيع أن يتحمل وجودّهم.

فطلب المتوكل يحيى بن هرثمة وأمره أن يَجْلِبَ الإمام الهادي(ع) من المدينة إلى سامراء.

قال يحيى بن هرثمة: فذهبتُ إلى المدينة، فلما دخلْتها وعرف أهلُها سببَ قدومي، ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على الإمام(ع) وقامت الدنيا على ساق. لأنه(ع) كان محسناً إليهم وملازماً للمسجد يصلي فيهم، ويقدم لهم المواعظ والنصائح، ويحل مشاكلهم، ولم يكن عنده ميلٌ إلى الدنيا، بل كان همه أن يحل المشكلات الاجتماعية التي تواجه الناس مع كونه من أهل بيت الرسالة، ولذا خرجت الناس رجالاً ونساء صغاراً وكباراً، وهم يبكون ويضجون لخروج الإمام(ع) من المدينة.

قال يحيى: فلما رأيت ذلك جعلت أُسَكِّنُهم وأحلف لهم، أني لم أُؤْمر فيه بمكروهٍ، وأنه لا بأس عليه، ثم فتشتُ منزله، فلم أجد فيه إلا مصاحفَ وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني وتوليت خدمته بنفسي، وأحسنتُ عشرته[1].

فخرج الإمام الهادي(ع) مضطراً مع يحيى بن هَرْثَمة، من المدينة متوجهاً إلى سامراء، ومع أن المتوكل كان قد تعهد للإمام(ع) أن يكرمه ويحترمه وينزله معززاً ومكرماً. ولكنه - كما هو ديدن الظالمين في عدم وفائهم بما يقولون - لما وصل الإمام(ع) سامراء حجبه عنه في يومه فنزل الإمام(ع) في خان يقال له خان الصعاليك، وأقام به يومه، ثم تقدم المتوكل بأفرادِ دارٍ له، فانتقل إليه وكان تحت رقابة شديدة[2].

٣ - فتوى الإمام الهادي(ع) وقبول المتوكل:

جاءوا في أيام أم المتوكل العباسي برجل نصراني إلى المتوكل قد زنى بإمرأة مسلمة، فأراد المتوكل الخليفة أن يقيم عليه حد الزّنا. فبادر النصراني فأسلم.

وكان يحيى بن أكثم قاضي قضاة الحكومة العباسية حاضراً في المجلس فقال المتوكل:

«قد هدم إيمانُه شركَه وفعلَه». (إذا لا يجري عليه الحد).

فقال بعض الحاضرين: يضرب ثلاثة حدود.

وقال الآخرون: غير ذلك.

فأدرك المتوكل أنّ ليس لمثل هذه المعضلة إلا الإمام الهادي(ع) فكتب فوراً كتاباً إلى

---

(١) أعيان الشعية ج٢، ص ٣٧.

(٢) إرشاد المفيد (ره): ج٢، ص ٢٩٨ - أعلام الورى، ص ٣٤٨.

الإمام(ع) يسأله عن الجواب.

فلما وصل الكتاب إلى الإمام(ع) قرأه وكتب في جوابه:

«يُضْرَبُ حتى يَمُوتَ».

فلمّا قرأ المتوكل جواب الإمام(ع) أنكر يحيى بن أكثم وأنكر فقهاء العسكر - يعني علماء البلاط - ذلك فقالوا:

«يا أمير المؤمنين اسأله عن ذلك فإنه شيء لم ينطق به الكتاب - القرآن - ولم تجيء به سنة نبوية، فكتب المتوكل مرة أخرى إلى الإمام(ع) مستفسراً عن علة الحكم قائلاً:

«إن الفقهاء قد أنكروا هذا، وقالوا: لم تجيء به سنة لم ينطق به كتاب، فبين لنا لِمَ أوجبت عليه الضرب حتى الموت؟»

فكتب الإمام(ع) في جوابه وأشار في كتابه إلى الآيتين. «٨٤» و «٨٥» من سورة المؤمن في قوله تعالى:

﴿فلما رأوا بَأسَنا قالوا آمنا بالله وكَفَرنا بما كنا به مُشْركين ❖ فَلَم يَكُ ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سُنَّتَ الله التي قد خَلَتْ في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾.

فلما وصل جواب الإمام الهادي(ع) إلى المتوكل قرأه واستحسنه وأمر فضرب الرجل النصراني حتى مات[1].

(١) تفسير نور الثقلين: ج٤، ص ٥٣٧ - مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص ٤٠٧.

٤ - سؤال قيصر الرُّوم وجوابه:

كتب قيصر الرُّوم كتاباً إلى أحد خلفاء بني العباس جاء فيها:

«جاء في كتاب الإنجيل أنه من قرأ سورة خالية من سبعة أحرف، حرم الله جسده من نار جهنّم، وهذه الأحرف السبعة عبارة عن «ث، ج، خ، ز، ش، ظ، ف» وبحثنا كثيراً فلم نعثر على هكذا سورة في كتب التوراة والزّبور والإنجيل فهل يوجد في كتابكم السماوي تلك السورة؟»

فجمع الخليفة العباسي جميع العلماء وعرض عليهم السؤال فعجزوا عن الجواب وأخيراً طرحوا هذا السؤال على الإمام الهادي(ع)، فأجاب(ع) قائلاً:

«هذه السورة هي سورة الحمد التي تكون خالية من الأحرف السبعة».

فسألوا: ما فلسفة خلو هذه السورة من الأحرف السبعة.

فأجاب الإمام(ع): إن حرف «ث» إشارة إلى الثبور، وحرف «ج» إشارة إلى الجحيم وحرف «خ» إشارة إلى الخبيث، وحرف «ز» إلى الزّقوم، وحرف «ش» إشارة إلى الشّقاوة، وحرف «ظ» إشارة إلى الظلمة، وحرف «ف» إشارة إلى الآفة.

فأرسل الخليفة هذا الجواب لقيصر الروم، وشعر قيصر بالفرح بعد حصوله على الجواب وإعتنق الإسلام وخرج من الدنيا مسلماً[1].

٥ - الإعدام الثوري للمبتدع الماكر:

كان في أيام علي الهادي(ع) رجل يسمى بـ «فارس بن حاتم بن ماهُوية القزويني» مشعوذاً داعياً إلى البدعة يخدع الناسَ ويُضْعِفُ إيمانهم بمعتقداتهم الدينية،

(١) شرح الشافية، لأبي فراس، طبقاً لنقل منتخب التواريخ: ص ٧٩٥.

ويدعوهم إلى دينه ومعتقداته.

سمع الإمام الهادي(ع) بخبر هذا الشيطان، فاتخذ موقفاً حاداً وقاطعاً لمواجهته فكتب إلى أصحابه: «هذا فارس بن حاتم القزويني لعنة الله يعمل من قِبَلي فتّاناً داعياً إلى البدعة، ودَمُهُ هدر لكل من قتله، فمن هذا الذي يريحني منه ويقتله! وأنا ضامن له على الله الجنة».

واختار الإمام الهادي(ع) أحد أصحابه باسم «أبو جنيد» وأعطاه دراهم وقال له: اشتر بها سلاحاً واعرضه عليّ.

يقول أبو جنيد: ذهبت فاشتريت سيفاً فعرضته عليه.

فقال الإمام الهادي(ع): ردّ هذا وخذ غيره.

قال أبو جنيد: فرددته وأخذت مكانه ساطوراً فعرضته على الإمام(ع)، فقال الإمام(ع): هذا نعم.

قال أبو جنيد: فجئت إلى فارس وترصدت له، وقد خرج من المسجد بين صلاتي المغرب والعشاء فضربته على رأسه فسقط ورميت الساطور، واجتمع الناس وأُخِذْتُ إذ لم يوجد هناك غيري، وعندما لم يروا معي سلاحاً ولا سكيناً ولا أثر الساطور، أطلقوا سراحي(١).

وبهذه الصورة نفذ الإمام الهادي(ع) حكم الإعدام في حق هذا المجرم، وتخلص قاتله لأنهم لم يعرفوه، وعين الإمام الهادي والإمام الحسن العسكري(ع) راتباً وحقوقاً تدفع إلى أبو جنيد في كل شهر(٢).

(١) سفينة البحار: ج٢، ص ٣٥٦ - بحار الأنوار: ج٥٠، ص ٢٠٥.
(٢) إرشاد الشيخ المفيد (ره) ج٢، ص ٢٤٣.

٦ - استجابة دعاء الإمام الجواد(ع) وشكر الإمام الهادي(ع):

كان في عصر الإمامين الجواد والهادي(ع) أحد النّواصب يقال له «عُمر الفرج الرّخجي» وهو أمير المدينة وكان يسبب المتاعب والأذى للإمامين(ع). حتى وصلت الوقاحة به إلى حد قال ذات يوم للإمام الجواد(ع) أظنك سكراناً.

فقال الإمام الجواد(ع): «اللّهم إن كُنْتَ تَعْلَمُ أني أمْسَيْتُ لك صَائِماً فأذِقْهُ طَعْمَ الحرب، وذُلّ الأسر».

ولم تطل به الأيام حتى سخط عليه المتوكل في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وأمر أن يؤخذ منه مالٌ وجواهر ومائة وعشرون ألف ديناراً ويؤخذ من أخيه نحو مائة وخمسون ألف ديناراً.

ثم غضب عليه ثانياً، وأمر أن يصفع في كل يوم فأحصي ما صفع فكانت ستة آلاف صفعة وألبس جبة صوف ثم رضى عنه ثم سخط عليه ثالثة وأخذ إلى بغداد وأقام بها حتى مات (قد يكون العدو سبباً للخير).

عن محمد بن سنان قال: دخلت على أبي الحسن الهادي(ع) فقال: يا محمد حدث بآل فرج حدث؟

فقلت: مات عمر.

فقال الإمام الهادي(ع): الحمد لله (حتى أحصيت له أربعاً وعشرين مرة.)

فقلت: يا سيدي لو علمت أن هذا يسرك لجئت حافياً أعدو إليك.

قال الإمام الهادي(ع): يا محمد أو لا تدري ما قال لعنه الله لمحمد بن عليّ - الجواد - أبي(ع)؟

قلت: لا.

قال(ع): خاطبه الإمام الجواد(ع) في شيء فقال عمر الفرج: أظنك سكراناً.

فدعا عليه أبي(ع) وأبتلى بالذلة والأسر والله ما ذهبت الأيام حتى فقد حاله، وما كان له، ثم أُخِذَ أسيراً وهو ذا قد مات - لا رحمةُ الله - وقد أذل الله عزّ وجلّ منه وما زال يذل أولياءه من أعدائه(١).

٧ - هلاك المشعبذ المتجاسر:

ورد رجل مشعبذ من ناحية الهند إلى المتوكل يلعب بلعب الشّعبذة ولم يُرَ مثله، وكان المتوكل يحاول بمختلف الطرق أن يؤذي الإمام الهادي(ع)، ويُطفئ نورَه الوهاج بفيه ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

فقال المتوكل لذلك الرجل: إنْ أنتَ أخجلتَهُ - يعني الإمام الهادي(ع) - أعطيتكُ ألفَ دينار زكية.

قال المشعبذ الهندي: مر بأن يخبز رقاقاً خفافاً وأجعلها على المائدة وأقعدني إلى جنبه فلا يقوم من مقامه إلا خجلاً.

فأمر المتوكل ففعلوا ما أراده المشعبذ، وأحضر مائدةً عليها أنواعُ الأطعمة ودُعِيَ إليها جماعة من الشخصيات فيهم الإمام علي الهادي(ع) جاءها مضطراً. فجلس الحاضرون إلى جانب المائدة، وجلس المشعبذ إلى جانب الإمام الهادي(ع) فلما مد الإمام(ع)، يده إلى الخبز الرقاق فطيرها المشعبذ إلى الجانب الآخر. ومدّ الإمام(ع) يده إلى الأخرى فطيرها فتضاحك الناسُ (فتكرر العمل من المشعبذ عدة مرات).

(١) أقتبس من أصول الكافي: ج١، ص ٤٩٦ - بحار الأنوار: ج٥٠، ص ٢٢١ في الحاشية.

فعرف الإمام الهادي(ع) نوايا المتوكل من هذه الحركات فغضب غضباً شديداً وضرب يده على صورة الأسد التي في المسورة - المتكئ - فقال: «خُذْ عَدُوَّ الله».

فوثبت تلك الصورة من المسورة فابتلعت الرجل، وعادت في المَسْورة كما كانت.

فاستولى الخوف والوحشة على المتوكل وأُغْميَ عليه ووقع على الأرض على وجهه، وفر الآخرون من المجلس.

فلما آفاق المتوكّل من غشيته إلتمس من الإمام(ع) أن يردّ المشعبذ قائلاً: سألتُك إلا جلستَ ورددته.

فقال الإمام الهادي(ع): «والله، لا يُرى بعدها. أتسلِّطُ أعداءَ الله على أولياء الله»؟.

وترك الإمام الهادي(ع) المجلس. وخرج من عند المتوكل فلم يُرَ الرجلَ بعد ذلك أبداً[1].

٨ - دليل الإمام(ع) على دعوى زينب كذابةٍ:

ظهرت في أيام المتوكل العباسي إمرأةٌ تدّعي أنها زينب بنت فاطمة بنت رسول الله(ص) جاءوا بها إلى مجلس المتوكل فقال لها: أنت إمرأة شابة وقد مضى من وقت رسول الله مئتا سنة.

فقالت: إن رسول الله(ص) مسح على رأسي وسأل الله أن يردَّ عليَّ شبابي في كل أربعين سنة، ولم أظهر للناس إلى هذه الغاية فلحقتني الحاجة فصِرْتُ إليهم.

فدعا المتوكل مشايخَ وأكابرَ آل أبي طالب وولد العباس وقريش وعرفهم حالها فروى

(١) بحار الأنوار: ج٥٠، ص١٤٧ - مختار الخرائج: ص ٢١٠.

جماعةٌ وفاة زينب(ع) في سنة كذا.

فقال لها المتوكل: ما تقولين في هذه الرواية؟

فقالت: كذبٌ وزور، فإن أمري كان مستوراً على الناس، فلم تعرف لي حياة ولا موت.

فقال لهم المتوكل: هل عندكم حجة على هذه المرأة غير هذه الرواية؟

فقال الحاضرون: لا.

فقال المتوكل: إني بريء من جدي العباس أن لا أُنزلها عمّا ادَّعت إلا بحجّة.

لما عجز المشايخُ والعلماءُ من إتيان الدليل، ذكروا الإمام الهادي(ع) فقالوا: أَحْضِرْ ابنَ الرضا - الإمام الهادي -(ع) فلعل عنده شيئاً من الحجة غير ما عندنا.

فاضطر المتوكل إلى أن يبعث إلى الإمام الهادي(ع) فحضر فأخبره المتوكل بخبر المرأة فقال(ع): «كَذِبَتْ فإن زينب(ع) توفيت في سنة كذا وشهر كذا ويوم كذا».

قال المتوكل: فإن هؤلاء قد رووا مثل هذه وقد حلفتُ أن لا أنزلها إلا بحجةٍ تلزمها.

فقال الإمام الهادي(ع): ولا عليك فههنا حجة تلزمها وتلزم غيرها. قال المتوكل: وما هي؟

قال الإمام الهادي(ع): لحومُ بني فاطمةٍ محرمةٌ على السباع فأنزلها إلى قفص السباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرّها ولا تمسّها بسوء.

فقال لها المتوكل: ما تقولين؟

قالت: إنه يريد قتلي.

قال بعض أعداء الإمام(ع): وهو يحيل على غيره: لم لا يكون هو النازل إلى السباع؟

فما المتوكل إلى رأيهم رجاء أن يتخلص من الإمام(ع) دون أن يقتله هو فقال للإمام: يا أبا الحسن لم لا تَنْزِلُ أنت إلى السّباع؟

قال الإمام(ع): ذاك إليك.

فأتي بسلم وفتح عن السباع وكانت ستة من الأُسْدِ فنزل الإمام الهادي(ع) إليها فلما دخل وجلس صارت الأسود إليه فرمت بأنفسها بين يديه، ومدَّتْ بأيديها، ووضعَتْ رؤوسَها بين يديه فجعل يمسح على رأس كل واحد منها، ثم يشير إليه بيده إلى الاعتزال فتعتزل ناحية حتى إعتزلت كلها وأقامت بأزائه.

فاعتذر المتوكل من الإمام الهادي(ع) وقال: يا أبا الحسن ما أردنا بك سوءً وإنما أرْدنا أن نكون على يقين مما قلت فأحب أن تصعد.

فقال لها المتوكل: إنزلي (يعني عليك أن تنزلي هذه المرة).

قالت: الله الله ادعيت الباطل، وقد حملني فلان على ما قلت وما ادعيت.

قال المتوكل: إلقوها إلى السباع، فالتمست أمها من المتوكل وطلبت أن تهبها لها فعفى المتوكل عنها[1].

وروى بعضهم: إنهم ألقوها أمام السباع فأكلتها.

٩ - القدرة الواهية للمتوكل في مقابل القدرة الملكوتية للإمام الهادي(ع):

عزم المتوكل العباسي ذات يوم أن يعرض عظمة عسكره للإمام الهادي(ع)، وحسب قوله أن يبهر عين الإمام(ع) بقدرة عسكره وبذلك يخاف الإمام(ع) من المتوكل

(١) مختار الخرائج: ص ٢١٠ - ٢١١ بحار الأنوار: ج٥، ص ١٤٩ - ١٥٠.

ويتخلى عن معاداته ومجاهدته.

فأمر العسكر وهم تسعون ألف فارس من الأتراك الساكنين بسامراء أن يملأ كلّ واحدة مِخْلاةَ فرسهِ من الطينِ الأحمر، ويجعلوا بعضه على بعض في وسط تربة واسعة هناك.

فقام العسكر بما أمرهم المتوكل حتى صار مثل جبل عظيم سموه «تل المخالي».

ثم أمر المتوكل مغروراً بإحضار الإمام الهادي(ع) كي يرى ذلك التل العظيم. فجاءوا بالإمام الهادي(ع) وصعد المتوكل فوقه واستدعى الإمام(ع) واستصعده.

وكان قد أمَرَ العسكر أن يلبسو التّجافيف ويحملوا الأسلحة وقد عرضوا بأحسن وأتم عدة وأعظم هيبة، وأجمل زينة، وكان غرضه أن يحطم عزيمة كل من يريد أن يخرج عليه فقال للإمام(ع): دعوتك لتنظر إلى جنودي.

قال المتوكل: نعم.

فدعا الإمام الهادي(ع) الله سبحانه وتعالى فإذا بين السماء والأرض من المشرق والمغرب ملائكة مدججون بالأسلحة.

فلما رأى المتوكل ذلك وقع على الأرض فغشي عليه، فلما أفاق قال الإمام(ع):

«نحن لا نُنَافِسُكُم في الدنيا - يعني لا نحاربكم رغبة في الدنيا - نحن مشتغلون بأمر الآخرة والعوالم المعنوية فلا عليك شيء مما تظن»[1].

وبهذه القدرة تحطم غرور المتوكل ومناوراته العسكرية في مقابل معنويات الإمام الهادي(ع) وقدرته الملكوتية.

(١) خرائج الرّواندي: طبقاً لنقل بحار الأنوار: ج٥٠، ص ١٥٥ - كشف الغمة ج٣، ص ٢٦٠.

١٠ - الإمام الهادي(ع) في السجن:

نقل ابن أرَومة إنه ذهب في أيام المتوكل إلى سامراء، وكان قد دفع الإمام الهادي(ع) إلى سعيد الحاجب ليسجَنَهُ ثم يقوم بإعدامه.

فذهبتُ إلى سعيد الحاجب، فلما دخلت عليه قال: أتحب أن تُنْظَر إلى إلهك؟

قلت: سبحان الله الذي لا تدركه الأبصار.

قال سعيد: أقصد هذا الذي تزعمون أنه إمامكم!

قلت: ما أكره ذلك لأراه(ع).

قال سعيد: قد أُمِرْتُ بقتله، وأنا فاعله غداً، وعنده صاحب البريد، فإذا خرج فادخل إليه ولم ألبث أن خرج صاحب البريد، قال سعيد: أدخل.

فدخلت الدار التي كان فيها الإمام(ع) محبوساً، فإذا أمامه قبر يحفر، فدخلت وسلّمت وبكيت بكاءاً شديداً فقال الإمام الهادي(ع) ما يبكيك؟

قلت: لما أرى.

قال الإمام(ع): «لا تبك فذلك لا يتم لهم» فسكت قلبي من كلامه(ع).

ثم قال(ع): «إنه - المتوكل - لا يلبث أكثر من يومين، حتى يسفكَ اللهُ دمه ودمَ صاحبه - الفتح بن خاقان - الذي رأيته».

قال إبن أرومة: فوالله ما مضى غير يومين حتى قُتِلا[1].

[وأعجب من ذلك قتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان بيد إبن المتوكل].

---

(١) مختار الخرائج: ص ٢١٢.

الله أعلم حيث يجعل رسالته

قال الخيراني عن أبيه انه قال: كان يلزم باب أبي جعفر(ع) للخدمة التي كان وكّل بها، وكان أحمد بن محمد بن عيسى يجيء- إلى أبي- في السحر في كلّ ليلة ليعرف خبر علّة أبي جعفر(ع)، وكان الرسول الذي يختلف بين أبي جعفر(ع) وبين أبي إذا حضر قام أحمد وخلا به أبي، فخرجت ذات ليلة وقام أحمد عن المجلس وخلا أبي بالرسول واستدار أحمد فوقف حيث يسمع الكلام، فقال الرسول لأبي: إنّ مولاك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إني ماضٍ والأمر صائر إلى ابني عليّ وله عليكم بعدي مالي عليكم بعد أبي، ثمّ مضى الرسول ورجع أحمد إلى موضعه وقال لأبي: ما الذي قد قال لك؟

قال: خيراً.

قال: قد سمعت ما قال فلم تكتمه؟ وأعاد ما سمع.

فقال له أبي: قد حرّم الله عليك ما فعلت لأن الله تعالى يقول: ﴿ولا تجسسوا﴾[١] فاحفظ الشهادة لعلّنا نحتاج إليها يوماً ما وإيّاك أن تظهرها إلى وقتها.

فلما أصبح أبي كتب نسخة الرسالة في عشر رقاع وختمها ودفعها إلى عشرة من وجوه العصابة وقال: إن حدث بي حدث الموت قبل أن اطالبكم بها فأفتحوها واعلموا بما فيها.

فلما مضى أبو جعفر(ع) ذكر أبي أنه لم يخرج من منزله حتى قطع على يديه نحو من أربعمائة إنسان، واجتمع رؤساء العصابة عند محمد بن الفرج يتفاوضون في هذا الأمر، فكتب محمد بن الفرج إلى أبي يعلمه باجتماعهم عنده وأنه لولا مخافة الشهرة

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢

لصار معهم إليه ويسأله أن يأتيه.

فركب أبي وصار إليه فوجد القوم مجتمعين عنده، فقالوا لأبي: ما تقول في هذا الأمر -الإمامة-؟

فقال أبي، لمن عنده الرقاع: احضروا الرقاع فأحضروها، فقال لهم: هذا ما أمرت به.

فقال بعضهم: قد كنا نحبّ أن يكون معك في هذا الأمر شاهدٌ آخر؟

فقال لهم: قد أتاكم الله عز وجل به، هذا أبو جعفر الأشعري - أحمد بن عيسى المذكور- يشهد بسماع هذه الرسالة وسأله أن يشهد بما عنده، فأنكر - أحمد- أن يكون سمع من هذا شيئاً، فدعاه أبي إلى المباهلة.

فقال: لمّا حقّق عليه، قال: قد سمعت ذلك مكرمة كنت أحبُّ أن تكون لرجل من العرب لا لرجل من العجم.

فلم يبرح القوم حتى قالوا بالحق جميعا[١].

لا بد أن تجري مقادير الله وأحكامه

قال خيران الأسباطي: قدمت على أبي الحسن(ع) المدينة فقال لي: ما خبر الواثق عندك.

قلت: جعلت فداك خلّفته في عافية، أنا من أقرب الناس عهداً به، عهدي به منذ عشرة أيام.

فقال لي(ع): إنّ أهل المدينة يقولون: إنّه مات.

(١) ج١: ٣٢٤ (٣٨١)ح٢.

فلمّا أن قال لي: (الناس) علمت أنه هو ثم قال لي: ما فعل جعفر المتوكل العباسي؟

قلت: تركته أسوء الناس حالاً في السجن.

فقال(ع) أما إنه صاحب الأمر، ما فعل ابن الزيّات وزير المعتصم؟

قلت: جعلت فداك الناس معه والأمر أمره.

فقال(ع): أما إنّه شؤم عليه.

ثمّ سكت وقال لي: لا بدّ أن تجري مقادير لله تعالى وأحكامه.

يا خيران: مات الواثق وقد قعد المتوكّل جعفر، وقد قُتِل ابن الزيات.

فقلت: متى جعلت فداك؟

قال: بعد خروجك بستّة أيام[1].

أقول: وحيث كان خروج الخياران قبل عشرة أيّام فعلى هذا فإن قتل ابن الزيات يكون قبل أربعة أيام من مجيء الخيّران إلى الإمام الهادي(ع).

كم أرادوا إطفاء نوركم ... ولكن الله يأبى...

أخرج الطاغية العباسي المتوكل الإمام الهادي(ع) من المدينة إلى السامراء ولما دخله الإمام(ع) أخفى المتوكل نفسه عن الإمام تحقيراً له وأمر بأن يسكن الإمام(ع) في خان الصعاليك وهكذا فعلوا به(ع).

وإليك ما نقل بهذا الشأن من الخبر:

قال صالح بن سعيد: دخلت على أبي الحسن(ع) فقلت له: جعلت فداك في كل

(١) ج١: ٤٩٨ (٥٧٢)ح١.

الأمور ارادوا إطفاء نورك والتقصير بك، حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع، فإن الصعاليك؟

فقال(ع): ها هنا أنت يا ابن سعيد، ثم أومأ بيده وقال: انظر فنظرت، فإذا أنا بروضات آنقات وروضات باسرات فيهنّ خيرات عطرات وولدان كأنّهن اللؤلؤ المكنون وأطيارٌ وظباء وأنهارٌ تفور. فحار بصري وحسرت عيني.

فقال(ع): حيث كنا فهذا لنا عتيد لسنا في خان الصعاليك[١].

عرّف في سامراء وعيد في بغداد

قال إسحاق الجلاّب: فلما قرب ذي الحجة واقترب أيام الحج- اشتريت لأبي الحسن(ع) غنماً كثيرة، فدعاني فأدخلني من اصطبل داره إلى موضع واسع لا أعرفه، فجعلت أفرق تلك الغنم فيمن أمرني.

فبعث إلى أبي جعفر وإلى والدته وغيرهما ممن أمرني، ثم أستأذنته في الانصراف إلى بغداد إلى والدي وكان ذلك يوم التروية - الثامن من ذي الحجة-، أقمت عنده وبتُّ ليلة عيد الأضحى في رواق له، فلما كان في السحر أتاني فقال: يا اسحاق قم.

فقمت ففتحت عيني فإذا أنا على بابي ببغداد فدخلت على والدي وأنا في أصحابي، فقلت لهم عرَّفت بالعسكر وخرجت ببغداد إلى العيد[٢].

---

(١) المصدر ح٢.

(٢) ج١: ٤٩٨ (٥٧٢) ح٣.

الفضل ما شهدت به الأعداء

قال إبراهيم بن محمد الطاهري: مرض المتوكل من خُراج ودمّل خرج به، وأشرف منه على الهلاك، فلم يجسر أحدٌ أن يمسّه بالحديد، فنذرت أمّه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد(ع) مالاً جليلاً من مالها.

وقال له الفتح بن خاقان وزير المتوكل وهو تركي لو بعثت إلى هذا الرجل أي الإمام الهادي(ع) فسألته فإنّه لا يخلو أن يكون عنده صفه يفرّج بها عنك.

فبعث إليه ووصف له علّته فردَّ الرسول إليه بأن يؤخذ كُسْبُ الشاة فيداف بماء ورد فيوضع عليه.

فلما رجع الرسول فأخبرهم أقبلوا يهزؤون من قوله، فقال له الفتح: هو والله أعلم بما قال.

وأحضر الكُسْبُ وعمل كما قال ووضع عليه فغلبه النوم وسكن، ثم انفتح وخرج منه ما كان فيه وبشّرت أمّه بعافيته، فحملت إليه عشرة آلاف دينار تحت خاتمها، ثم استقلَّ من علّته فسعى إليه المتوكّل البطحائي العلوي بأن أموالاً تحمل إليه وسلاحاً -إلى الإمام الهادي(ع)-.

فقال المتوكل لسعيد الحاجب: اهجم عليه بالليل وخذ ما تجده عنده من الأموال والسلاح وحمله إليّ.

فقال سعيد الحاجب: صرت إلى داره بالليل ومعي سلّم فصعدت السطح، فلما نزلت على بعض الدرج في الظلمة لم أدر كيف أصل إلى الدار، فناداني: يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة، فلم ألبث أن أتوني بشمعه فنزلت فوجدته عليه جبّة صوف وقلنسوة

منها وسجّادة على حصير بين يديه، فلم اشكّ أنه كان يصلي.

فقال لي(ع): دونك البيوت فدخلتها وفتّشتها فلم اجد فيها شيء ووجدت البدرة في بيته مختومة بخاتم أم المتوكل وكيساً مختوماً وقال لي: دونك المصلّى فرفعته فوجدت سيفاً في جفن غير ملبّس، فأخذت ذلك وصرت إليه- إلى المتوكل- فلما نظر إلى خاتم أمّه على البدرة بعث إليها فخرجت إليه.

فأخبرني بعض خدم الخاصة أنها قالت له: كنت قد نذرت في علّتك لما آيست منك إن عوفيت حملت إليه من مالي عشرة آلاف دينار فحملتها إليه وهذا خاتمي على الكيس وفتح الكيس الآخر فإذا فيه اربعمائة دينار فضمّ إلى البدرة بدرة أخرى وأمرني بحمل ذلك إليه إلى الإمام الهادي(ع) فحملته ورددت السيف والكيسين وقلت له: يا سيد عليّ.

فقال لي(ع): ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[1].

رسالة الإمام(ع) لحفظ شيعته

قال علي بن محمد النوفلي: قال لي محمد بن الفرج إنّ أبا الحسن الهادي(ع) كتب إليه: يا محمد «اجمع أمرك وخذ حِذْرَك»، فأنا في جمع أمري وليس أدري ما كتب إليَّ، حتى ورد عليّ رسول الطاغية حملني من مصر مقيداً وضرب على كل ما أملك، وكنت في السجن ثمان سنين، ثمّ ورد عليّ منه(ع) في السجن كتاب فيه: يا محمد «لا تنزل في ناحية الجانب الغربي»، فقرأت الكتاب فقلت: يكتب إليّ بهذا وأنا في السجن، إنّ هذا العجب، فما مكثت أن خُلي عني والحمد الله.

(١) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧. ج١: ٤٩٩ (٥٧٣) ح٤.

قال وكتب إليه محمد بن الفرج يسأله عن ضياعه، فكتب إليه سوف تُردُّ إليك وما يضرّك أن لا تردّ عليك، فلما شخص محمد بن الفرج إلى العسكر كتب إليه برد ضياعه ومات قبل ذلك[1].

ما الذي تحبّ أن أهدي إليك؟

وفي عيون المعجزات: روى الحميري، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أبيه أن أبا جعفر(ع) لما أراد الخروج من المدينة إلى العراق ومعاودتها، أجلس أبا الحسن في حجرة بعد النّص عليه وقال له: ما الذي تحبّ أن أهدي إليك من طرائف العراق؟

فقال (ع): سيفاً كأنّه شعلة نار. ثم التفت إلى ابنه موسى وقال له: ما تحبّ أنت؟

---

(١) ج١: ٥٠٢(٥٧٧) ح٨.

أقول: قال محمد فريد وجدي في دائرة المعارف القرن العشرين٦: ٤٣٧ وغيره: سُعي بالإمام الهادي(ع) إلى المتوكل وادعى بأن في بيته سلاحاً وكتباً من شيعته واهموه بأنه(ع) يطلب الخلافة لنفسه. فوجّه إليه المتوكل بعدة من الجنود الأتراك فكبسوا بيته ليلاً.. فوجدوه وحده في غرفة مغلق وعليه مدرعة من شعر وعلى رأسه ملحفة من صوف. وهو مستقبل القبلة يترنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ليس بينه وبين الأرض من بساط إلا الرمل والحصا، فأخذ على الصورة التي هو عليها. وحُمِل إلى المتوكل في جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكّل يتعاطى الشراب وفي يده كأس، فلمّا رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه ولم يكن في داره شيء مما قيل عنه ولا حجّة يتعلّل عليه بها، فناوله المتوكّل الكأس التي بيده.

فقال(ع): ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني منه، فأعفاه.

وقال له: انشدني شعراً أستحسنه.

فقال المتوكّل: لا بد أن تنشدني. فأنشده(ع):

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم — غلب الرجل فما أغنتهم القلل
واشتنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم — فاودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا — اين الأسرّة والتنيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعّمة — من دونها تضرب الأستار والكلل
فأنصح القبر عنهم حين سائلهم — تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا — فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

فاشفق من حضر على عليّ الهادي(ع)، وظنّ أن بادرة تبدر إليه، فبكى المتوكّل بكاءاً كثيراً حتى بلّت دموعه لحيته وبكى من حضره ثم أمر برفع الشراب ... كمالي.

فقال له: فرساً.

فقال(ع): أشبهني أبو الحسن وأشبه هذا أُمّه[١].

الإمام الهادي[ع] يخبر عن موت والده

روى الصّفار، عن محمد بن عيسى، عن قارن، عن رجل أنه كان رضيع أبي جعفر(ع) قال: بينا أبو الحسن(ع) جالسٌ مع مؤدّب له يكنّى أبا زكريا وأبو جعفر(ع) عندنا أنه ببغداد وأبو الحسن(ع) يقرأ من اللّوح إلى مؤدّبه إذ بكى بكاءً شديداً، سأله المؤدّب: ما بكاؤك؟ فلم يجبه. فقال: ائذن لي بالدّخول. فأذن له، فارتفع الصّياح والبكاء من منزله، ثم خرج إلينا فسألناه عن البكاء؟

فقال: إن أبي قد توفّي الساعة.

فقلنا: بما علمت؟

قال: فأدخلني من إجلال الله ما لم أكن أعرفه قبل ذلك، فعلمت أنه قد مضى. فتعرّفنا ذلك الوقت من اليوم والشّهر فإذا هو قد مضى في ذلك الوقت[٢].

---

(١) عيون المعجزات، ص١٣٠، بحار الأنوار، ج٥٠، ص١٢٣.

(٢) بصائر الدرجات، ص٤٦٧.

المعصوم الثالث عشر

الإمام الحادي عشر

الحسن بن علي العسكري (عليه السلام)

هويّة المعصوم الثالث عشر
الإمام الحادي عشر
الحسن العسكري(ع)

الاسم: الحسن(ع).

ألقابه المشهورة: العسكري، إبن الرضا، السراج(ع).

الكنية: أبو محمد.

الأب والأم: الإمام علي الهادي(ع)، سليل(ع) سوسن، حُدَيث).

تاريخ ومحل الولادة: ولد الإمام العسكري(ع) يوم الجمعة الثامن من شهر ربيع الأول أو أربع وعشرين ربيع الثاني في سنة «٢٣٢ هـ ق» في المدينة.

تاريخ ومحل الشهادة: استشهد(ع) في مدينة سامراء في الثامن من ربيع الأول سنة «٢٦٠ هـ ق» بدسيسة من المعتمد العباسي (الخليفة الرابع عشر لبني العباسي) عن عمر ناهز «٢٨» أو «٢٩» سنة.

مرقده الطاهر: يقع مرقده الطاهر في مدينة سامراء في العراق.

أدوار حياته في مرحلتين:

١ - قبل إمامته «٢٢» سنة من سنة «٢٣٢ هـ » إلى سنة «٢٥٤ هـ ».

٢ - في أيام إمامته ست سنوات من سنة «٢٥٤ هـ » إلى سنة «٢٦٠ هـ ».

كان سلام الله عليه بصورة دائمة تحت رقابة شديدة من قبل السلطة العباسية الغاشمة حتى قُتِلَ مسموماً بيد الغدر والظلم.

وكان طواغيث عصر إمامته كلاً من:-

١ - المهتدي: الخليفة الرابع عشر العباسي من سنة «٢٥٥ إلى ٢٥٦ هـ ق».

٢ - المعتمد: الخليفة الخامس عشر العباسي من سنة «٢٥٦ إلى ٢٦٠ هـ ق».

١ - *الفرق بين إرث الرجل والمرأة:*

كان شخص يقال له «الفهفكي» متأثراً بأفكار وشخصية إبن أبي العوجاء أحد العلماء الماديين المشهورين في عصر الإمام الصادق(ع)، حضر ذات مرة في مجلس الإمام الحسن العسكري(ع) وسأله قائلاً: ما بال المرأة المسكينة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرجل سهمين؟

قال الإمام العسكري(ع): إن المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة ولا معقلة، إنما ذلك على الرجل: (فعلية الأمور المعاشية المستعصية.)

قال الفهفكي: قلت في نفسي: قد كان قيل لي إبن أبي العوجاء سأل الإمام الصادق(ع) عن هذه المسألة فأجابه بمثل هذا الجواب.

فأقبل علي الإمام العسكري(ع) فقال: نعم هذه مسألة ابن أبي العوجاء والجواب منا واحد، وأولنا وآخرنا في العلم والأمر سواء[١].

٢ - الدقة في معرفة الذنب:

كان أبو هاشم الجعفري(ره) من رجال وفقهاء الشيعة ومن أصحاب الإمام الهادي(ع) والعسكري(ع) قال: كنت عند مولانا الإمام العسكري(ع) سمعته يقول: من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل:

«ليتني لا أؤاخَذُ إلا بهذا».

فقلت في نفسي: إن هذا لهو الدقيق وينبغي للرجل أن يتفقد من نفسه كل شيء.

(لأن الإنسان يتحدث أحياناً بكلام يتصوره حسناً، مع غفلته أن هذا الكلام من الذنوب التي لا تُغفر).

فأقبل علي الإمام(ع) فقال: «صَدَقْتَ يا أبا هاشم ألزم ما حَدَّثتك به نَفْسُكَ فإن الإشراك في الناس أخْفَى من دَبِيبِ الذّر على الصفا في الليلةِ الظلماءِ ومن دبيب الذر على المَسْح الأسود»[٢].

٣ - كرامة الإمام الحسن العسكري(ع) وعظمته:

روى أبو هاشم الجعفري(ره) إنه قال: دخلت على الإمام الحسن العسكري(ع) وأنا أريد أن أسأله فُصّاً أصوغُ به خاتماً أتبرّكُ به.

---

(١) أعلام الورى: ص ٣٥٥.

(٢) أعلام الورى: ص ٣٥٥ - ٣٥٦.

فجلست عنده وآنست بكلامه العذب ونسيت ما جئت له، فلما ودّعته وقمت لأخرج من عنده قدم إليّ خاتماً وقال: «أردت فصاً فأعطيناك خاتماً وربحت الفصّ والكَرْي - يعني أجرة الصياغة - هنّأك الله يا أبا هاشم».

فتعجّبتُ من هذه الحادثة فقلت: يا سيدي إنك وليّ الله وإمامي الذي أدين لله بفضله وطاعته.

فقال(ع): «غفر الله لك يا أبا هاشم»[1].

٤ - أثر رسالة الإمام العسكري(ع) على الفيلسوف العراقي:

كان أبو إسحاق الكندي من علماء العراق، قد إشتهر بين الناس بأنه فيلسوف وعالم بارز، وكان كافراً، لا يقبل الإسلام حتى صمّم على تأليف كتاب يجمع تناقضات القرآن. لأنه كان يظنُّ أن بعض الآيات القرآنية لا تتلاءم مع الأخرى في الظاهر، فشغل نفسه بذلك.

فجاء بعض تلامذته يوماً إلى الإمام الحسن العسكري(ع). فقال له الإمام(ع): «أما فيكُمْ رجلٌ رشيد يردع أستاذكم الكِنْدِي عمّا أخذ من تشاغله بالقرآن؟»

فقال التلميذ: نَحْنُ من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض العلمي عليه في هذا وفي غيره.

فقال الإمام العسكري(ع): تؤدي إليه ما ألقيه إليك؟

قال التلميذ: نعم.

فقال الإمام(ع): فصر إليه وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما بسبيله فإذا وقعت الأُنسة في ذلك فقل قد حضرتني مسألة أسألك عنها.

---

(١) أعلام الورى: ص ٣٥٦.

فإنه يقول: سَلْ؟

فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتَ إنك قد ذهبت إليها؟

فيقول لك الأستاذ الكِنْدِي: إنه من الجائز.

فقل له: «فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبتَ أنت إليه فيكون واضعاً لغير معانيه».

فصار التلميذ إلى أستاذه الكندي وتلطف في مؤانسته وعاونه في تأليفه مدة من الزمن حتى قال له: هل يمكن أن الله عزّ وجلّ أراد غير ما فهمت من الآيات القرآنية؟»

فتفكر الأستاذ ثم قال: أعد عليَّ المسألة مرة أخرى.

فأعاد عليه التلميذ المسألة كما ألقاها إليه الإمام العسكري(ع).

فقال الأستاذ: نعم إنّه جائز أن الله عزّ وجلّ أراد غيرَ هذا المعنى الذي ذهبتُ إليه من المعاني الظاهرية للقرآن وأرى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر.

ثم قال لتلميذه: «أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟»

فقال التلميذ: إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك.

قال الأستاذ الكندي: كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا ولا من بلغ هذه المنزلة فعرِّفْني من أين لك هذا؟

فقال التلميذ: أمرني به الإمام الحسن العسكري(ع).

فقال الكندي: «الآن جئتَ به وما كانَ ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت».

ثم دعا الفيلسوف العراقي الكندي بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه[1].

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص ٤٢٤.

٥ - الإمام الحسن العسكري(ع) يحفظ حيثية المسلمين:

كان الإمام الحسن العسكري(ع) وبسبب الدفاع عن الحق في عصر المتوكل العباسي - سجيناً في مدينة سامراء. وأصاب الناس في تلك السنة جفاف الأرض والقحط بسبب عدم نزول الأمطار، وعمّ ذلك في كل مكان، وجفت الأرض الزراعية، وهلكت المواشي.

فخرج المسلمون ثلاثة أيام متوالية إلى الصحراء، فصلوا صلاة الاستسقاء فلم تمطر السماء عليهم.

فخرج في اليوم الرابع الجاثليق - كبيرُ علماء النصارى - مع النصارى فدَعَوا ونزل المطر في ذلك اليوم.

فخرج المسلمون اليوم الخامس إلى الصحراء وصلوا صلاة الاستسقاء ولكن السماء لم تستجب لهم، فشك الناس في دينهم، وكادت الفتنة أن تطيح بقلوب المسلمين وأصبحت هذه الحادثة شهد مجالسهم يتحدثون بها هنا وهناك.

فعليه صمّم النصارى أن يخرجوا اليوم السادس مع الجاثليق إلى الصحراء ويدعوا بنزول المطر، ولا شك أن السماء إذا أمطرت كاليوم الرابع بدعاءِ النصارى أصاب المسلمين خجلٌ وذلةٌ عظيمة.

فذكر المتوكل الإمام الحسن العسكري(ع)(١).

وكان(ع) في السجن. فأمر بإحضاره من الحبس فقال له: أدرك دين جدك يا أبا

(١) وكذا كان الخلفاء بعد الرسول الأكرم(ص) يلتجئون إلى أئمة الحق عندما تعترضهم معضلة شديدة تهدد كيان الإسلام ودولهم. وهناك كلمة معروفة للخلفاء الذين سبقوا الإمام علي بن أبي طالب(ع) «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن» وكذا تفوه بهذا خلفاء بني أمية عندما واجهتهم المعضلات وخلفاء بني العباس.

محمد (يقصد الإمام العسكري(ع)).

فخرجت النصارى مع الجاثليق في اليوم السادس إلى الصحراء.

وخرج الإمام الحسن والعسكري(ع) مع بعض غلمانه فقال لغلام له: أدخل مع النصارى وعندما يرفع الجاثليق يده للدعاء خذ من يده اليمنى ما فيها.

فدخل الغلام بين جماعة النصارى وجلس في الصف الأول إلى جانب الجاثليق ولما رفع الجاثليق يده للدعاء خطف الغلام ما بين أنامل الجاثليق في لحظة واحدة وكان عظماً أسود ثم قال: استسق الآن، فاستسقى النصارى ذلك اليوم فلم يستجب لهم وصُمَّت السماء فخجل المسيحيون وعادوا من حيث أتوا.

فسأل المتوكل الإمام الحسن العسكري(ع) عن العظم فقال الإمام(ع): أخذه من قبر نبيّ ولا يكشف عظمُ نبي إلا وتمطر السماء»[1].

وبهذه الصورة حفظ الإمام(ع) ذلك اليوم كيان المسلمين وهيبتهم وعادت إليهم عزتهم بين الملل الأخرى.

٦ - السجان أمام عظمة الإمام:

كان الإمام الحسن العسكري(ع) يُنَقَلُ في أيام خلافة المتوكل من سجن إلى سجن، أَوْدَعُوه مدةً في سجن أحد السُجّان القساة وقد أمضى تجربة طويلة في التعذيب وإيذاء المسجونين يقال له «نحرير» فأخذ يضيّق على الإمام(ع) ويؤذيه دون شفقةٍ أو رحمة.

وكانت امرأة نحرير قد لاحظت جانباً من المقامات المعنوية والعبادية والسجدات الطويلة للإمام العسكري(ع) في السجن ولذا قالت لزوجها: «اتقِ الله، فإنك لا تدري

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص ٤٢٥ - كشف الغمة: ج٣، ص ٢١١ مع اختلاف يسير.

من في منزلك، وذكرت له صلاحه وعبادته، وقالت: إني أخاف عليك منه»

لم تؤثر كلمات امرأة نحرير فيه حتى غَضِبَ يوماً وقال لها: «واللهِ لأرميَنّهُ بين السباع».

فاستأذن نحرير من رجال الدولة على إلقاء الإمام(ع) في قفص السباع، فأذِنوا له. فأدخل الإمامَ(ع) في قفص السباع ولم يشك في أكلها له.

ثم جاء السجان وجماعته لينظروا إلى الإمام ويتعرفوا إلى حاله، فوجدوه(ع) قائماً يصلي والسباع حوله هادئة ساكتة. فأمر بإخراج الإمام(ع) وإرساله إلى داره[1].

٧ - الإمام الحسن العسكري(ع) مع أصحابه:

كان أبو هاشم الجعفري(ره) أحدَ تلاميذ وأصحاب الإمام العسكري(ع). يصوم أياماً مع الإمام العسكري(ع) صوماً مستحباً وعند الإفطار يفطر معه. حتى ضَعُف أبو هاشم وأثر فيه الجوع يوماً تأثيراً شديداً، ولم يتمكن من الاستمرار حتى الغروب، فدخل داراً أخرى فأفطر بشيء من الخبز ثم جاء إلى الإمام(ع) دون أن يخبره عن إفطاره.

فقال الإمام العسكري(ع) لغلامه: إطعم أبا هاشم شيئاً فإنه مفطر.

فتبسم أبو هاشم(ره).

فقال الإمام(ع): ما يضحكك يا أبا هاشم؟ إذا أردت القوة فكل اللحم فإن الخبز لا قوة فيه[2].

---

(١) إرشاد المفيد (ره): ج٢، ص ٣٢٤ - أعلام الورى: ص ٣٦٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص ٤٣٩.

وبهذه الصورة كان الإمام الحسن العسكري(ع) يستقبل أصحابه بكمال المحبة ويوجه طَلْقٍ، ويعاملهم معاملة الأب للأبناء، ويتطلف مهم مع تملكه لمقام الإمامة العظيم.

٨ - حلّ مشكلات المسلمين:

كان ابن الفرات من شيعة الإمام الحسن العسكري(ع) قال: «كان لي على ابن عمي عشرةُ آلاف درهم فذهبت إليه عدة مرات أطالبه أن يسددها، فرفض الإجابة، وردَّني رداً عنيفاً، فذهبتُ أخيراً إلى الإمام الحسن العسكري(ع) وشرحت له الموضوع وسألته أن يدعو لي كي يرد ابن عمي أموالي.

فجاء جواب الإمام(ع) مكتوباً: أنه رادٌّ عليك ما لكَ وهو ميّتٌ بعد جمعة.

فجاءني ابن عمي قبل الجمعة فرد عليّ مالي، فقلت له: ما بدا لك في ردّ مالي وقد متّعْتنيه؟

قال ابن عمي: رأيت الإمامَ الحسن العسكري(ع) في النوم، فقال: إن أجلك قد دنا فُردَّ على ابن عمك ماله[1].

٩ - إلجامُ بغلٍ جموحٍ:

عن أحمد بن الحارث القزويني قال: كنت مع أبي «الحارث» في مدينة سامراء، وكان أبي يعمل بيطرياً في إصطبل الإمام الحسن العسكري(ع) ومسؤولاً عنه، وكان عند المستعين - ثاني عشر خلفاء بني العباس - بغلٌ لم يُرَ مثله حسناً وكبراً، وكان يَمْنَعُ

(١) كشف الغمة: ج٣، ص ٣١١.

ظهرَه واللجامَ، وجمع المروضين فلم تكن لهم حيلةٌ في ركوبه.

فقال للمستعين بعضُ ندمائه: ألا تبعث إلى الحسن بن الهادي حتى يجيء فإما أن يركبه، وإما يقتله.

فبعث المستعين إلى الإمام الحسن العسكري(ع) وكان أبي معه، وأنا أسرعت قبلهم إلى دار المستعين.

فلما دخل الإمام(ع) الدار نظر إلى البغل واقفاً في الدار، فوضع يده على كتفه، فعرق البغل ثم صار إلى المستعين فرحب به وقال: ألجم هذا البغل فقام الإمام(ع) فوضع طيلسانه فألجمه ثم رجع إلى مجلسه وجلس.

فقال المستعين: يا أبا محمد - يقصد الإمام(ع) - أسرجه.

فقام ثانية الإمام(ع) فأسرجه ورجع.

فقال له المستعين: ترى أن تركبه؟

قال الإمام العسكري(ع): نعم، فركبه من غير أن يمتنع عليه ثم ركضه في الدار ثم حمله على الهملجة[1] فمشى أحسن مَشْيٍ ثم رجَع فنَزل.

فقال له المستعين: يا أبا محمد(ع) كيف رأيته؟

قال الإمام(ع): «ما رأيتُ مثله حُسْناً وبهاءً».

فقال له المستعين: وهبته لك.

فقال الإمام العسكري(ع) لأبي: يا غلام خُذْه فأخذه أبي فقاده[2].

(١) الهملجة: مشي شبيه الهرولة «مجمع البحرين - هملج - ج٢، ص ٣٣٧».
(٢) كشف الغمة: ج٣، ص ٢٨٥.

١٠ - شهادة الإمام العسكري(ع) وثلاث علامات على أمامه الإمام المهدي(ع):

كان أبو الأديان من خدام دار الإمام الحسن العسكري(ع) ويحمل له كتبه إلى الأمصار - أي بريده - فلما مرض الإمام(ع) مرضه الذي توفي فيه دعا أبا الأديان وأعطاه مجموعة من الرسائل وقال له: تأخذ بهذه الرسائل إلى المدائن فإنك ستغيب خمسة عشر يوماً، فتدخل إلى سامراء يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري، وتجدني على المغتسل.

قال أبو الأديان: فقلت: يا سيد ي فإذا كان ذلك فمن؟ (أي إذا استشهدت فلمن أرجع).

قال الإمام(ع): ترجع إلى من طالبك (بثلاث علامات).

١ - من طالبك بجواباتِ هذه الرسائل، فهو القائم بعدي؟

فقلت: زدني:

٢ - من يصلي عليَّ فهو القائم بعدي.

فقلت: زِدْني.

٣ - من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي.

ثم منعتني هيبة الإمام العسكري(ع) أن أسأله ما في الهميان؟

فخرجت بالرسائل والكتب إلى المدائن وسلّمتها إلى أصحابها وأخذت جواباتها، وقَفَلْتُ راجعاً، فدخلتُ سامراء يوم الخامس عشر كما قال الإمام(ع) فإذا أنا بالواعية

في داره(ع)، فجئتُ دار الإمام(ع) وإذا بجعفرٍ الكذاب أخي الإمام(ع) بباب الدار. والشيعة حوله يعزّونه ويهنئونه.

فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد حالت الإمامة، لأني كنت أعْرِفهُ بشرب النبيذ، ويقامِرُ في الجوسق، ويلعب بالطنبور، فتقدّمت فعزّيت وهنّيت فلم يسألني عن شيء.

ثم خرج «عقيد» غلام الإمام العسكري(ع) وقال لجعفر: يا سيدي قد كفن أخوك فقم للصلاة عليه. فدخل جعفر الدار والشيعة حوله.

فلما صرنا بالدار إذا نحن بالإمام العسكري(ع) على نعشه مكفناً، فتقدم جعفر الكذاب ليصلي على أخيه فلما همّ بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة، بشعره قطط بأسنانه تفليج، فجذب رداء جعفر وقال له:

«تأخر يا عمّ فأنا أحق بالصلاة على أبي».

فتأخر جعفر، وقد اربدَّ وجهه، فتقدم الصبي فصلى عليه، ودفنه إلى جانب قبر أبيه الإمام الهادي(ع) في مدينة سامراء.

ثم قال الصبي: يا بَصْرِيُّ - يقصد أبا الأديان - هات جوابات الرسائل والكتب التي معك، فدفعتها إليه، وقلت في نفسي، هذه إثنتان (١ - الصلاة. ٢ - مطالبة الكتب) وبقيت الثالثة الهميان.

ثم ذهبت إلى جعفر الكذاب وهو غضبان يزمر، فقال له حاجز وشّاء: يا سيدي مَنْ الصبي؟ أراد حاجز بهذا أن يقيم عليه الحجة.

فقال جعفر: والله ما رأيته قط ولا عَرِفْتهُ.

قال أبو الأديان: فنحن جلوس إذ قَدِمَ نفرٌ من قم، فسألوا عن الإمام الحسن العسكري(ع)، فعرفوا موته فقالوا: فمن؟ فأشار الناس إلى جعفر فسلموا عليه وعزوه وهنّؤوه وقالوا: معنا كتب ومال.

فتقول: ممّن الكتب؟ وكم المال؟ فقام جعفر ينفض أثوابه ويقول: يريدون منا أن نعلم الغيب.

فعندها خرج الخادم من جانب إمام العصر(عج) وقال: معكم كتب فلان وفلان، وهميانٌ فيه ألف دينار، عشرة دنانير منها مطلية بالذهب.

فدفع القُميّون الكتب والمال وقالوا: الذي وجه بك لأجل ذلك فهو الإمام.

وبهذه الصورة ظهرت العلامة الثالثة لأبي الأديان.

فذهب جعفر إلى المعتمد العباسي وكشف له ذلك وقال: أن في دار أخي الإمام العسكري(ع) صبي يَعْتَقِد الشيعةُ بإمامته.

فأرسل المعتمد شرطته ليقبضوا على الصبي، فدخلوا الدار وبحثوا عنه ولم يجدوه فقبضوا على صقيل الجارية، وطالبوها بالصبي فأنكرته، أدعت أنها حامل عن الإمام العسكري(ع) لتغطي بذلك على الإمام العصر(ع).

فسلّمت الشرطة صقيل الجارية إلى القاضي إبن أبي الشوارب ليقتل الصبي إذا تولد.

وفي هذا الأثناء مات عبيد الله بن خاقان، فخرج صاحب الزنج بالبصرة على الخليفة.

فشغلوا بذلك عن الجارية وعن البحث عن الصّبيّ. فخرجت الجارية من أيديهم ورجعت إلى منزلها[1].

---

(١) كمال الدين: للشيخ الصدوق: ج١، ص ١٥٠ - ١٥٢ - بحار الأنوار: ج٥٠، ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

الحسن ابني هو الخلف بعدي!!

قال أبو هاشم الجعفري: كنت عند أبي الحسن الهادي(ع) بعدما مضى ابنه أبو جعفر - السيد محمد - وإني لأفكّر في نفسي أريد أن أقول: كأنهما أعني أبا جعفر وأبا محمد(ع) في هذا الوقت كأبي الحسن موسى(ع) وإسماعيل ابني جعفر بن محمد(ع) وإنّ قصتهما كقصتهما، إذ كان أبو محمد(ع) المرجّى بعد أبي جعفر(ع)، فأقبل عليّ أبو الحسن(ع) قبل أن أنطق فقال الحسن العسكري(ع) نعم يا أبا هاشم، بدا لله في أبي محمد(ع) بعد أبي جعفر(ع) ما لم يكن يعرف له، كما بدا له في موسى الكاظم(ع) بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله، وهو كما حدّثتك نفسك وإن كره المبطلون، وأبو محمد ابني الخلف من بعدي، عنده علم ما يحتاج إليه ومعه آلة الإمامة(١).

دليل امامته الطبع على الحصاة

قال أبو هاشم داود القاسم الجعفري: كنت عند أبي محمد العسكري(ع) فاستؤذن لرجل من أهل اليمن عليه، فدخل رجل عبل، طويل، جسيم، فسلّم عليه بالولاية فردّ عليه بالقبول وأمره بالجلوس، فجلس ملاصقاً لي، فقلت في نفسي: ليت شعري من هذا؟

فقال أبو محمد(ع): هذا من ولد الأعرابية- حبابة الوالبية(٢)- صاحبة الحصاة التي طبع أبائي(ع) فيها بخواتيمهم فانطبعت وقد جاء بها معه يريد أن اطبع فيها، ثم قال: هاتها فاخرج الحصاة وفي جانب منها موضع أملس، فأخذها أبو محمد(ع) ثم

(١) ج١: ٣٢٧ (٣٨٥)ح١٠.
(٢) وقد مرّ قصتها في المجلد الأول رقم١٠٤.

أخرج خاتمه فطبع فيها فانطبع فكأنّي أرى نقش خاتمه الساعة «الحسن بن عليّ».

فقلت لليماني: رأيته قبل هذا قط؟

قال: لا والله وإني لمنذ دهر حريص على رؤيته حتى كأنّ الساعة أتاني شابٌ لست أراه فقال لي: ثم فادخل، فدخلت.

ثم نهض اليماني وهو يقول: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت، ذرية بعضها من بعض أشهد بالله أنّ حقك لواجب كوجوب حق أمير المؤمنين(ع) والأئمة من بعده صلوات الله عليهم أجمعين ثم مضى فلم أره بعد ذلك.

قال أبو هاشم الجعفري: وسألته عن اسمه.

فقال: اسمي مهجع بن الصلت بن عقبه بن سمعان بن غانم بن أم غانم وهي الأعرابية اليمانية، صاحبة الحصاة التي طبع فيها أمير المؤمنين(ع) والسبط إلى وقت أبي الحسن(ع)(١).

العدو يشهد بفضل العسكري[ع]

كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان - وغلى الخليفة العباسي المعتمد- على الضياع والخراج بقم، فجرى في مجلسه يوماً ذكر العلويّة ومذاهبهم، وكان شديد النصب- والعداء لأهل البيت(ع)- فقال: ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى -سامراء- رجلاً من العلويّة مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا(ع) في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته، وبني هاشم، وتقديمهم إيّاه على ذوي السنّ منهم والخطر، وكذلك القوّاد والوزراء وعامة الناس، فإنّي كنت يوماً قائماً على رأس أبي وهو يوم

(١) ج١: ٣٤٧(٤٠٨)ح٤.

مجلسه للناس إذ دخل عليه حجابه فقالوا أبو محمد ابن الرضا(ع) بالباب.

فقال بصوت عال: ائذنوا له.

فتعجّبت مما سمعت منهم أنهم جسروا - وتجرّؤا - يكنّون رجلاً على أبي بحضرته ولم يكنّ عنده إلا خليفة أو وليُّ عهد أو من أمر السلطان أن يُكنّى، فدخل رجل أسمر، حسن القامة، جميل الوجه، جيّد البدن حدث السن، له جلالة وهيبة، فلما نظر إليه أبي قام يمشي إليه خُطاً، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقوّاد، فلما دنا منه عانقه وقبّل وجهه وصدره وأخذ بيده وأجلسه على مصلاّه الذي كان عليه، وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه وجعل يكلّمه ويفديه بنفسه، وأنا متعجّب مما أرى منه، إذ دخل عليه الحاجب فقال: الموفّق قد جاء، وكان الموفق - وهو أخو المعتمد العباسي - إذا دخل على أبي، تقدّم حجّابه وخاصة قوّاده، فقاموا بين مجلس أبي وباب الدّار سماطين إلى أن يدخل ويخرج، فلم يزل أبي مقبلاً على أبي محمد الحسن العسكري(ع) يحدّثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة، فقال حينئذٍ - لأبي محمد العسكري(ع)-: إذا شئت - الذهاب- جعلني الله فداك، ثمّ قال لحجّابه: خذوا به خلف السماطين حتى لا يراه هذا - يعني الموفّق - فقام وقام أبي وعانقه ومضى.

فقلت لحجاب أبي وغلمانه: ويلكم من هذا الذي كنيتموه على أبي وفعل به أبي هذا الفعل؟

فقالوا: هذا علويّ يقال له الحسن بن علي يعرف بابن الرضا.

فازددت تعجّباً ولم أزل يومي ذلك قلقاً متفكراً في أمره وأمر أبي وما رأيت فيه، حتى كان الليل وكانت عادته أن يصلّي العتمة- صلاة العشاء- ثمّ يجلس فينظر فيما يحتاج إليه من المؤامرات - والمراجعات - وما يرفعه إلى السلطان، فلما صلّى وجلس، جئت

وجلست بين يديه وليس عنده أحد فقال لي: يا أحمد لك حاجة؟

قلت: ثم يا أبه فإن أذنت لي سألتك عنها؟

فقال: قد أذنت لك يا بني فقل ما أحببت.

قلت: يا أبه مَن الرجل الذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والكرامة والتبجيل وفديته بنفسك وأبويك؟

فقال: يا بني ذاك إمام الرافضة ذاك الحسن بن علي المعروف بابن الرضا. فسكت ساعة ثم قال: لو زالت الإمامة عن خلفاء بني العباس ما استحقّها أحد من بني هاشم غير هذا. وإنّ هذا ليستحقها في فضله وعفافه وهديه وصيانته وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه رأيت رجلاً جزلاً، نبيلاً، فاضلاً.

فازددت قلقاً وتفكّراً وغيظاً على أبي وما سمعت منه، واستزدته في فعله وقوله فيه ما قال، فلم يكن لي همّة بعد ذلك إلاّ السؤال عن خبره والبحث عن أمره فما سألت أحد من بني هاشم والقوّاد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلا وجدته عنده في غاية الإجلال والإعظام، والمحل الرفيع، والقول الجميل، والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه، فعظم قدره عندي إذ لم أر له ولياً ولا عدواً إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه[1].

أرادوا ليطفؤا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره

قال أحمد بن عبيد الله بن خاقان ولقد ورد على السلطان - العباسي المعتمد وأصحابه في وقت وفاة الحسن بن علي العسكري(ع) ما تعجّبت منه، وما ظننت أنه

---

(١) ج١: ٥٠٣-٥٠٤(٥٧٨-٥٨٠) ح١.

يكون، وذلك أنه لمّا اعتلّ بعث إلى أبي أنّ ابن الرضا قد اعتلّ، فركب من ساعته فبادر إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلّهم من ثقاته وخاصته، فيه نحرير - الجلاد - فأمرهم - أبي - بلزوم دار الحسن(ع) وتعرُّف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطبّبين فأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده صباحاً ومساء، فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أُخبر أنه قد ضعف فأمر المتطبّبين بلزوم داره، وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يوثّق به في دينه وأمانته وورعه، فاحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن(ع) وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً، فلم يزالوا هناك حتى نُفيّ(ع)، فصارت سرّ من رأى ضجة واحدة.

وبعث السلطان إلى داره من فتّشها وفتّش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده - يعني الإمام المهدي(ع)- وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل فدخلن إلىجواريه ينظرن إليهنّ. فذكر بعضهنّ أن هناك جاريه فيها حمل، فجعلت في حجرة ووكّل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم ثم اخذوا بعد ذلك في تهيئته وعطّلت الأسواق، وركبت بنو هاشم والقوّاد وأبي وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سر من رأى يومئذ شبيهة بالقيامة[1].

فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه، فلما وضعت الجنازة للصلاة عليها دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم من العلويّة والعباسية والقواد والكتّاب والقضاة والمعدّلين وقال: هنا الحسن بن عليّ بن محمد بن الرضا(ع) مات حتف انفه على فراشه حضره من حضر

(١) قال المجلسي في مرآة العقول ٦: ١٤٤. هذه الصلاة كانت بعد صلاة القائم(ع) في البيت كما روى الصدوق في الإكمال. وذلك لما تقدّم جعفر الكذاب ابن الإمام الهادي(ع) ليصلّي على أخيه فلمّا همّ بالتكبير خرج صبيّ بوجهه سمرة... فجبذ داء جعفر بن عليّ وقال: تأخر يا عمّ فأنا أحق بالصلاة على أبي، فتأخر جعفر وقد اربدّ وجهه فتقدّم الصبيّ فصلّى عليه، كمالي.

من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان، ومن القضاة فلان وفلان، ومن المتطبّبين فلان وفلان ثم غطى وجهه وأمر بحمله فحمل من وسط داره ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه -الإمام(ع)-.

فلما دفن أخذ السلطان والناس في طلب ولده - المهدي المنتظر(ع)-، وكثر التفتيش في المنازل والدور، وتوقّفوا عن قسمة ميراثه، ولم يزل الذين وكّلوا بحفظ الجارية التي توهّم عليها الحمل لازمين حتى تبيّن بطلان الحمل، فلما بطل الحمل عنهنّ قسّم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر، وادّعت امّه وصيته، وثبت ذلك عند القاضي، والسلطان على ذلك يطلب أثر ولده[1].

الإمامة إلهية لا تنال بالانتخاب

قال أحمد بن عبيد الله بن خاقان: فجاء جعفر[2] بعد ذلك- بعد أن توفي الإمام العسكري(ع)- إلى أبي فقال: اجعل لي مرتبة أخي وأوصل إليك في كل سنة عشرين ألف دينار.

فزبره أبي واسمعه وقال له يا أحمق السلطان جرَّد سيفه في الذين زعموا أنّ أباك وأخاك أئمة ليردّهم عن ذلك، فلم يتهيأ له ذلك، فإن كنت عند شيعة أبيك أو أخيك إماماً فلا حاجة بك إلى السلطان أن يرتّبك مراتبهما ولا غير السلطان وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا واستقلّه أبي عند ذلك واستضعفه وأمر أن يحجب

---

(١) المصدر السابق.

(٢) هو جعفر ابن الإمام علي بن محمد الهادي(ع) المعروف بجعفر الكذاب وقد روي بأنه كان معروفاً بشرب النبيذ ويقامر في الجوسق ويلعب الطنبور ويأتي بالمعاصي وهو الذي تقدّم بإقامة الصلاة على جنازة أخيه العسكري(ع) فزجره القائم ومن ثم دخل على المعتمد العباسي وكشف له عن الخطّة التي دبّرها الإمام الحسن العسكري(ع) في التعتيم على مولد الإمام القائم(ع) الذي كانت الطغاة والأعداء يطلبونه ويقضوا عليه. راجع مرآة العقول ٦: ١٤٥. كمالي.

عنه، فلم يأذن له في الدُّخول عليه حتى مات أبي، وخرجنا وهو على تلك الحال والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن عليّ[١].

ويحك أتريد دليلاً أبين من هذا؟!

قال محمد بن عليّ ابن ابراهيم بن موسى بن جعفر(ع) ضاق بنا الأمر - أمر المعاش - فقال لي أبي امض بنا حتى نصير إلى هذا الرجل يعني أبا محمد - الحسن العسكري(ع)- فإنّه قد وصف عنه سماحة.

فقلت: تعرفه؟

قال: ما أعرفه ولا رأيته قط، فقصدناه. فقال لي أبي وهو في طريقه: ما احوجنا إلى أن يامر لنا بخمسمائة درهم مائتا درهم للكسوة ومائتا درهم للدّين ومائة للنفقة.

فقلت في نفسي: ليته أمر لي بثلاثمائة درهم، مائة أشتري بها حماراً ومائة للنفقة ومائة للكسوة وأخرج إلى الجبل - هو المدن بين آذربايجان وعراق العرب وفارس وهو همدان وقزوين - فلما وافينا الباب خرج إلينا غلامه فقال: يدخل عليٌّ بن ابراهيم ومحمد ابنه فلما دخلنا عليه وسلّمنا قال(ع) لأبي: يا عليُّ ما خلّفك عنّا إلى هذا الوقت؟

فقال: يا سيدي استحييت أن ألقاك على هذه الحال.

فلما خرجنا من عنده جاءنا غلامه فناول أبي صرّة فقال: هذه خمسمائة درهم مائتان للكسوة ومائتان للدَّين ومائة للنفقة، وأعطاني صرة فقال: هذه ثلاثمائة درهم اجعل مائة في ثمن حمار ومئة للكسوة ومائة للنفقة ولا تخرج إلى الجبل، وصر إلى

(١) المصدرالسابق.

سوراء. بلد بقرب الحلّة فصار إلى سوراء وتزوج بامرأة، فدخله اليوم ألف دينار ومع هذا يقول بالوقف[١].

فقال محمد بن ابراهيم راوِ الحديث فقلت له: ويحك أتريد أمراً أبين من هذا؟!

فقال: هذا أمر قد جرينا عليه وصار لنا عادة[٢]-.

أقول: وتدلّ هذه القصة على أن الإمام(ع) يعلم البواطن وكذا تدلّ على سماحة الإمام العسكري(ع) وسخائه، وهكذا فيها دلالة على أن الطاف الإمام العسكري(ع) كانت يشمل غير شيعته أيضاً، وفيها أيضاً أنّ الإمام(ع) كان موصلاً لرحمه لأنّ علي بن ابراهيم ومحمد بن علي بن ابراهيم هما من أحفاد الإمام موسى بن جعفر(ع).

وفي هذا المختصر دلالات أخرى فاستنبطها يا خبير.

يا قليل العقل ما للّعب خلقنا

روى الشبلنجي عن درّة الأصداف: أنّه وقع للبهلول معه أنه رآه وهو صبيّ يبكي والصّبيان يلعبون. فظنّ أنه يتحسّر على ما بأيديهم، فقال له: أشتري لك ما تلعب به؟

فقال: يا قليل العقل! ماللّعب خلقنا.

فقال له: فلماذا خلقنا؟

قال: للعلم والعبادة.

فقال له: من أين لك ذلك؟

فقال: من قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنّكم إلينا لا ترجعون﴾[٣] ثم

(١) ويعتقد أن الإمام موسى بن جعفر(ع) حيّ وهو الإمام القائم وليس بعده من إمام وحجة. وهذا هو مذهب الواقفية.
(٢) ج٦:١٠٥ (٥٨٢)ح٣.
(٣) سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

سأله أن يعظه، فوعظه بأبيات، ثم خرّ الحسن (ع) مغشيّاً عليه، فلمّا أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك؟

فقال: إليك عني يا بهلول إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتّقد إلا بالصّغار، وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنّم[1].

وأضاف في إحقاق الحق عن كتاب وسيلة المآل الأبيات التي لم يذكرها الشّبلنجي وقال: ثم قال: فقلتُ: يا بُنيّ أراك حكيماً فعظني وأوجز، فأنشأ يقول:

أرى الدنيا تجهّز بانطلاق مشمّرة على قدم وساق
فلا الدنيا بباقية لحيّ ولا حيّ على الدّنيا بباق
كأن الموت والحدثان فيها إلى نفس الفتى فرسا سباق
فيا مغرور بالدنيا رويداً ومنها خذ لنفسك بالوثاق[2]

(١) سورة المؤمنون، الآية ١١٥.
(٢) نور الأبصار، ص١٨٣.
(٣) حياة الإمام العسكري، ص١١٤ عن إحقاق الحق، ج١٢، ص٤٧٣.

المعصوم الرابع عشر

الإمام الثاني عشر

قائم آل محمد

حجة بن الحسن العسكري (عج)

هويّة المعصوم الرابع عشر
الإمام الثاني عشر
الحجة بن الحسن العسكري[عج]

الاسم: كإسم النبي الأكرم(ص) «م - ح - م - د» (عج).

ألقابه المشهورة: المهدي الموعود، إمام العصر، صاحب الزمان، بقية الله الحجة، القائم و... (أرواحنا له الفداء).

الأب والأم: الإمام الحسن العسكري(ع)، السيدة نرجس(ع).

تاريخ ومحل الولادة: ولد سلام الله عليه في يوم «١٥» من شعبان سنة «٢٥٥ هـ ق» أو سنة «٢٥٦ هـ ق» في مدينة سامراء العراق، عاش خمس سنوات تحت رعاية والده الإمام الحسن العسكري(ع) وبصورة مخفية.

تنقسم أدوار حياته الشريفة[عج] إلى أربع مراحل:

١ - مرحلة الطفولة حوالي خمس سنوات تحت رعاية والده الكريم(ع) وراء ستار الإخفاء كي يبقى محفوظاً من مؤامرة الأعداء، وعندما استشهد أبوه الإمام الحسن العسكري(ع) في سنة «٢٦٠ هـ ق» فوّض مقام الإمامة والولاية إليه(عج).

٢ - مرحلة الغيبة الصغرى حيث بدأت سنة «٢٦٠ هـ ق» وانتهت في «٣٢٩ هـ ق»

حوالي سبعين سنة «وهناك أقوال أخرى».

٣ - مرحلة الغيبة الكبرى بدأت سنة «٣٢٩ هـ ق» وتستمر حتى يأذن الله سبحانه وتعالى بظهوره.

٤ - مرحلة بزوغه وظهوره(ع) وتأسيسه للحكومة الإلهية العالمية.

النّواب الأربعة:

كان لإمام العصر عجل الله فرجه الشريف في فترة الغيبة الصغرى التي استمرت «٧٠ سنة» نوّاب أربعة يتصل بهم بصورة مباشرة ويعرفون باسم «النواب الأربعة» وكانوا هؤلاء حلقة الوصل بين إمام العصر(ع) والأمة وهم على الترتيب الآتي:

١ - عثمان بن سعيد.

٢ - محمد بن سعيد.

٣ - الحسين بن رَوْح.

٤ - عليّ بن محمّد السيمري.

ولما حانت وفاة علي بن محمد السيمري أمره الإمام(عج) أن لا يعين شخصاً بعده.

النواب العامون: للإمام في فترة الغيبة الكبرى نوّاب لم يشخصوا بصورة كاملة - بل ذكرت أوصافهم يعرفهم الناس بواسطة هذه الأوصاف. وهذه الأوصاف عبارة عن: كونه فقيهاً جامعاً لشرائط المرجعية والتقليد ويعرف بوليّ الفقيه. فترجع إليهم الأمة في فترة الغيبة الكبرى لأن الإمام المعصوم(ع) جعلهم حجة على الناس وقال(ع):

«فإني قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يُقْبَلْ منه فإنما استُخِفَّ بحكم الله وعلينا ردّ والرّادُّ على الله عزّ وجلّ وهو على حد الشرك بالله»[1].

(١) أصول الكافي: ج١، ص ٦٧ - وسائل الشيعة: ج١٨، ص ٩٨.

١ - لقاء أحمد بن إسحاق مع إمام الزمان «عج»:

عن أحمد بن إسحاق - وهو من وكلاء الإمام الحسن العسكري(ع) في مدينة قم، ومرقده الشريف في مدينة حُلوان في غرب إيران تسمى اليوم «سريل ذهاب» أنّه قال: دخلت على الإمام العسكري(ع) وقلت له: يا بن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟

فقام الإمام العسكري(ع) من مجلسه مسرعاً فدخل البيت، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر من أبناء الثلاث سنين، فقال:

«يا أحمد بن إسحاق! لولا كرامتُك على الله عزّ وجلّ وعلى حُجَجِهِ ما عرضت عليك إبني هذا، إنه سمي رسول الله(ص) وكَنِيُّهُ الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت جوراً وظلماً.

يا أحمد بن إسحاق مَثَلُهُ في هذه الأمة مثل الخضر(ع)، ومثله مثل ذي القرنين، والله ليغيبنَّ غيبةً لا ينجو فيها من الهلكة إلا من ثبتهُ الله عزّ وجلّ على القول بإمامته ووفّقه للدعاء بتعجيل فَرَجِهِ».

فقال أحمد بن إسحاق، قلت له: يا مولاي فهل من علامة يطمئنُّ إليها قلبي؟ فإذا بالغلام - يعني الإمام المهدي(عج) - ينطق بلسان عربي فصيح فقال:

«أنا بقيّةُ الله في أرضه، والمُنتقِمُ من أعدائِهِ، فلا تطلب أثراً بعد عين، يا أحمد بن إسحاق!»

فقال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً فرحاً، فلما كان من الغد عدت إليه فقلت للإمام(ع): يا بن رسول الله لقد عظم سروري بما مننت به عليّ فبقي سؤال وهو فما

السنّة الجارية فيه من الخضر(ع) وذي القرنين؟

فقال الإمام العسكري(ع): طول الغيبة يا أحمد.

قلت: يا بن رسول الله وإن غيبته تطول؟

قال الإمام(ع): «إي وربيّ حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ولا يبقى إلا من أخذ الله عزّ وجلّ عهده لولايتنا.

وكتب في قلبه الإيمان وأيّده بروح منه».

يا أحمد بن إسحاق، هذا أمرٌ من أمر الله وغَيب من غيب الله، فَخُذ ما أتيتك واكتمه وكن من الشاكرين تكُن معنا غداً في علّيين»[1].

٢ - طلعة إمام الزمان(عج) في طفولته:

روي الشيخ الصدوق(ره) يسنده عن يعقوب بن منقوش أنّه قال: ذهبت يوماً إلى الإمام العسكري(ع) في داره فرأيته(ع) جالساً على دكة في الدار، وعن يمينه بيت عليه ستر مُسبل فقلت للإمام(ع): يا سيدي من صاحب هذا الأمر بعدك؟

فقال الإمام العسكري(ع): إرفع السّتر، فرفعته فخرج إليه غلام خماسي - أي طوله خمسة أشبار - له عشر أو ثمان أو نحو ذلك (كان الإمام(عج) أنذاك ابن خمس سنوات ولكن قامته رشيدة) واضح الجبين أبيض الوجه، درّي المقلتين، شثن الكفين، معطوف الرّكبتين، في خدّه الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة، فجلس على فخذ الإمام العسكري(ع).

ثم قال الإمام العسكري(ع): هذا صاحبكم. (يعني الإمام والحجّة عليكم بعدي).

(١) كشف الغمة: ج٣، ص ٤٤٨.

ثم وثب الإمام المهدي(ع)، فقال الإمام العسكري(ع):

«يا بنيَّ أُدْخُلْ إلى الوقتِ المعلوم».

ثم قال الإمام العسكري(ع) لي: «يا يعقوب أُنظر في البيت».

فدخلت فما رأيت أحداً(1).

٣ - البحث عن خليفة الإمام العسكري(ع):

لما توفي الإمام الحسن العسكري(ع)، جاء رجل من أهل مصر إلى مكة، يحمل معه أموالاً كانت لمولانا الإمام المهدي(عج).

فاختلفت الآراء حول أوصاف الإمام(عج) فقال بعض: توفي الإمام الحسن العسكري(ع) دون أن يوصي أحداً من بعده وقال الآخرون: أوصى إلى أخيه جعفر.

وقالت الطائفة الثالثة: الخلف من بعده ولده(ع).

فأرسلوا رجلاً يكنّى أبا طالب إلى سامراء يبحث عن حقيقة الأمر وصحّته وحمّلوه كتاباً. فجاء الرجل إلى جعفر الكذّاب وسأله عن برهان فقال له جعفر: لا يتهيأ لي في هذا الوقت.

فصار أبو طالب إلى دار الإمام العسكري(ع) وأنفذ الكتاب إلى أحد المرسومين بالسّفارة ليوصله إلى مولانا الإمام صاحب الزمان(عج).

فخرج جواب الكتاب من قِبَل الإمام(عج) وجاء فيه:

«آجرك الله في صاحبك - يقصد الرجل المصري صاحب المال - فقد مات، وأوصى

(1) كشف الغمة: ج٣، ص ٤٥ - أعيان الشيعة، ط، إرشاد ج٢، ص ٧٠ نقلاً عن كمال الدين للصدوق (ره).

بالمال الذي كان معه إلى ثقة ويعمل فيه بما يجب وأجيب عن كتابه»٤.

وبهذه الصورة عرف أبو طالب أن الخلف بعد الإمام العسكري(ع) هو ولده الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف لأنه شرح له في جواب الكتاب عن مميزات الوصية والرجل المصري بكاملها.

٤ - رسالة إلى ابن مهزيار:

عن محمد بن إبراهيم بن مهزيار وكان إبن وكيل الإمام العسكري(ع) في الأهواز - قال: شككت عند مضيّ الإمام أبي محمد الحسن العسكري(ع)، واجتمع عند أبي مال كثير للإمام(ع) فحمله وركب السفينة - حتى يوصله إلى الإمام(ع) في سامراء - وخرجت معه لأودعه فأصيب بالحمى الشديدة، فقال: يا بني ردّني، فهو الموت.

فرددته إلى المنزل فقال لي: اتق الله في هذا المال وأوصى إليّ أن أحفظه من الورثة والآخرين وأوصله إلى صاحبه - فمات بعد ثلاث أيام.

فقلت في نفسي: لم يكن أبي يوصي بشيء غير صحيح، أحمل هذا المال إلى العراق واستأجر داراً على الشطّ ولا أخبر أحداً بشيء وأن وضح لي شيء كوضوحه في أيام أبي محمد العسكري(ع) بعثته إلى صاحبه.

فذهبت إلى العراق واستأجرت داراً على الشط وبقيت أياماً، فإذا أنا بكتاب من الناحية المقدسة مع رسول فيه: يا محمد معك كذا وكذا في جوف كذا وكذا وحتى قصّ عليّ جميع ما معي مما لم أُحط به علماً، فسلّمته إلى الرسول وبقيت أياماً لا يرفع لي رأس واغتممت، فخرج إليّ كتاب آخر من الإمام(ع)، فيه:

«قد أقمناك مكان أبيك فاحْمُدِ الله»[1].

---

(١) إرشاد المفيد (ره): ج٢، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ - أعلام الورى: ص ٤١٧.

٥ - مواساة الإمام المهدي(عج) أحد أوليائه:

كان إبراهيم بن محمد بن فارس النيسابوري من الشيعة تربطه بالإمام الحسن العسكري(ع) رابطة وثيقة، فوقع في مأزقٍ شديد بسبب هذه العلاقة بأهل البيت(ع) نستمع الحادثة عن لسانه: قال: لما هَمّ الوالي (عمرو بن عوف) بقتلي، وهو رجل شديد، وكان مولعاً بقتل الشيعة، فأُخْبِرْتُ بذلك، وغَلَبَ عليَّ خوف عظيم.

فَوَدَّعتُ أهلي وأحبائي، وتوجهت إلى دار الإمام الحسن العسكري(ع) لأودعه وكتبت - إليه - أردت الهرب.

فلما دخلت على الإمام العسكري(ع) رأيت غلاماً جالساً في جنبه مضيئاً كالقمر ليلة البدر، فتحيّرتُ من نوره وضيائه، وكدت أن أنسى ما كنت فيه من الخوف والهرب.

فقال لي الطفل النّوراني(ع): «يا إبراهيم لا تهربْ، فإنَّ الله سيكفيكَ شرَّهُ».

فازداد تحيري، فقلت لأبي محمد الإمام العسكري(ع) يا سيدي جعلني الله فداك، من هو؟ وقد أخبرني بما كان في ضميري.

فقال الإمام العسكري(ع): «هو إبني، وخليفتي من بعدي، وهو الذي يغيب غيبة طويلة، ويظهر بعد امتلاء الأرض جوراً وظُلماً، ويملأُها قسطاً وعدلاً».

وقد أخبر الإمام المهدي(ع) أن الله سبحانه وتعالى حفظه من شر «عمرو» لأن المعتمد العباسي أرسل أخاه لقتل «عمرو بن عوف» فأخذه في ذلك وقطعه عضواً عضواً[1].

(١) إثبات الرجعة لفضل بن شاذان: طبقاً لنقل إثباة الهداة: ج٧، ص ٣٥٦.

٦ - شفاء المريض:

عن العلامة الإرّبلي(رحمه الله) صاحب كتاب كشف الغمّة قال: حكى لي أحد السادة العلويين الحسيني يقال له: «السيد باقر بن عَطْوة» أن أباه عطوة كان زيديّ المذهب، ابتلي بمرض شديد، وطال به، وعجز الأطباء من مداواته ومعالجته، وكنا أنا وأخي على مذهب الإمامية الاثني عشريّة، وكان والدي ينكر علينا الميل إلى مذهب الإمامية ويقول:

«لا أُصدّقكم ولا أقول بمذهبكم حتى يجيء صاحبكم - يعني الإمام المهدي(عج) - فيبرئني من هذا المرض».

فتكرر منه هذا الكلام، فبينما نحن مجتمعون عنده وقت العشاء الآخرة إذا أبونا يصيح ويستغيث بنا فأتيناه سراعاً، فإذا به يقول:

«إلحقوا صاحبكم فالساعة خرج من عندي».

فخرجنا فلم نر أحداً فعدنا إليه وسألناه فقال أبي: أنه دخل إليّ شخص (وهو المهدي - عج) وقال لي: يا عطوة.

فقلت: من أنت؟

قال: أنا صاحب بنيك قد جئت لا برئك مما بك، ثم مدّ يده وعصر فروتي، ومددت يدي فلم أحسّ للوجع أثراً واسترجعت عافيتي كاملاً[١].

٧ - لقاء الأمير إسحاق الإسترآبادي مع الإمام العصر(عج):

قال العلاّمة المجلسي(ره): أخبرني والدي (مولانا محمد تقي المجلسي) وقال: كان

(١) بحار الأنوار: ج٥٢، ص ١٧٥ و ١٧٦.

في زماننا رجل شريف صالح يقال له: أمير إسحاق الاستر آبادي، وكان قد حجّ أربعين حجّة ماشياً وكان قد أشتهر بين الناس أنه تطوى له الأرض.

(يعني أنه يطوي مسافات طويلة في لحظات كأن الأرض تنطوي تحت قدميه).

فجاء هذا العبد الصّالح في بعض السّنين إلى بلدة إصفهان، فبادرت إلى زيارته وسألته عما أشتهر فيه وقلت له: «لقد اشتهر بيننا أنه تنطوي لك الأرض، فما علته؟»

فقال الاستر آبادي: كان سبب ذلك أني كنت في بعض السنين مع الحاج متوجهين إلى بيت الله الحرام، فلما وصلنا إلى الموضع كان بيننا وبين مكة سبعة منازل أو تسعة أكثر من خمسين فرسخاً - تأخرت عن القافلة لبعض الأسباب حتى غابت عني، وضللت عن الطريق، وتحيّرت وغلبني العطش حتى آيست من الحياة.

فناديت: «يا صالحُ، يا أبا صالح - أمام الزّمان(عج) - أرشُدُونا إلى الطريق يرحَمَكُمْ الله».

فتراءى لي في منتهى البادية شيخ، فلما تأملته حضر عندي في زمان يسير فرأيته شاباً حسن الوجه نقي الثياب، أسمر، على هيئة الشرفاء، راكباً على جمل، ومعه دواة، فسلّمت عليه فرد عليّ السلام وقال: «أنت عطشان؟»

قلت: نعم، وأعطاني الدواة فشربت.

ثم قال: «تريد أن تلحق القافلة؟»

قلت: نعم، فأردفني خلفه، وتوجه نحو مكة.

وكان من عادتي قراءة «الحِرْزْ اليماني» في كل يوم، فأخذت في قراءته، وكان(ع) أحياناً يصحح لي ويقول: «إقرأ هكذا».

فما مضى على مسيرنا إلا زمان يسير حتى قال لي: تعرف هذا الموضع؟

فنظرت فإذا أنا بالأبطح فقال: إنزل، فلما نزلت رجعت وغاب عني.

فعند ذلك عرفت أنه القائم(عج) فندمت وتأسّفت على مفارقته، وعدم معرفته فلما كان بعد سبعة أيام أتت القافلة، فرأوني في مكة بعدما آيسوا من حياتي فلذا اشتهرت بطيئ الأرض.

قال العلامة المجلسي(ره) في ختام كلامه: قال والدي(رحمه الله): فقرأت عنده دعاء «الحِرْز اليَماني» وصحّحته وأجازني والحمد لله[1].

٨ - *آية الله البافقي المجاهد الزاهد في خدمة إمام العصر(عج):*

كان أحد العلماء البارزين في أيام مرجعية آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري (ره) عالم يقال له أية الله الشيخ محمد تقي البافقي (ره).

نقل أحد علماء الحوزة العلمية في قم قال: فالمرجع الشيعة سماحة آية الله العظمى الحاج السيد محمد رضا الكلبايكاني(قدس سره):

اجتمع أربعمائة من طلبة العلوم الدينية في عصر مرجعية آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري(ره) في حوزة قم المقدّسة، فقالوا يكلم أحد منا الشيخ محمد تقي البافقي(ره) الذي كان موزعاً لرواتب آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم، يقول له: نحن نريد من آية الله الحائري أن يزودنا أربعمائة عباءة شتوية.

فعرض آية الله البافقي(ره) استدعاء الطلاب المذكورين، لآية الله الحائري(ره) فقال الحاج الشيخ(ره).

(١) بحار الأنوار: ج٥٢، ص ١٧٥ و ١٧٦.

«من أين لي بأربعمائة عباءة شتوية؟»

قال له الشيخ البافقي(ره): خذ من مولانا الإمام ولي العصر (أرواحنا فداه).

قال الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري(ره): إني لا أجد سبيلاً إلى مولانا المهدي(عج).

قال له الشيخ البافقي(ره): إني إنشاء الله آخذ.

فذهب الشيخ البافقي(ره) ليلة الجمعة إلى المسجد «جمكران» فالتقى بالإمام المهدي (عج)، فقال يوم الجمعة للمرحوم آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم (ره):

واعدني مولانا صاحب الزمان (عج) وقال:

«غداً يوم السبت يتفضل علينا بأربعمائة عباءة شتوية».

فرأيت يوم السبت أحد التجار جاء من أحد مدن إيران إلى قم ووزّع بين الطلاب العلوم الدينية أربعمائة عباءة.

٩ - شفاء أبو راجح الحمّامي:

ومن القصص الشيقة التي إشتهرت وذاعت وملأت البقاع، وذكرها جماعة من العلماء، وأهل الصدق والفضل وهي قصة أبو راجح الحمّامي.

كان أبو راجح الحمّامي من الشيعة المخلصين في مدينة الحلة - إحدى المدن العراقية قرب النجف الأشرف - وصاحب أحد حمامات الحلة، فعلى هذا كان مشهوراً بين الناس.

وكان في تلك الأيام حاكماً بالحلة يدعى «مرجان الصغير» أخبروه أن أبا راجح هذا

يسبُّ الصحابة: فأمر الحاكم فأحضروه وأمر بضربه فضرب ضرباً شديداً مهلكاً على جميع بدنه، حتى أنه ضرب على وجهه فسقطت ثناياه، وأخرج لسانه فجعل فيه مِسَلّة من الحديد، وفرّق أنفه، ووضع فيه شوكة من الشّعر وشدّ فيها حبلاً وسلمه إلى جماعة من المستهترين وأمرهم أن يدوروا به أزقّة الحلة، والضرب يأخذه من جميع جوانبه، حتى سقط على الأرض وعاين الهلاك، ولم يشك أحد أنه سوف يموت.

فأخبر الحاكم بذلك، فأمر بقتله، فقال الآخرون: إنه شيخ كبير، وقد حصل له ما يكفيه، وهو ميت لما به. ولا تتقلد بدمه، وبالغوا في ذلك حتى أمر بتخليته.

فلما كان من الغد غدا عليه الناس فإذا هو قائم يصلي على أتمّ حالة، وقد عادت ثناياه التي سقطت كما كانت، واندملت جراحاته، ولم يبق لها أثر، والشّجّة قد زالت من وجهه!

فتعجب الناس من حاله وسألوه عن أمره فقالوا له: كيف عوفيت من تلك الجراحات، كأنك لم تُضْرَب وذهبت آثار الشّيب عنك وأصبحت شاباً.

فقال أبو راجح: إني لما عاينت الموت، ولم يبق لي لسان أسأل الله تعالى به فكنت أسأله بقلبي واستغثت إلى سيدي ومولاي صاحب الزمان(عج)، فلما جن عليّ الليل فإذا بالدار قد امتلأت نوراً، وإذا بمولاي صاحب الزمان(ع)، قد مرّ بيده الشريفة على وجهه، وقال لي:

«أُخْرُج وكدّ على عِيالِكَ، فقد عَافاكَ الله تعالى».

فأصبحت كما ترون في عافية تامة، ونقل أحد الفُضلاء والمتدينين في تلك الأيام الشيخ شمس الدين محمد بن قارون الحادثة وقال:

«وأقسم بالله تعالى أن أبو راجح هذا كان ضعيفاً جداً، واهن البُنْية، أصفر اللون، شين الوجه، مقرّض اللحية، كنت دائماً أدخل في الحمام الذي هو فيه، وكنت دائماً أراه على هذه الحالة، وهذا الشّكل، فلما أصبحت كنت ممن دخل عليه، فرأيته قد اشتدت قوّته، وانتصبت قامته، وطالت لحية، واحمر وجهه وعاد كأنه ابن عشرين سنة.

ولم يزل على ذلك الحال ببركة ولطف مولانا الإمام صاحب العصر والزمان (أرواحنا فداه) حتى أدركته الوفاة.

ولما شاع خبر معافاة أبو راجح العجيبة وأنه قد تغيّر حاله من الشيب إلى الشباب ومن الضعف إلى القوّة وعرف جميعُ الناس قصته. أمر حاكم الحلة أفراده بإحضاره عنده وقد كان رآه بالأمس على تلك الحالة فلما رآه وهو الآن على ضدها كما وصفناه، ولم ير لجراحاته أثراً، وقد عادت إليه ثناياه، داخل الحاكم في ذلك رعب عظيم وأثرت به هذه الحادثة، فغير أسلوب معاملته لأهل الحلة التي كان أكثر أهلها من الشيعة. وكان سابقاً يجلس في مقام الإمام المهدي(ع) في الحلة، ويعطي ظهره القبلة الشّريفة، فصار بعد ذلك يجلس ويستقبلها، وعاد يتلطّف بأهل الحلة، ويتجاوز عن مسيئهم، ويحسن إلى محسنهم، ولم ينفعه ذلك بل لم يلبث عليه إلا قليلاً حتى مات[1].

١٠ - الإمام صاحب العصر(عج) إلى جانب جثمان امرأة عفيفة:

نقلوا أنه في أيام حكومة رضا خان البهلوي الجائرة، كان أحد العلماء الربانيين وهو آية الله السيد محمد باقر السيستاني ساكناً في جوار مرقد الإمام الرضا(ع) في مدينة مشهد.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٢، ص ٧٠ - ٧١ . النجم الثاقب: ج٢، ص ٢١٩.

وكان هذا العالم الجليل يسعى للوصول إلى خدمة مولانا صاحب العصر(عج)، فعزم لنيل هذه السعادة العظمى أن يحضر أربعين يوماً من أيام الجُمَعِ في أحد المساجد ويقرأ زيارة عاشوراء، وعمل بما عزم عليه واستمر في قراءة زيارة عاشوراء في أيام الجُمع.

يقول هذا العالم الجليل: كنت جالساً ذات يوم في الجمعة الأخيرة في أحد المساجد غارقاً في زيارة عاشوراء، وإذا بنورٍ ساطعٍ يعلو من إحدى الدّور القريبة من المسجد. فأحسست بحالة معنويةٍ وعرفانيّةٍ عجيبة فقمت من مقامي وسرت وراء هذا النّور، فرأيت من داخل الدّار نوراً وهّاجاً. فطرقت الباب، ودخلت الدار بعد أن استأذنت من أهلها، فرأيت مولانا إمام العصر(ع) جالساً في حجرة من حجر الدار وكذلك رأيت في الحجرة جنازةً عليها ملحفةٌ بيضاء فأخذتني العبرة وجرت دموعي على خدّي، فسلمت على مولانا صاحب العصر(ع) فردّ عجّل الله فرجه الشريف جواب سلامي وقال:

لماذا تبحث هكذا عني؟ وتتحمل هذه المشقّة والآلام، كونوا كصاحب هذه الجنازة وأنا أزوركم من تلقاء نفسي؟!

ثم قال «عج» هذه جنازة امرأة عفيفة، بقيت محافظة على حجابها وعفّتها سبع سنوات عندما أمر رضاخان البهلوى بكشف الحجاب، فإنها حفظاً على حجابها وعفّتها وعدم النّظر إليها من قبل الأجنبي، بقيت هذه السّنوات الطّوال في منزلها ولم تخرج منه[١].

(١) جوهر الصدف، ص ٤٨، مطبوعات دفتر مسجد علي بن الحسين(ع) في طهران.

١١ - الإمام المهدي(عج) يُحَمّل شيعياً قطيفياً رسالة إلى أحد العلماء:

نقل العالم الكبير آية الله العظمى الآخوند ملا علي الهمداني(ره) عن أستاذه العظيم آية الله العظمى الشيخ ضياء الدين العراقي المتوفى «١٣٦١ هـ ق» المدفون في النّجف الأشرف قال:

قال الأستاذ: عزم أحد الشيعة من أهل القطيف أن يتشرف بزيارة مولانا الإمام الرضا(ع)، وفي أثناء مسيرته من الحجاز إلى خراسان فَقَدَ ما دبره لنفسه من مؤونة السفر من النقود، فبقي حائراً لا يدري بمن يلوذ.

فتوسل بمولانا صاحب العصر عجل الله فرجه الشريف فرأى سيداً نورانياً وقوراً مقبلاً إليه فقال له:

«خذ هذه الأموال مؤونةً لسفرك إلى مدينة سامراء، وفي مدينة سامراء اذهب إلى محضر الميرزا الشيرازي[1](ره) وقل له: يقول لك السيد مهدي - يَعْني إمام الزمان(ع) - لنا عندك أموال، فخذ منها ما يبلغ بك إلى زيارة جدي الإمام علي بن موسى الرضا(ع).

فقال القطيفي قلت لذاك السيد النوراني: فإذا قلت للسيد الميرزا الشيرازي أن السيد مهدي قال هكذا سوف يسألني من هو السّيد مهدي؟ وما هو دليلك وعلاماتك؟ فماذا أقول له؟

قال السيد النوراني: قل للميرزا الشيرازي(ره) الشاهد على ذلك هو الصيف

(١) آية الله العظمى الميرزا محمد حسن الشيرازي (ره) المتوفى «١٣١٢ هـ ق» المعروف بميرزا الكبير الشيرازي صاحب الفتوى المعروفة في حرمة التتن (تنباكو) في عصر الملك ناصر الدين شاه.

الماضي عندما تشرّفتم إلى زيارة مرقد عمّتي زينب(ع) مع الملاّ عليّ الكّني الطّهراني في الشام. وبسبب كثرة الزّوار، رأيت أن الزّوار ألقوا فضلات مأكولاتهم على سطح الحرم، فأخذت طرفاً من عباءتك وجمعت بها الفضلات في زاوية من السطح، أخذها الملا علي الكني بيده أخرجها إلى خارج الحرم.

قال القطيفي: فذهبت إلى مدينة سامرّاء، وتشرّفت بزيارة الميرزا الشيرازي(ره) وأبلغته رسالة السّيد مهدي، فقام الميرزا الشيرازي من مكانه واستقبلني بحفاوة وقبل عيني وهنّأني وقال لي: لقد أعطاني السيد مهدي - يعني الإمام المهدي(عج) - مؤونة سفرك إلى مشهد.

ثم بعد فترة تشرفت بزيارة الملا علي الكني في طهران وحكيت له القصة، فصدقني ولكنه تألم قلباً وتمنى لو كان السيد النوراني - يعني الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف - قد أعطاه هذا الشّرف العظيم أن يقوم هو بهذا الواجب وينال الفخر والعزة[1].

اتقوا الله في اسمه فإذا وقع، وقع الطلب!

قال عبد الله بن جعفر الحميري: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو رحمه الله عند أحمد بن اسحاق - وكيل الإمام العسكري(ع) في قم- فغمزني أحمد بن اسحاق أن أسأله عن الخَلَف.

فقلت له: يا أبا عمرو إني أريد أن أسألك عن شيء، وما أنا بشاكّ فيما أريد أن أسألك عنه فإنّ اعتقادي وديني أنّ الأرض لا تخلو من حجّة، إلا إذا كان قبل يوم

(١) مراقد أهل البيت في الشام لـ «أحمد الفهري» ص ٧٤.

القيامة بأربعين يوماً، فإذا كان ذلك رفعت الحجّة، وأغلق باب التوبة فلم يك ينفع نفساً إيمانها لم تكن أمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، فأولئك أشرار من خلق الله عز وجل، وهم الذين تقوم عليهم القيامة ولكني أحببت أن ازداد يقيناً، وإنّ ابراهيم(ع) سأل ربه عز وجل أن يريه ﴿كيف تحيي الموتى، قال أوَلَم تؤمن قال بلى ولكنّ ليطمئنّ قلبي﴾[1] وقد أخبرني أبو علي أحمد بن اسحاق عن أبي الحسن الهادي(ع).

قال سألته- الإمام الهادي(ع)-: من أعامل أو عمّن آخذ وقول من أقبل؟

فقال له(ع): - خذ من - العمري- أبو عمر وعثمان بن سعيد أول النواب الأربعة إنّه- ثقتي، فما أدّى إليك عنّي فعني يؤدي، وما قال لك عنّي فعنّي يقول، فاسمع له واطع، فإنّه الثقة المأمون.

وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد الحسن العسكري(ع) عن مثل ذلك.

فقال له(ع): العمري وابنه ثقتان، فما أدّيا إليك عنّي فعنّي يؤديان، وما قالا لك فعني يقولان فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان فهذا قول إمامين قد مضيا فيك.

فخر أبو عَمْرو ساجداً وبكى - لما سمع هذا الكلام - ثم قال: سل حاجتك.

فقلت له: أنت رأيت الخَلَف من بعد أبي محمد(ع)؟

فقال: إي والله ورقبته مثل ذا - وأومأ بيده-.

فقلت له: فبقيت واحدة.

فقال لي: هات.

---

(١) البقرة: ٢٦٠.

قلت: فالاسم أي ما اسم الخَلَف-؟

قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول ذلك من عندي فليس لي أن أحلّل أو أحرّم ولكن عنه(ع)، فإن الأمر عند السلطان - الخليفة العباسي- أن أبا محمد الحسن العسكري(ع) مضى ولم يخلف ولداً، وقسم ميراثه وأخذه من لا حق له فيه - أي جعفر الكذاب-، وهو ذا عياله يجولون ليس أحداً يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الإسم وقع الطلب فأتقوا -الله وأمسكوا عن ذلك[1].

لا يكاد يخفى على الناس من الحق شيء

لما استشهد الإمام أبو محمد الحسن العسكري(ع) في سنة ٢٦٠هـ، أمر الخليفة العباسي المعتمد أحد جلاوزته وجلاّديه يسمّى سيماء أن يفتّش بيت الإمام العسكري(ع).

قال علي بن قيس عن بعض جلازوة السواد شاهدت سيماء آنفاً بسرّ من رأى وقد كسر باب الدار- باب دار الإمام العسكري(ع)- فخرج عليه الإمام الحجّة(ع) وبيده طبر زين فقال له: ما تصنع في داري؟

فقال سيماء: إن جعفراً زعم أن أباك مضى ولا ولد له، فإن كانت دارك فقد انصرفت عنك فخرج عن الدار.

قال علي بن قيس: فخرج علينا خادم من خدم الدار فسألته عن هذا الخبر. فقال لي: مَن حدّثك بهذا؟

فقلت له: حدّثني بعض جلاوزة السواد.

---

(١) ج١: ٣٢٩-٣٣٠(٣٨٨) ح١.

فقال لي: لا يكاد يخفى على الناس شيء[١].

أقول: نستفيد من هذه القصّة مدى التعتيم والإرهاب الذي فرضه الطاغية المعتمد العباسي على الأئمة(ع) وشيعتهم ومراقبتهم في كل آن، وكان الأئمة وشيعتهم يتخذون التقية وسيلة لحفظ أنفسهم، وهذه القصّة تُلهمنا أن الأئمة(ع) وشيعتهم لم يكونوا يستسلمون للطواغيت، ولا يرضخون لهم، وهم في تلك العصور كانوا يكشفون عن انزجارهم واستنكارهم على أعمال الطواغيت بأساليب مختلفة.

مولانا عندنا ولا ندري!

قال بعض أهل المدائن: كنت حاجّاً مع رفيق لي، فوافينا إلى الموقف، فإذا شاب قاعد عليه إزار ورداء وفي رجليه نعلٌ أصفر، قُوّمت الإزار والرداء بمائة وخمسين ديناراً وليس عليه أثر السفر، فدنا منا سائل فرددناه، فدنا من الشاب فسأله، فحمل شيئاً من الأرض وناوله، فدعا له السائل واجتهد في الدعاء وأطال، فقام الشاب وغاب عنا، فدنونا من السائل فقلنا له: ويحك ما أعطاك؟

فأران حصاة ذهب مضرّسة، قدرناها عشرين مثقال.

فقلت لصاحبي: مولانا عندنا ولا ندري، ثم ذهبنا في طلبه، فدرنا الموقف كله، فلم نقدر عليه، فسألنا كلّ من كان حوله من أهل مكّة والمدينة.

فقالوا: شاب علويٌ يحجّ في كلّ سنة ماشياً[٢].

(١) ج١:٣٢١-٣٢٢ (٣٩٠)ح١١.
(٢) المصدر نفسه ح١٥.

يا زرارة إنّه هو المنتظر

أحد أصحاب الإمام الصادق(ع) ومن المعتمدين عليه زرارة بن أعين. سمع غير مرّة عن القائم من آل محمد(ع) وأراد أن يستطلع على هذه المسألة استطلاعاً كثيراً. فقدم على الإمام الصادق(ع) وأجرى معه الحوار التالي عن الإمام المهدي من آل محمد(ع):

قال زرارة: سمعت أبا عبد الله(ع) يقول: إنّ للغلام غيبة قبل أن يقوم.

قلت: ولِمَ؟

قال(ع): يخاف - وأومأ بيده إلى بطنه - ثم قال: يا زرارة، وهو المنتظر، وهو الذي يُشك في ولادته - أثر غيبته الطويلة المدة-.

منهم من يقول: مات أبوه بلا خَلَف، ومنهم من يقول: مات أبوه وهو حمل، ومنهم من يقول: إنّه ولد قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر، غير أنّ الله عز وجل يحبّ أن يمتحن الشيعة فعند ذلك يرتاب المبطلون يا زرارة.

قلت: جعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أي شيء أعمل؟

قال(ع): يا زرارة إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء « اللهمّ عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللهم عرّفني حُجتك فإنك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني»[1].

---

(١) أي أن أهم وظيفة عند المؤمنين في عصر غيبة القائم(ع) هو معرفة الله والنبي والإمام والالتزام بنهجهم.

ثم قال(ع): يا زرارة لا بدَّ من قتل غلام بالمدينة[١].

قلت: جعلت فداك أليس يقتله جيش السفياني؟

قال: لا ولكن يقتله جيش آل بني فلان يجيء حتى يدخل المدينة فيأخذ الغلام فيقتله، فإذا قتله بغياً وعدواناً وَظلماً لا يمهلون، فعند ذلك توقع الفرج إن شاء الله[٢].

التفكّر في المهدي[عج]

قال أصبغ بن نباته: أتيت أمير المؤمنين(ع) فوجدته متفكراً ينكت في الأرض فقلت: مالي أراك متفكراً تنكت في الارض، أرغبة منك فيها؟

فقال(ع): لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوماً قط، ولكني فكرت في مولود يكون من ظهري، الحادي عشر من ولدي، هو المهديّ الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، تكون له غيبة وحيرة، يضلّ فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون.

فقلت: يا أمير المؤمنين وكم تكون الحيرة والغيبة؟

قال(ع): ستة أيام أو ستة أشهر أو ستة سنين.

فقلت: وإن هذا الكائن؟

فقال(ع): نعم كما أنه مخلوق وأنى لك بهذا الأمر يا أصبغ! أولئك خيار هذه الأمة مع خيار أبرار هذه العترة.

فقلت: ثم ما يكون بعد ذلك؟

---

(١) المراد بهذا الغلام لعلّه هو محمد بن عبد الله المحض بن حسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب(ع) المعروف بالنفس الزكية الذي عد قتله من علائم ظهور الإمام الحجّة(ع) وقد قتل في عصر حكومة الطاغية أبي جعفر المنصور العباسي.

(٢) ج١: ٣٣٧(٢٩٦)ح٥.

فقال(ع): ثم يفعل الله ما يشاء فإن له بداءات وإرادات وغايات ونهايات[١].

الجميع هالك إلا من أخذ الله ميثاقه!

قال مفضل بن عمر: كنت عند أبي عبد الله الصادق(ع) وعنده في البيت اناس.

فقال لي(ع): أما والله ليغيبن عنكم صاحب هذا الأمر وليتحملنّ هذا حتى يقال: مات هلك، في أيّ واد سلك؟ ولتكفأنّ كما تكفأ السفينة في أمواج البحر، لا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه، وكتب الايمان في قلبه، وأيّده بروح منه، ولترفعن اثنتا عشر راية مشبهة لا يدرى أيّ من أيّ.

قال مفضل: فبكيت.

فقال(ع): ما يبكيك يا أبا عبد الله؟

فقلت: جعلت فداك كيف لا أبكي وأنت تقول: أثنتا عشر راية مشتبهة لا يدرى أيّ من أي.

قال(ع): وكان في مجلسه(ع) كوّة تدخل منها الشمس فقال(ع): أبيّنة هذه؟

فقلت: نعم.

قال(ع): أمرنا أبين من هذه الشمس[٢].

(١) ١: ١ح٧طب و١: ٢٣٨ح٧طا.
(٢) المصدر، ح١١.

نطق الإمام الحجة [ع] حين الولادة

قالت حكيمة بن الإمام الجواد (ع): دخلتُ يوماً على أبي محمد (ع) وقال لي: بيتي عندنا الليلة فإنّه سيظهر الخلف فيها.

قلت: ممن؟ فلست أرى بنرجس حملاً؟

قال: يا عمّة إن مثلها كمثل أم موسى، لم يظهر حملها به إلا وقت ولادتها، فبتّ أنا وهي، فلما انتهى الليل صليت أنا وهي صلاة الليل، فقلت في نفسي: قد قرب الفجر ولم يظهر ما قال أبو محمد (ع)، فناداني أبو محمد: لا تعجلي، فرجعت إلى البيت خجلة فاستقبلتني نرجس ترتعد فضممتها إلى صدري وقرأت عليها قل هو الله أحد وإنا أنزلناه وآية الكرسي، فأجابني الخلف من بطنها يقرأ كقراءتي.

قالت: وأشرق نور في البيت، فنظرت فإذا الخلف تحتها ساجد إلى القبلة. فأخذته فناداني أبو محمد (ع) من الحجرة: هلمي بابني إليّ يا عمة.

قالت: فأتيته به فوضع لسانه في فمه وأجلسه على فخذه، فقال له: انطق يا بني بإذن الله تعالى.

فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكّن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[١] وصلى الله على محمد المصطفى، وعلى علي المرتضى، وفاطمة الزهراء، والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى،

(١) سورة القصص، الآية ٥ و٦.

ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي أبي.

قالت: وغمرتنا طيور خضر، فنظر أبو محمد(ع) إلى طائر منها فدعاه فقال: خذه فاحفظه حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغ أمره[١]...

ألا أبشرك بالعطاس؟

وروي عن نسيم خادم أبي محمد(ع) قال: دخلت على صاحب الزمان(ع) بعد مولده بعشر ليال، فعطست عنده فقال لي: يرحمك الله. قال ففرحت بذلك، فقال: ألا أُبشرك في العطاس؟

قلت: بلى يا سيدي.

قال: هو أمان من الموت ثلاثة أيام[٢].

أنا بقية الله في أرضه

عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري قال: دخلت على أبي محمد الحسن العسكري (ع) وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده.

فقال لي مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق، إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة الله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض وبه ينزّل الغيث وبه يخرج بركات الأرض.

قال، فقلت: يا بن رسول الله فمن الخليفة والإمام بعدك؟ فنهض مسرعاً فدخل

(١) المحجة البيضاء، ج٤، ص٣٤٥.

(٢) الخرائج والجرائح، ج١، ص٤٦٥.

البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين وقال: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنه سميّ رسول الله (ص) وكنيّه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الأمة مثل الخضر، ومثله مثل ذو القرنين، والله ليغيبن غيبة لا ينجو من الهلكة فيها إلا من ثبّته الله تعالى على القول بإمامته ووفقه للدعاء بتعجيل فرجه.

قال أحمد بن إسحاق، فقلتُ له: يا مولاي، فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟

فنطق الغلام بلسان عربيّ فصيح فقال: أنا بقيّة الله في أرضه والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عينٍ يا أحمد بن إسحاق[1].

يا كامل جئت تسأل عن وليّ الله

وعن أبي نعيم محمد بن أحمد الأنصاري قال: وجّه قوم من المفوّضة كامل بن إبراهيم إلى أبي محمد(ع)، قال: فقلت في نفسي لمّا دخلت عليه: أسأله عن الحديث المرويّ عنه(ع): «لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتي» وكنت جلست إلى باب عليه ستر مرخى، فجاءت الرّيح فكشفت طرفه إذا أنا بفتى كأنه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها.

فقال لي: يا كامل بن إبراهيم، فاقشعررت من ذلك وأُلهمت أن قلت: لبيك يا سيدي.

(١) المحجة البيضاء، ج٤، ص٣٣٩.

قال: جئت إلى ولي الله تسأله «لا يدخل الجنّة إلا من عرف معرفتك وقال بمقالتك»؟

قلت: إي والله.

قال: إذن والله يقلّ داخلها، والله إنه ليدخلها قوم يقال لهم الحقّيّة.

قلت: ومن هم؟

قال: قوم من حبّهم لعلي(ع) يحلفون بحقّه ولا يدرون ما حقّه وفضله، أي قوم يعرفون ما يجب عليهم معرفته جملة لا تفصيلاً من معرفة الله رسوله والأئمة ونحوها.

ثم قال: وجئت تسأل عن مقالة المفوّضة، كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشيّة الله، فإذا شاء الله شئنا، والله يقول:

﴿وما تشاءُون إلا أن يشاء الله﴾[1] فقال لي أبو محمد (ع): ما جلوسك فقد أنبأك بحاجتك؟[2]

اسأل قرّة عيني

وفي الاحتجاج: عن سعد بن عبد الله القمي الأشعري قال: بليت بأشدّ النواصب منازعة. فقال لي يوماً بعد ما ناظرته: تبّاً لك ولأصحابك أنتم معاشر الرّوافض تقصدون المهاجرين والأنصار بالطّعن عليهم وبالجحود لمحبّة النبي(ص) لهم، فالصّديق هو فوق الصّحابة بسبب سبق الإسلام، ألا تعلمون أن رسول الله(ص) إنما ذهب به ليلة الغار لأنه خاف عليه كما خاف على نفسه، ولما علم أنّه يكون الخليفة في

(١) سورة الإنسان، الآية ٣٠.

(٢) المحجة البيضاء، ج٤، ص٣٤٦.

أمّته وأراد أن يصون نفسه كما يصون(ص) خاصّة نفسه كي لا يختل حال الدين من بعده ويكون الإسلام منتظماً؟ وقد أقام علياً(ع) على فراشه لما كان في علمه أنّه لو قتل لا يختل الإسلام بقتله لأنّه يكون من الصّحابة من يقوم مقامه لا جرم لم يبال من قتله.

قال سعد: إنّي قلت على ذلك أجوبة لكنّها غير مسكتة.

ثم قال: معاشر الرّوافض تقولون: إن الأوّل والثاني كانا ينافقان وتستدلّون على ذلك بليلة العقبة.

ثم قال لي: أخبرني عن إسلامهما كان عن طوع ورغبة أو كان عن إكراه وإجبار؟ فاحترزت عن جواب ذلك وقلت مع نفسي: إن كنت أجبته بأنّه كان عن طوع، فيقول: لا يكون على هذا الوجه إيمانهما عن نفاق، وإن قلت: كان عن إكراه وإجبار، لم يكن في ذلك الوقت للإسلام قوة حتى يكون إسلامهما بإكراه وقهر. فرجعت عن هذا الخصم على حال ينقطع كبدي، فأخذت طوماراً وكتبت بضعاً وأربعين مسألة من المسائل الغامضة التي لم يكن عندي جوابها، فقلت: أدفعها إلى صاحب مولاي أبي محمد الحسن بن علي العسكري(ع) الذي كان في قم، أحمد بن إسحاق، فلما طلبته كان هو قد ذهب فمشيت على أثره فأدركته وقلت الحال معه.

فقال لي: جئ معي إلى سرّ من رأى حتى نسأل عن هذه المسائل مولانا الحسن بن علي(ع) فذهبت معه إلى سر من رأى، ثم جئنا إلى باب دار مولانا(ع) فاستأذنّا للدخول عليه، فأذن لنا فدخلنا الدار وكان مع أحمد بن إسحاق جراب قد ستره بكساء طبري وكان فيه مائة وستون صرّة من الذهب والورق على كل واحدة منها خاتم صاحبها الذي دفعها إليه، ولما دخلنا ووقعت أعيننا على وجه أبي محمد الحسن العسكري (ع) كأن وجهه كالقمر ليلة البدر وقد رأينا على فخذه غلاماً يشبه المشتري

في الحُسن والجمال، وكان على رأسه ذؤابتان وكان بين يديه رمّان من الذّهب قد حلي بالفصوص والجواهر الثّمينة قد أهداه واحد من رؤساء البصرة وكان في يده قلم يكتب به شيئاً على قرطاس، فكلّما أراد أن يكتب شيئاً أخذ الغلام يده فألقى الرّمان حتى يذهب الغلام إليه ويجيء به، فلما ترك يده يكتب ما شاء.

ثم فتح أحمد بن إسحاق الكساء ووضع الجراب بين يدي العسكري(ع) فنظر العسكري(ع) إلى الغلام فقال: فضّ الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك.

فقال: يا مولاي أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى هدايا نجسة وأموال رجسة؟ ثم قال: يا بن إسحاق أخرج ما في الجراب ليميّز بين الحلال والحرام، ثم أخرج صرّة. فقال الغلام: هذا لفلان بن فلان من محلة كذا بقم تشتمل على اثنين وسبعين ديناراً فيها من ثمن حجيرة باعها وكانت إرثاً عن أبيه خمسة وأربعون ديناراً ومن أثمان سبعة أثواب أربعة عشر ديناراً وفيه من أجرة الحوانيت ثلاثة دنانير.

فقال مولانا(ع): صدقت يا بُنيّ دلّ الرجل على الحرام منها.

فقال الغلام: في هذه العين دينار بسكة الري تاريخه في سنة كذا قد ذهب نصف نقشه عنه، وثلاثة أقطاع قراضة بالوزن (دانق ونصف) دانق في هذه الصرة الحرام هذا القدر فإن صاحب هذه الصرة في سنة كذا في شهر كذا كان له عند نساج (وهو من جملة جيرانه) من الغزل منّ وربع، فأتى على ذلك زمان كثير فسرقه سارق من عنده، فأخبره النساج بذلك فما صدقه وأخذ الغرامة بغزل أدق منه مبلغ منّ ونصف؟ ثم أمر حتى نسج منه ثوب وهذا الدّينار والقراضة من ثمنه، ثم حلّ عقدها فوجد الدينار والقراضة كما أخبر، ثم أخرج صرّة أخرى.

فقال الغلام: هذا لفلان بن فلان من المحلة الفلانية بقم والعين فيها خمسون

ديناراً، ولا ينبغي لنا أن ندني أيدينا إليها.

قال: لم؟ فقال: من أجل أن هذه الدنانير من ثمن الحنطة، وكانت هذه الحنطة بينه وبين حراث له، فأخذ نصيبه بكيل كامل وأعطى نصيبهم بكيل ناقص.

فقال مولانا الحسن بن علي(ع): صدقت يا بُنيّ.

ثم قال: يا بن إسحاق احمل هذه الصرر وبلغ أصحابها أو أوص بتبليغها إلى أصحابها فإنّه لا حاجة بنا إليها.

ثم قال: جئ إليّ بثوب تلك العجوز.

فقال أحمد بن إسحاق: كان ذلك في حقيبة فنسيته، ثم مشى أحمد بن إسحاق ليجيء بذلك إلى مولانا أبي محمد العسكري (ع) وقال: ما جاء بك يا سعد؟

فقلت: شوقني أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا.

قال(ع): فالمسائل التي أردت أن تسأل عنها؟

قلت: على حالها يا مولاي. قال: فاسأل قرّة عيني - وأومأ إلى الغلام - عمّا بدا لك.

فقلت: يا مولانا وابن مولانا روي لنا أن رسول الله (ص) جعل طلاق نسائه إلى أمير المؤمنين(ع) حتى إنه بعث في يوم الجمل رسولاً إلى عائشة وقال: إنك أدخلت الهلاك على الإسلام وأهله بالغشّ الذي حصل منك وأوردت أولادك في موضع الهلاك بالجهالة فإن امتنعت وإلا طلقتك. فأخبرنا يا مولاي عن معنى الطلاق الذي فوّض حكمه رسول الله(ص) إلى أمير المؤمنين(ع)؟

فقال: إن الله تقدّس اسمه عظّم شأن نساء النبي(ص) فخصّهنّ بشرف الأمهات، فقال رسول الله(ص): يا أبا الحسن إن هذا شرف باق ما دمن لله على طاعة فأيّتهنّ

عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلقها من الأزواج وأسقطها من شرف أمّية المؤمنين.

ثم قلت: أخبرني عن الفاحشة المبيّنة التي إذا فعلت المرأة ذلك يجوز لبعلها أن يخرجها من بيته في أيام عدتها؟

فقال(ع): تلك الفاحشة السّحق وليست بالزنا لأنها إذا زنت يقام عليها الحد وليس لمن أراد تزويجها أن يمتنع من العقد عليها لأجل الحدّ الذي أقيم عليها، وأمّا إذا ساحقت فيجب عليها الرجم والرجم هو الخزي، ومن أمر الله تعالى برجمها فقد أخزاها ليس لأحد أن يقربها.

ثم قلت: أخبرني يا بن رسول الله عن قول الله تعالى لنبيّه موسى(ع) ﴿فاخلع نعليك إنَّك بالواد المقدَّس طوىً﴾[1] فإنّ فقهاء الفريقين يزعمون أنها كانت من إهاب الميتة؟

فقال(ع): من قال ذلك افترى على موسى واستهجنه في نبوته لأنه ما خلا الأمر فيها من خطبين: إمّا إن كانت صلاة موسى فيها جائزة أو غير جائزة فإن كانت صلاة موسى جائزة فيها فجاز لموسى أن يكون لابسها في تلك البقعة وإن كانت مقدسة مطهّرة، وإن كانت صلاته غير جائزة فيها فقد أوجب أن موسى لم يعرف الحلال والحرام ولم يعلم ما جازت الصلاة فيه مما لم يجز، وهذا كفر.

قلت: فأخبرني يا مولاي، عن التأويل فيها؟

قال: إن موسى (ع) كان بالوادي المقدس فقال: يا رب إني أخلصت لك المحبّة منّي وغسلت قلبي عمّن سواك، وكان شديد الحبّ لأهله.

---

(١) سورة طه، الآية ١٢.

فقال الله تبارك وتعالى: (فاخلع نعليك) أي انزع حبّ أهلك من قلبك إن كانت محبّتك لي خالصة وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولاً.

فقلت: أخبرني عن تأويل (كهيعص)[1]؟

قال: هذه الحروف من أنباء الغيب اطلع الله عليها عبده زكريا ثم قصّها على محمد(ص) وذلك أن زكريا(ع) سأل ربّه أن يعلّمه الأسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل فعلمه إيّاها، فكان زكريا إذا ذكر محمّداً وعلياً وفاطمة والحسن سرى عنه همّه وانجلى كربه، وإذا ذكر اسم الحسين(ع) خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة، فقال ذات يوم: إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسليت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين(ع) تدمع عيني وتثور زفرتي؟ فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصّته. فقال: كهيعص، فالكاف اسم كربلاء والهاء هلاك العترة والياء يزيد وهو ظالم الحسين(ع) والعين عطشه والصّاد صبره، فلما سمع بذلك زكريا(ع) لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيهنّ الناس من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنحيب وكان يرثيه: إلهي أتفجع خير جميع خلقك بولده؟ إلهي أتنزل بلوى هذه الرزيّة بفنائه؟ إلهي أتلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ إلهي أتحلّ كربة هذه المصيبة بساحتهما؟

ثم كان يقول: إلهي ارزقني ولداً تقرّ به عيني على الكبر فإذا رزقتنيه فافتني بحبّه، ثم افجعني به كما تفجع محمداً حبيبك بولده، فرزقه الله يحيى وفجعه به وكان حمل يحيى ستّة أشهر وحمل الحسين كذلك.

فقلت: أخبرني يا مولاي، عن العلة التي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم؟

قال: مصلح أو مفسد؟

---

(١) سورة مريم، الآية ١.

فقلت: مصلح.

قال: هل يجوز أن يقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟

قلت: بلى.

قال: فهي العلّة أيّدتها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك؟

قلت: نعم.

قال: أخبرني عن الرّسل الذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم الكتب وأيّدهم بالوحي والعصمة إذ هم أعلام الأمم فأهدي إلى بيت الاختيار، منهم موسى وعيسى(ع) هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذ همّا على المنافق بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق، وهما يظنان أنه مؤمن؟

قلت: لا.

قال: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلاً ممن لم يشك في إيمانهم وإخلاصهم فوقعت خيرته على المنافقين، قال الله عزّ وجلّ: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾[1] الآية، فلمّا وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنّبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظن أنّه الأصلح دون الأفسدة علمنا أن لا اختيار إلا لمن يعلم ما تخفي الصدور وما تكنّ الضمائر وتنصرف عنه السرائر وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لمّا أرادوا أهل الصلاح.

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٢.

ثم قال مولانا(ع): يا سعد من ادّعى أن النبي(ص) (وهو خصمك) ذهب بمختار هذه الأمة مع نفسه إلى الغار فإنه خاف عليه كما خاف على نفسه لما علم أنه الخليفة من بعده على أمّته لأنه لم يكن من حكم الاختفاء أن يذهب بغيره معه وإنّما أقام علياً على مبيته لأنه علم أنه إن قتل لا يكون من الخلل بقتله ما يكون بقتل أبي بكر لأنه يكون لعليّ من يقوم مقامه في الأمور، لم لا تنقض عليه بقولك أولستم تقولون إن النبي (ص) قال: إن الخلافة من بعدي ثلاثون سنة وصيّرها موقوفة على أعمار هؤلاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فإنهم كانوا على مذهبكم خلفاء رسول الله (ص)؟ فإنّ خصمك لم يجد بداً من قوله: بلى قلت: له فإذا كان الأمر كذلك فكما أبو بكر الخليفة من بعده كان هذه الثلاثة خلفاء أمّته من بعده فلم ذهب بخليفة واحد وهو أبو بكر إلى الغار ولم يذهب بهذه الثلاثة؟

فعلى هذا الأساس يكون النبي(ص) مستخفاً بهم دون أبي بكر فإنه يجب عليه أن يفعل بهم مثل ما فعل بأبي بكر، فلمّا لم يفعل ذلك بهم يكون متهاوناً بحقوقهم وتاركاً للشّفقة عليهم بعد أن كان يجب عليه أن يفعل بهم جميعاً على ترتيب خلافتهم ما فعل بأبي بكر.

وأما ما قال لك الخصم بأنهما أسلما طوعاً أو كرهاً لِم لَم تقل بل إنهما أسلما طمعاً وذلك أنهما يخالطان مع اليهود ويخبران بخروج محمد(ص) واستيلائه على العرب من التّوراة والكتب المتقدّمة وملاحم قصّة محمد(ص) ويقولون لهما: يكون استيلاؤه على العرب كاستيلاء بخت نصر على بني إسرائيل إلا أنّه يدعي النّبوة ولا يكون من النّبوة في شيء، فلمّا ظهر أمر رسول الله(ص) ساعدا معه على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله طمعاً أن يجدا من جهة رسول الله(ص) ولاية بلد إذا انتظم أمره وحسن باله واستقامت ولايته ... وكان حالهما كحال طلحة والزبير إذ جاءا

عليا (ع) وبايعاه طمعاً أن تكون لكلّ واحد منهما ولاية، فلمّا لم يكن ذلك وآيسا من الولاية نكثا بيعته وخرجا عليه حتى آل أمر كلّ واحد منهما إلى ما يؤول أمر من ينكث العهود والمواثيق[1].

يا سيد أهل بيته اسقني الماء

قال إسماعيل بن علي: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي(ع) في المرضة التي مات فيها وأنا عنده، إذ قال لخادمه عقيد - وكان الخادم أسود نوبيّاً قد خدم من قبله علي بن محمد(ع) وهو ربّى الحسن(ع)-.

فقال له يا عقيد: اغل لي ماء بمصطكي فأغلى له ثم جاءت به صقيل الجارية أم الخلف(ع)، فلما صار القدح في يديه وهمّ بشربه فجعلت يده ترتعد حتى ضرب القدح ثنايا الحسن(ع)، فتركه من يده وقال لعقيد: ادخل البيت فإنّك ترى صبياً ساجداً فائتني به.

قال أبو سهل: قال عقيد: فدخلت أتحرّى فإذا أنا بصبي ساجد رافع سبابته نحو السماء فسلّمت عليه، فأوجز في صلاته، فقلت: إنّ سيدي يأمرك بالخروج إليه، إذ جاءت أمّه صقيل فأخذت بيده وأخرجته إلى أبيه الحسن(ع).

قال أبو سهل: فلما مثل الصبي بين يديه سلّم وإذا هو دريّ اللون، وفي شعر رأسه قطط، مفلّج الأسنان، فلما رآه الحسن بكى وقال: يا سيد أهل بيته اسقني الماء فإني ذاهب إلى ربي، وأخذ الصبي القدح المغلي بالمصطكي بيده ثم حرك شفتيه ثم سقاه، فلما شربه قال: هيؤوني للصلاة، فطرح في حجره منديل فوضأه الصبي واحدة واحدة

---

(١) الإحتجاج، ج٢، ص٤٦١، راجع بقية اللقاء إلى نفس الكتاب، فإنّا أخذنا موضع الحاجة منه.

ومسح على رأسه وقدميه.

فقال له أبو محمد (ع): أبشر يا بُنَيّ فأنت صاحب الزمان، وأنت المهدي، وأنت حجّة الله على أرضه، وأنت ولدي ووصيي، وأنا ولدتك وأنت (م ح م د) بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ولدك رسول الله (ص) وأنت خاتم الأئمة الطّاهرين وبشّر بك رسول الله وسمّاك وكنّاك، بذلك عهد إليّ أبي عن آبائك الطاهرين صلى الله على أهل البيت، ربّنا إنه حميد مجيد[١]...

كتاب الإمام الحجّة إلى أحمد بن إسحاق

روى الطبرسي في الإحتجاج: عن سعد بن عبد الله الأشعري، عن الشيخ الصدوق أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري أنه جاءه بعض أصحابنا يعلمه بأن جعفر بن علي كتب إليه كتاباً يعرّفه نفسه ويعلمه أنّه القيّم بعد أخيه، وأنّ عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه، وغير ذلك من العلوم كلّها.

قال أحمد بن إسحاق: فلمّا قرأت الكتاب كتبت إلى صاحب الزّمان (ع) وصيّرت كتاب جعفر في درجه.

فخرج إليّ الجواب عن ذلك: «بسم الله الرّحمن الرحيم، أتاني كتابك أبقاك الله والكتاب الذي أنفدت في درجه وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمّنه على اختلاف ألفاظه وتكرّر الخطأ فيه، ولو تدبّرته لوقفت على بعض ما وقفت عليه منه، والحمد لله ربّ العالمين حمداً لا شريك له على إحسانه إلينا وفضله علينا، أبى الله عزّ وجلّ للحق

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٦ عن غيبة الطّوسي.

إلا إتماماً، وللباطل إلا زهوقاً، وهو شاهد عليّ بما أذكره، ولي عليكم بما أقوله إذا اجتمعنا ليومٍ لا ريب فيه ويسألنا عمّا نحن فيه مختلفون، وإنه لم يجعل لصاحب الكتاب على المكتوب إليه ولا عليك ولا على أحدٍ من الخلق جميعاً إمامة مفترضة، ولا طاعة ولا ذمّة، وسأبيّن لكم جملة تكتفون بها إن شاء الله تعالى.

يا هذا يرحمك الله، إن الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً ولا أهملهم سدى، بل خلقهم بقدرته وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً والباباً، ثم بعث إليهم النّبيّين(ع) مبشّرين ومنذرين يأمرونهم بطاعته وينهونهم عن معصيته ويعرّفونهم ما جهلوه من أمر خالقهم ودينهم، وأنزل عليهم كتاباً، وبعث إليهم ملائكة، وباين بينهم وبين من بعثهم إليهم بالفضل الذي جعله لهم عليهم، وما آتاهم الله من الدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والآيات الغالبة.

فمنهم من جعل النار عليه برداً وسلاماً واتّخذه خليلاً، ومنهم من كلّمه تكليماً وجعل عصاه ثعباناً مبيناً، ومنهم من أحيى الموتى بإذن الله وأبرأ الأكمة والأبرص بإذن الله، ومنهم من علّمه منطق الطّير وأوتي من كل شيء.

ثم بعث محمّداً(ص) رحمة للعالمين وتمّم به نعمته، وختم به أنبياءه وأرسله إلى الناس كافّة، وأظهر من صدقه ما أظهر وبيّن من آياته وعلاماته ما بيّن ثمّ قبضه حميداً فقيداً سعيداً وجعل الأمر من بعده إلى أخيه وابن عمّه ووصيّه ووارثه عليّ بن أبي طالب(ع)، ثمّ إلى الأوصياء من ولده واحداً بعد واحد أحيى بهم دينه، وأتمّ بهم نوره، وجعل بينهم وبين إخوتهم وبني عمهم والأدنين فالأدنين من ذوي أرحامهم فرقاً بيّناً، تعرف به الحجّة من المحجوج، والإمام من المأموم بأن عصمهم من الذنوب وبرأهم من العيوب وطهّرهم من الدنس، ونزّههم من اللبس، وجعلهم خزّان علمه، ومستودع حكمته، وموضع سرّه، وأيدهم بالدلائل، ولولا ذلك لكان الناس على سواء،

ولادّعى أمر الله عز وجل كل واحد، ولما عرف الحق من الباطل، ولا العلم من الجهل.

وقد ادعى هذا المبطل المدّعي على الله الكذب بما ادعاه، فلا أدري بأية حالة هي له رجا أن يتم دعواه، أبفقه في دين الله؟ فوالله ما يعرف حلالاً من حرام ولا يفرّق بين خطأ وصواب، أم بعلم؟ فما يعلم حقّاً من باطل ولا محكماً من متشابه ولا يعرف حد الصلاة ووقتها، أم بورع فالله شهيد على تركه لصلاة الفرض أربعين يوماً يزعم ذلك لطلب الشّعبدة ولعلّ خبره تأدّى إليكم وهاتيك ظروف مسكره منصوبة وآثار عصيانه لله عز وجل مشهودة قائمة، أم بآية؟ فليأت بها أم بحجّة؟ فليقمها أم بدلالة؟ فليذكرها. قال الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحقّ وأجل مسمى والذين كفروا عمّا أنذروا معرضون. قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين. ومن أضلّ ممّ يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون. وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾[١] فالتمس تولى الله توفيقك من هذا الظالم ما ذكرت لك وامتحنه واسأله عن آية من كتاب الله يفسّرها أو صلاة يبين حدودها وما يجب فيها لتعلم حاله ومقداره ويظهر لك عواره ونقصانه والله حسيبه.

حفظ الله الحق على أهله وأقرّه في مستقرّه، وقد أبى الله عزّ وجلّ أن تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين(ع) وإذا أذن الله لنا في القول ظهر الحقّ واضمحلّ الباطل وانحسر عنكم وإلى الله أرغب في الكفاية وجميل الصّنع والولاية، وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وآل محمد[٢].

---

(١) سورة الأحقاف، الآية ١ - ٦.

(٢) الاحتجاج، ج٢، ص٥٢٨، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٢٨.

الفهرس